كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[99] ـ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه[1]

[نسبه]

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، ويُكْنَى أبا العبّاس . وأُمّه أُمّ الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقيل الثَّقَفِيّ ، وهي بنت أخي الحَجَّاج . وفيه يقول أبو نُخَيلة[2] : [من الرجز]

يا لَكُمَا نُــورًا سَراجٍ وَهَّاجْ بين أبي العاصي وبين الحَجَّاجْ

عليه بعــد عَمِّه عُقِد التَّاجْ

وأُمّ يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْبْ بن أُميّة . وأُمّها أُمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر . وأُمّ عبد الله بن عامر أُمّ حَكيم البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد[3] : [من الطويل]

نبيَّ الهُدى يَقْهَرْ بـه من يُفاخرُ نَبِيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه

[كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة]

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيان بني أُميَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأَشِدَّائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متَّهماً في دينه مرميّاً بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ، ويقول : إنّه نُحِلَه وأُلْصِقَ إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك .

[ولاية العهد بعد هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيُّوب القُرَشيّ وجُوَيْرِيَةَ بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنْهالِ بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم : أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوشَ إلى يزيد بن المهلّب

1 ترجمة الوليد بن يزيد في المصادر التاريخية التي تتناول فترة الدولة الأموية : تاريخ الطبري (7 : 209–262) ، والكامل لابن الأثير (5 : 287–298) ، والمسعودي (مروج الذهب : 2236–2253) ، والتنبيه والإشراف (325–333) ، ونهاية الأرب (21 : 473–487) . وقد جمع شعره غابريلي ، دار الكتاب الجديد ؛ وأيضاً جمع د . واضح الصمد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ومنه نشير .

2 سيترجم أبو الفرج لأبي نخيلة فيما بعد .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 45 .

وعقَد لَمَسْلَمةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العبّاسَ بن الوليد بن عبد الملك وعقَد له على أهل دمَشْق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إنّ أهل العراق أهلُ غَدْرٍ وإرْجَافٍ ، وقد وجهتَنا محاربين والأحداثُ تحدُث ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهَد ، فيَفُتُّ ذلك في أعضاد أهل الشام ؛ فلو عهِدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أيُّما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي . قال : فابنُكَ لم يَبْلُغ ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام ، قال : والوليدُ يومئذ ابن إحْدَى عشرةَ سنة ، قال : غداً أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام ، وأخذ العهدَ عليه ألاّ يَخْلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيِّر عهدَه ولا يحتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : اللهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتُوفّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابنُ خمسَ عشرةَ سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدّة ، ثم طمِع في خَلْعه وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسْلَمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، وولاّه الحَجَّ ليظهَرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ ؛ فحجَّ وظهر منه فعلٌ كثير مذموم ، وتشاغَل بالمغنين وبالشَّرَاب ، وأمر مولىً له فحجَّ بالناس . فلمّا حجَّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك ؛ فحرمه العطاء وحَرَم سائرَ مَوَاليه وأسبابَه وجفاه جفاءً شديداً . فخرج مُتبدِّياً[1] وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ إلى خلعه والبَيْعةِ لَمَسْلمة بن هشام ، وأُمُّه أمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي . وكان مَسْلَمةُ يُكْنى أبا شاكر ؛ كُني بذلك لمولًى كان لمروان يُكْنى أبا شاكر ، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظِّمونه ويتبركون به ، فأجابه إلى خَلْع الوليد والبيعة لَمَسْلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هِشام بن إسماعيل المَخْزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعقاع بن خُوَيْلد العَبْسيّ وغيرُهم من خاصّة هشام . وكتب إلى الوليد : ما تَدَع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه وارتكبتَه غيرَ مُتْحاشٍ ولا مستترٍ ، فليت شعري ما دِينُك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد ، ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعْلى ونَحَله إيّاه : [من السريع]

1 التبدي : سكنى البادية بعد الحاضرة وقد عدّه النبيّ من الكبائر .

صوت

يـا أَيُّها السائـلُ عن دِيننا نحن على ديـن أبي شاكرِ
نشرَبُها صِرْفـاً وممزوجةً بالسُّخْـنِ أحياناً وبالفاتِرِ

غنّاه عمرُ الوادِي رَمَلاً بالبنصر ، فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وقال : يعيِّرني بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة ! فالْزَم الأدبَ ، وأحضُر الصلوات . وولاّه المَوْسَم سنةَ سبع عشرةَ ومائة ، فأظهر النُّسْكَ وقسَم بمكَّة والمدينة أموالاً . فقال رجل من موالي أهل المدينة : [من السريع]

يـا أيُّها السائـلُ عن دِيننا نحن على دين أبـي شاكرِ
الواهـب البُزْلَ بـأَرْسانِها ليس بزنديـقٍ ولا كافرِ

قال المدائنيّ : وبلغ خالداً القَسْريَّ ما عزمَ عليه هشام ، فقال : أنا بريء من خليفة يُكْنَى أبا شاكر ؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سببَ إيقاعه به .

[تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدِّب قال حدّثني أبي عن العباس بن هشام قال : دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْره قبل أن يدخل ، فحمَّقَه من حضَر من بني أُميَّة . فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد : كيف حبُّك يا وليد للروميّات ، فإنّ أباك كان بهنّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحِبهنّ ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهَجين مثلك ، وكانت أُمّ العباس روميّة ، قال : اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُهُ بمثلي ؛ فقال له الوليد : اسكتْ يا ابنَ البَظْراء ! قال : أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شَرَابُك ؟ قال : شَرَابُك يا أمير المؤمنين ؛ وقام مغضَباً فخرج . فقال هشام : أهذا الذي تزعمون أنّه أحمقُ ! ما هو أحمق ، ولكني لا أظنّه على المِلّة .

[عبثه بوجوه بني أمية في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدَائنيّ قال : دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزُّبير مولى مَرْوان وليس هشام حاضراً ؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشامٍ ، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف ؛ قال : سعيد ابن أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بك . ثم نظر إلى أبي الزبير فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير ؛ قال : أنِسْطَاسٌ أنت ؟ مرحباً بك . ثم قال لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَنْ إبراهيم بن هشام ؟ وهو

يعرفه ؛ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة . قال : مَنْ الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرَى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته . قال : يا ابن اللَّخْناء ! أتقول هذا ! وائتخذا[1] . وأقبل هشامٌ ؛ فقيل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين ، فجلسا وكفَّا . ودخل هشامٌ ؛ فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه ، إلاّ أنّه زحَل له قليلاً ؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ بَرَابِطُك ؟ قال : مُعْمَلة أو مُسْتعملة . قال : فما فعل ندماؤك ؟ قال : صالحون ، ولعنَهم اللهُ إن كانوا شرّاً ممّن حضَرك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يا ابن اللَّخْناء ! جئوا عنقَه ؛ فلم يفعلوا ودفَعوه رُوَيْداً . فقال الوليد[2] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي ومروانُ جَـدِّي ذو الفَعَال وعامرُ
أنا ابنُ عظيـم القريتَـين وعِزِّها ثَقِيـفٌ وفِهْـرٌ والعُصَاةُ الأكابرُ[3]
نَبِيُّ الهُدى خالي ومن يَكُ خالُـه نبيَّ الهُـدَى يَقْهَر بـه من يُفاخرُ

[رثاء مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان هشام بن عبد الملك يُكْثِر تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد ؛ فكان مَسْلمةُ يعاتب هشاماً ويَكُفُّه ؛ فمات مَسْلمةُ ؛ فغُمَّ الوليدُ ورثاه فقال[4] : [من المتقارب]

صوت

أتانـا بَريـدانِ من واسِطٍ يَخُبَّـانِ بـالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقولُ ومـا البعدُ إلاّ الرَّدَى أَمَسْلَـمُ لا تَبْعَـدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد تُضِيء فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كتَمْنا نَعِيَّك نَخْشَى اليقينَ فجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ
وكم مـن يَتيـم تلافيتَـه بأرض العـدوّ وكم أيِّمَـهْ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَماً نصَبْتَ لهـا رايةً مُعْلَمَـهْ

غنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

---

1 ائتخذا : تصارعا .
2 ديوان الوليد : ص 46 ، رقم 45 .
3 القريتان : مكّة والطائف .
4 ديوان الوليد : ص 78 ، رقم 87 .

أقـول ومـا البعدُ إلاّ الرَّدَى

يونسُ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّلَ يُنسَب إلى أبي كامل وعمر الوادِي . وذكر حَبَش أن ليونُسَ فيه رَمَلاً بالبِنْصَر .

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العَلاَء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهير بن مُضَرّس بن مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيَّار عن أبيه قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفِّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرطَته ، إذ طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشْوَانُ يَجُرُّ مِطْرَفَ خزٍّ عليه ؛ فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى من بقِي لحوقُ من مضَى ؛ وقد أَقْفَر بعد مَسْلمةَ الصيدُ لمن يرى ، واختلَّ الثغرُ فوَهَى ، وعلى أَثَرِ مَنْ سَلَف يمضي من خلَف ؛ فتزوّدوا ، فإنّ خير الزاد التَّقْوى . فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدّ[1] جواباً ؛ ووجَمَ الناسُ فما همَس أحدٌ بشيء . قال : فمضى الوليد وهو يقول[2] : [من الوافر]

أَهيْنَمَةٌ حَديثُ القومِ أم هُمْ سُكُوتٌ بعدَ ما مَتَع النهارُ[3]
عَزيــزٌ كان بَينَهــمُ نبيّــاً فقَولُ القومِ وَحْيٌ لا يُحارُ
كأنّا بعــد مَسْلَمَةَ المُرجَّى شُرُوبٌ طوَّحتْ بهمُ عُقَارُ
أَوُ آلاَّفٌ هِجَانٌ في قيــودٍ تَلفَّــتُ كلّما حَنّتْ ظُؤَارُ[4]
فليتَك لم تَمُتْ وفَدَاك قومٌ تُرِيح غبيَّهم عنّــا الدِّيَــارُ
سَقيمُ الصَّدْرِ أو شَكِسٌ نَكِيدٌ وآخــرُ لا يَزورُ ولا يُـــزَارُ

يَعني بالسَّقِيم الصدر يزيدَ بن الوَليد ، ويعني بالشَّكِس هشاماً ، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد .

[هشام يحاول خلعه من ولاية العهد]

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال : أراد هشام أن يخلَع الوليد ويجعل العهدَ لولده ؛ فقال الوليد[5] : [من الطويل]

كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لو شكرتَها جَزَاك بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنِّ

1 ل : يجر .
2 ديوان الوليد : ص 44 ، رقم 43 .
3 الهينمة : الكلام الخفيّ غير المفهوم . ومتع النهار : طال وامتدّ .
4 ظؤار : جمع ظئر وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها .
5 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 98 بترتيب مختلف .

رأيتُك تَبْنــي جاهــداً في قَطِيعتي ولو كنتَ ذا حَزْم لهدّمتَ ما تَبْني
أراك على الباقــين تَجْنــي ضَغِينةً فيا وَيْحَهم إن مُتَّ من شَرِّ ما تَجْني [1]
كأنّي بهــم يومــاً وأكثرُ قولِهم أيا ليتَ أنّا ، حين ، يا ليت ، لا تُغْني [2]

[أمر هشام بطرد عبد الصمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنيّ قال : عَتب هشام على الوليد وخاصّته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصّته ومواليه فنزل بالأَبْرَق بين أَرض بُلْقَيْن وفَزَارة على ماء يقال له الأَغْدَف ، وخلّف بالرصافة كاتبَه عِياضَ بن مُسْلِم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدُث ، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى . فشرِبوا يوماً ، فقال له الوليد : يا أبا وَهْب ، قل أبياتاً نُغَنّي فيها ؛ فقال أبياتاً ، وأمَر عمرَ الوادي فغَنّى فيها وهي : [من المتقارب]

صوت

ألَـمْ تَـرَ للنَّجْـم إذ سَبَّعـا يُبَـادِر في بُرْجِـه المَرْجِعَا
تحيَّــر عــن قَصْد مَجْراتِــه إلى الغَــوْرِ والتمس المَطْلَعَا
فقلــتُ وأعجبنــي شأنُــه وقــد لاح إذ لاح لي مُطمِعا
لعــلَّ الوليــدَ دنا ملكُــه فأمسى إليــه قــد استجمَعا
وكنّــا نؤمِّــل في مُلْكــه كتأميل ذي الجَدْب أن يُمْرِعا
عَقَدْنا لــه مُحْكَماتِ الأمــو رِ طَوْعــاً وكان لهــا مَوْضِعا

فرُوِي هذا الشعرُ ، وبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجْري عليه وعلى أصحابه وحرَمهم ؛ وكتب إلى الوليد : قد بلَغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدِّثاً ونديماً ؛ وقد حقَّق ذلك ما بلغني عنك ، ولن أُبرّئكَ من سوء ؛ فأخْرِج عبدَ الصمد مذموماً . قال : فأخرجه الوليدُ وقال[3] : [من الوافر]

لقد قذَفوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ
وأشهَدُ أنهم كذَبـوا عليه شهادةَ عالـمٍ بهـمُ خبيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن

1 الشطر الأول في الديوان : تثير على الباقين مجنى ضغينة .
2 الشطر الثاني في الديوان : ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني .
3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 46 .

يأذَن لابن سُهَيْل في الخروج إليه ، وكان من خاصّة الوليد ، فضرب هشامٌ ابنَ سهيل ونفاه وسيَّره . وكان ابنُ سهيلٍ من أهل النَّباهةِ ، وقد وَلِي الولاياتِ ، ولي دمَشْقَ مراراً وولي غيرَها ، وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِم كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرِّحاً وألبسه المُسُوحَ وقيَّده وحبسه ، فغَمّ ذلك الوليدَ فقال : من يثق بالناس ؟ ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاّه وهو يصنَع بي ما تَرَوْن ، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هوًى إلاّ أضَرّ به ؛ كتب إليّ بأن أخرِجَ عبدَ الصمد فأخرجته ، وكتبتُ إليه في أن يأذَن لابن سُهَيل في الخروج إليّ فضربَه وطَرده وقد علم رأيي فيه ؛ وعرَف مكانَ عِياضٍ منّي وانقطاعَه إليّ فضربَه وحبَسه ، يُضارُّني بذلك ؛ اللهمّ أجِرْني منه . ثم قال الوليد[1] : [من البسيط]

صوت

أنا النَّذِيــرُ لُمسْدِي نعمــةٍ أبداً ... إلى المَقاريــفِ لَمّا يَخْبُرِ الدَّخَلاَ[2]

إن أنتَ أكرمتَهــم ألفيتَهم بَطِروا ... وإن أهنتَهمُ ألفيتهــــم ذُلُـلا

أتشمَخُون ومنّــا رأسُ نعمتكــم ... ستعلَمــون إذا أبصرتُــمُ الدُّوَلا

انْظُـرْ فإن أنت لم تقــدِر على مَثَلٍ ... لهم سِوَى الكلبِ فاضربْه لهم مَثَلا

بَيْنَــا يسمِّنــه للصيــــد صاحبُه ... حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا

عــدا عليــه فلــم تَضْرُره عَدْوتُه ... ولو أطــاق لــه أكلاً لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ :

[فخره على هشام]

قال : وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام[3] : [من البسيط]

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قــد علِمتْ ... عُلْيــا مَعَــدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامي

إني لَفــي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا ... مُقَابَــلٌ بــين أخــوالي وأعمامي

بَنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكِلاً ... على مَنــارٍ مُضيئــاتٍ وأعــلامِ

حللتُ من جوهر الأَعْياص قد علِموا ... في باذخ مشمخرِّ العــزّ قَمْقامِ

1 ديوان الوليد : ص 66 ، رقم 70 .

2 المقاريف : الأنذال . لما في الديوان : ما لم .

3 ديوان الوليد : ص 81 ، رقم 92 عن الأغاني .

صَعْبِ المَرام يُسامي النَّجمَ مطلعُه يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حرب قال حدّثني مصعَب الزُّبَيريّ قال : بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله : [من البسيط]

أنا الوليد أبو العباس قد علِمتْ عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما علِمتْ له مَعَدٌّ كرّاً ولا إقداماً ، إلاّ أنّه شرِب مرّة مع عمّه بَكّار بن عبد الملك فعَرْبَد عليه وعلى جواريه ؛ فإن كان يَعْني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى .

[عابه هشام والزهري فحقد عليهما]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حُدِّثت أنّ أبا الزِّنَاد قال : دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِيّ وهما يَعيبانِ الوليدَ ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم أَلبَثْ أن استُؤْذن للوليد فأُذِن له ، فدخل وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشام ووَلِي الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه ؛ فقال : أتذكر قولَ الأحول والزهريّ ؟ قلتُ : نعم ، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك ؛ قال : صدقتَ ؛ أتدري من أبلغني ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ، وايم اللهِ لو بَقِي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه . ثم قال : ذهب هشام بعمري ؛ فقلت : بل يُبْقيك اللهُ يا أمير المؤمنين ، وقام وصلّى العصر . ثم جلس يتحدّث إلى المغرب ثم صلّى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلّى العَتَمةَ ، ثم تحدّثنا قليلاً ثم قال : اسقِينني فأتينه بإناء مغطًّى ، وجاء جَوَار فقُمْنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن ؛ ومكث قليلاً ثم قال : اسقِينني ففعلن مثلَ ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طلع الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعَب عن أبي الزِّناد قال : أجمع الزُّهْريُّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فمات الزهريّ قبل ذلك .

قال المدائنيّ : وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشَّراب ؛ فلعنهم وقال : إنّهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه ، وقال هذا الشعر ، وأمر عمرَ الوادي أن يغنّي فيه ، وهو من جيّد شعره ومُختاره . وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غيرَ مجنَّسٍ : [من الكامل]

صوت

ولقد قضيتُ وإن تَجَلَّل لِمّتي ... شيب على رغم العِدَا ، لذّاتي[1]
مــن كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ... ومراكــبٍ للصيد والنَّشَواتِ[2]
في فِتيةٍ تأبــى الهـوانَ وجوهُهم ... شُمٌّ الأنوف جحاجح ساداتِ
إن يَطلبوا بِتِراتِهم يُعْطَوْا بهـــا ... أو يُطلَبــوا لا يُدْرَكـوا بتراتِ

[بينه وبين هشام]

حدّثني[3] المِنْهال بن عبد الملك قال : كتب الوليد إلى هشام : «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّي ومَحْو من محا من أصحابي ، وأنّه حَرَمني وأهلي . ولم أكن أخاف أن يبتلي اللهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثلُه منه ، ولم يبلغ استصحابي لابن سُهيل ومسألتي في أمره أن يَجْري عليّ ما جرى . وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين ، فبحَسْب العَيْر أن يقرُب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صَرْفِه عن مواقعه المحتومة له . فقدَرُ الله يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا ، لا تعجيلَ لآجلِه ولا تأخير لعاجله ؛ والناسُ بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر في ذلك والحفظِ له . والله يوفّق أميرَ المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القضاءَ له في الأمور بقدرته . وكتب إليه الوليد في آخر كتابه[4] : [من الطويل]

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ ... حِياضَك يوماً صادراً بالنّوافلِ
فأرْجِعَ محمودَ الرَّجاء مصرَّداً ... بتحلِئةٍ عــن وِرْد تلك المناهلِ
فأصبحتُ مما كنتُ آمُلُ منكُم ... وليس بلاقٍ مــا رجا كلُّ آملِ
كمُقْتَبِضٍ يوماً على عُرْض هَبْوةٍ ... يَشُدُّ عليهـــا كفَّه بالأناملِ[5]

فكتب إليه هشام : «قد فهم أمير المؤمنين مـا كتبتَ به من قطْع ما قطع وغير ذلك . وأميرُ المؤمنين يستغفر اللهَ من إجرائه ما كان يُجري عليك ، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ

---

1 ديوان الوليد : ص 24 ، رقم 14 .
2 الديوان : ونواصف (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 قارن نصّ الكتابين بما جاء في الطبريّ .
4 ديوان الوليد : ص 69 ، رقم 73 عن الأغاني .
5 الهبوة : الغبرة .

المآثم في الذي أحدث مِنْ قطع ما قطع ومحو مَنْ محا مِنْ صحابتِك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرِف إليها ما يُجْريه عليك . وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تَجولُ بهم في سَفَهك . وأميرُ المؤمنين يرجو أن يكفِّر اللهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما ابنُ سُهَيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً . وهل زاد ابنُ سُهَيل ، لله أبوك ، على أن كان زَفَّاناً[1] مغنِّياً قد بلغ في السَّفَه غايته ! وليس مع ذلك ابنُ سهيل بشَرٍّ ممّن كنتَ تستصحبُه في الأمور التي ينزِّه أميرُ المؤمنين نفسَه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ ممّا سبَّبه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلاّ أنه لا يملِك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضَرّاً ولا نفعاً ، وإنّ الله وَليّ ذلك منه وإنه لا بدّ له من مفارقته ، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولّي أَمْرَهم غيرَ من يَرْتضِيه لهم منهم . وإنّ أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولِّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضا به لهم ؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازيَه شكره إلاّ بعونٍ منه . ولئن كان قد قَدّر الله لأمير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ ، فإن في الذي هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله لَخَلَفاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُسْتنكَرٍ من سَفَهك وحُمْقك ، فأبْقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك[2] ؛ فإنّ لله سَطَواتٍ وغِيَراً يصيبُ بها من يشاء من عباده . وأميرُ المؤمنين يسأل اللهَ العصمةَ والتوفيقَ لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى ... إلى بعض مـا فيـه عليـك مقالُ

والسلام» .

[تبشيره بالخلافة بعد موت هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز ؛ وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائني عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء عن المِنْهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلّهم عن أبي الزُّبَير المنذِر بن عمرو ، قال : وكان كاتباً للوليد بنِ يزيد ، قال : أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه ؛ فقال لي : يا أبا الزُّبَير ، ما

1 الزفان : الراقص .

2 المثل اربع على ظلعك ويروى «ارق على ظلعك» في مجمع الميداني 1 : 293 ، وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 .

أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة ، عَرَضَتْني أمورٌ وحدّثتُ نفسي فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولِع بي ، فاركبْ بنا نتنفَّس . فركِب وسرتُ معه ، فسار ميلين ووقف على تَلّ فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْجٍ[1] قد أقبل ، قال عمر بن شَبّة في حديثه ، وسمع قَعْقعةَ البَريد ، فتعوّذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحِيٍّ[2] أو بمُلك عاجل . فقلتُ : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك ، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلان ، أحدُهما مولًى لآل أبي سفيان بن حَرْب ؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعْدُوان حتى دَنَوَا فسلَّما عليه بالخلافة فوجَم ، وجعلا يكرران عليه التسليمَ بالخلافة ؛ فقال : وَيْحكم ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ؛ قال : فمرحباً بكما ! ما معكما ؟ قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ؛ فقرأ الكتابَ وانصرفنا . وسأل عن عِيَاض بن مُسْلِم كاتِبه الذي كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله ، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرْجَى الحياةُ لمثله معها ، أرسل عياضٌ إلى الخُزَّان : احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنّ أحدٌ إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمُنِعَه ، فقال : أرانا كنّا خُزّاناً للوليد ؛ وقضى من ساعته . فخرج عياضٌ من السجن ساعةَ قَضَى هشامٌ ، فختم الأبوابَ والخزائن ؛ وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالبٌ مولى هشام ، ولم يجدوا قُمْقُماً[3] حتى استعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ؛ فقال الوليد : ما أُراه إلاّ قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذاً للظالمين ، فخُذْه بردِّ ما في يده من مال الله ؛ فقال : صدقتَ ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلَفا ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منه المظالمَ .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : إنّه لمّا نعي له هشام قال : والله لأتلقّينَ هذه النعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ؛ ثم أنشأ يقول[4] : [من الخفيف]

طاب يومي ولذَّ شربُ السُّلاَفه ... إذ أتاني نَعِيُّ من بالرُّصَافَهْ

1 رهج : غبار .
2 الوحي : السريع .
3 القمقم : وعاء من نحاس يسخن فيه الماء .
4 ديوان الوليد : ص 58 ، رقم 61 .

وأتانـــا البريدُ ينعَـــى هشامــاً   وأتانـــا بخاتَـــم للخلافَــهْ
فاصطبحنا من خمر عانَةَ صِرْفاً   وَلَهَوْنــا بقَيْنَــةٍ عَزّافَــهْ

ثم حلَف ألاّ يبرحَ موضعَه حتى يُغنّى في هذا الشعر ويشربَ عليه ؛ فغُنّي له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة .

قال : وسَمِع صياحاً ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا من دار هشام يبكيه بناتُه ؛ فقال[1] : [من المجتث]

إني سمعــتُ بليــلٍ   وَرَا المُصلَّى برَنّهْ[2]
إذا بنـــاتُ هشامٍ   يندُبْــنَ والدَهُنّــهْ
يندُبْنَ قَرْمــاً جَليلاً   قد كان يَعْضُدُهنّهْ[3]
أنــا المخنَّث حقّاً   إن لم أُنِيكَّهُنّــهْ

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث : وشرِب الوليد يوماً ، فلمّا طابت نفسُه تذكّر هشاماً ، فقال لعمر الوادي غنّني :

إنّي سمعــتُ بليــلٍ   وَرَا المُصلَّــى برَنّــهْ

فغنّاه فيه ، فشرب عليه ثلاثةَ أرطال ، ثم قال : والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنّك . قال : فما سُمع منه بعدها ولا عُرف .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي ولَـذَّ شُرْبُ السُّلافه   إذ أتانا نَعِــيُّ مــن في الرُّصافَــهْ

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غسّان قال قال حَكَم الوادي كنّا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب ، إذ جاءنا خَصيٌّ فشَقَّ جيبَه وعزّاه عن عمّه هشام وهنّأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتَم وطُومار[4] ؛ فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة ؛ فقال : غنُّوني ، غنّياني : قد طاب شربُ السلافه . . . البيتين ؛ فلم نزل نغنّيه بهما الليلَ كلّه .

---

1 ديوان الوليد : ص 84 ، رقم 96 .
2 صدر البيت الأول في الديوان : إنّي سمعت خليلي (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 صدر البيت في الديوان : يندبن شيخاً كبيراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 طومار : صحيفة .

[سؤال الرشيد عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح ، فقال : إنّ أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُلْ ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أتَرْوي من شعره شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قَضيب ولي جُمّةٌ فَيْنانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول : يا غلام ، ولدتْك سُكّر (وهي أُمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعته يومئذ يُنشد[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى ... مكيالَه الأوفرَ قد أُتْرِعا[2]

كِلْنا له الصاعَ التي كالَها ... فما ظلمناه بها أصْوُعا

لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة ... أحلّه القرآن لي أجمعا[3]

قال : فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت .

وللوليد أشعار جِيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان . فمنها ، وهو ما برّز فيه وجوده وتبِعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ، قوله في صفة الخمر ، أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهْم قال أنشدني عمر بن شَبّة قال أنشدني أبو غَسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غَسّان يكاد يرقص إذا أُنْشدها[4] : [من المنسرح]

إصدَعْ نجيَّ الهموم بالطربِ ... وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ

واستقبلِ العيشَ في غَضارته ... لا تَقْفُ منه آثارَ معتقِبِ

من قهوةٍ زانها تقادُمها ... فهي عجوز تعلو على الحِقبِ

أشهى إلى الشَّرْب يوم جَلْوتها ... من الفتاة الكريمة النّسبِ

فقد تجلّت ورقّ جوهرها ... حتى تبدّت في منظَر عجَبِ

فهي بغيرِ المِزاج من شَرَر ... وهي لدى المزج سائلُ الذهبِ

---

1 ديوان الوليد : ص 53 ، رقم 54 .

2 مكياله في الديوان : محلبه .

3 لم نأتِ ما نأتيه في الديوان : وما أتينا ذاك .

4 ديوان الوليد : ص 18 ، رقم 7 .

كأنّهـا في زجاجهـا قَبَسٌ تذكو ضياءً في عين مرتقِبِ
في فتيةٍ من بني أميّة أهـ ـلِ المجدِ والمأثُرات والحسبِ
ما في الورى مثلُهم ولا فيهم مثلي ولا مُنْتَمٍ لمثل أبـي

قال المدائني في خبره : وقال الوليد حين أتاه نَعْي هشام[1] : [من الخفيف]

طـال ليلي فبتُّ أُسقَى المداما إذ أتـاني البريد ينعَى هشاما
وأتـاني بحُلّـة وقضيـب وأتـاني بخاتـم ثـم قاما
فجعلتُ الوليَّ من بعد فقدي يفضُـل الناسَ ناشئـاً وغلاما
ذلك ابنـي وذاك قَرْم قريشٍ خيرُ قَـرْمٍ وخيرُهـم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي : كنت يوماً أغنّي الوليدَ إذ ذَكر هشاماً ؛ فقال لي : غنّني بهذه الأبيات ؛ قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هلَك الأحول المَشُو مُ فقـد أُرسل المطرْ
ثُمّتَ استُخْلِف الوليـ ـد فقد أَوْرق الشجرْ

[أخذ الشعراء معانيه]

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلَخوا معانيها ، وأبو نواس خاصّة فإنّه سلخ معانيه كلَّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه . ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها ها هنا ، على أنّها تنبيء عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال أنشدني أبو غَسّان وغيرُه للوليد ، وكان أبو غسّان يكاد أن يرقص إذا أُنشدها : [من المنسرح]

إصْدَعْ نجيَّ الهموم بالطرب وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ

الأبيات التي مضت متقدّماً . وهذا من بديع الكلام ونادره ؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما .

ومن جيّد معانيه قوله : [من الطويل]

1 ديوان الوليد : ص 77 ، رقم 85 .
2 ديوان الوليد : ص 40 ، رقم 36 .

رأيتُك تَبنـــي جاهــداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدَّمتَ ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمر وللوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال : [من الطويل]

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حين تفزَعُ

وكانوا إذا هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهم حسَرتُ لهـم رأسي فلا أتقنّعُ

ومن نادر شعره قوله لهشام[1] : [من الوافر]

فإن تــك قــد مَلِلتَ القربَ منّي فسوف تَـرى مُجانبتي وبعدي

وسوف تَلـوم نفسَك إن بقِينا وتبلـو الناسَ والأحـوالَ بعدي

فتنــدَمُ في الذي فرّطــتَ فيـه إذا قايستَ في ذمّـــي وحمدي

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا ابن مَهْرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدّثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قال حدّثني الهَيْثم بن عمران قال سمعتُه يقول : لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق : [من الطويل]

ضمِنتُ لكم إن لم تَرُعْنِي منيّتي بـأنّ سمــاء الضرّ عنكـم ستُقلِعُ

[رسالة إلى أهل المدينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له[2] : [من الطويل]

مُحَرَّمُكُم ديوانُكـم وعطاؤكـــم بـه يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ

ضمِنتُ لكم إن لم تصابوا بمهجتي بأنّ سمـاء الضـرّ عنكم ستُقلِعُ[3]

وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

ألاَ أيّها الركـب المُخِبّون أبلغوا سلامـــيَ سُكّانَ البـلاد فأسمِعوا

وقولـــوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً بوالـــده فاستبشِروا وتوقّعـــوا

1 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 30 .

2 ديوان الوليد : ص 54–55 ، رقم 56 .

3 . . . تصابوا بمهجتي في الديوان : ضمنت لكم إن لم تَعُقْني عوائق .

سيُوشِك إلحاقٌ بكم وزيادة ... وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لمّا خرج عليه زيد بن عليّ رضي الله عنه منع أهلَ مكّة وأهل المدينة أعْطِياتِهم سنةً . فقال حمزة بن بَيْض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال : [من الطويل]

وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعد ما ... زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِعُ

فليت هشاماً كان حيّاً يسوسنا ... وكنّا كما كنّا نُرجّي ونطمعُ

[اجتماعه مع أهله يوم بيعته]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لمّا ولِي الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ قالوا لا ؛ قال : ليَقُلْ قائلُكم ؛ فقال رجل منهم : أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدَّد الله لك من نعمته وإحسانِه ؛ فقال : نعم ، ولكني[1] : [من الخفيف]

أُشهِد اللهَ والملائكةَ الأبـ ... ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ

أنني أشتهي السَّماعَ وشربَ الـ ... ـكأس والعضَّ للخدود الملاحِ

والنديمَ الكريم والخادمَ الفا ... رِهَ يسعى عليّ بالأقداحِ

قوموا إذا شئتم .

[اشترى جارية غنته]

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال : عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد ، فقال لها : أيّ شيء تُحسنين ؟ فقالت : أنا مغنّية ؛ فقال لها : غنّيني ، فغنّت : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم ... لكان في إظهاره مَخْرَجُ

أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحِجُ

لكن سباني منكُم شادنٌ ... مُرَبَّبٌ ذو غُنّة أدعجُ

أغرُّ مَمكورٌ هَضِيمُ الحَشَى ... قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُجُ

الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وفيه لدَحْمانَ

1 ديوان الوليد : ص 30 ، رقم 22 .

هَزَج بالوسطى ؛ وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكّيّ ، فطرب طرباً شديداً وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممَّن أخذتيه ؟ قالت : من حُنَيْن . قال : وأين لقِيتِه ؟ قالت : رُبيتُ بالعراق وكان أهلي يَجيئون به فيُطارحني . فدعا صاحبَه فقال : اذهب فابتعْها بما بلغتْ ولا تُراجعني في ثمنها ففعل ؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .

[شرب مع محمد بن سليمان بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا العبّاس بن الوليد قال حدّثنا ضَمْره قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة ؛ فسأل صاحبَ الدَّيْر : هل نزل بك أحدٌ من بني أميّة ؟ قال : نعم ، نزل بي الوليد ابن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأيّ شيء صنعا ؟ قال : شربا في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلمَّ نشرب بهذا الجُرْن ، وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام ، قال : أفعَلُ ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثمِلا . فقال عبد الوهاب لمولًى له أسود : هاتِه . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدَّة ، فذهب يحرِّكه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانِه وكلٌّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث .

[سعد بن مرة يمدحه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : وفَد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثير بن الصَّلْت ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد ، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له ، فصاح به ، يا أمير المؤمنين ، وافدُك وزائرك ومؤمِّلُك ؛ فتبادر الحرسُ إليه ليصدّوه عنه ، فقال : دَعوه ، أُدْنُ إليّ فدنا إليه ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منّي أربعة أبياتٍ ؛ قال : هاتِ .

صوت

[من الكامل]

شِمْنَ المَخايِلَ نحوَ أرضِك بالحيَا ... ولَقِين ركباناً بعُرْفك قُفّلا

قال : ثم مَهْ ؛ قال :

فعمَدن نحوَك لم يُنخْن لحاجة ... إلاّ وقوعَ الطير حتى ترْحلا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدن نحو مُوطِّيءِ حجراتِـه كَرَمـاً ولم تعدِل بذلك مَعْدِلا

قال : فقد وصلتَ إليه ، فَمَهْ ؛ قال :

لاحت لهـا نيرانُ حَيَّيْ قَسْطلٍ فاخترن نـارَك في المنازلِ منزلا[1]

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أُنْجحتْ وِفادتُك ، ووجبتْ ضيافتك ؛ أعطوه أربعة آلاف دينار ؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

[مسلمة بن هشام وزوجته]

رجعتِ الرواية إلى حديث المدائنيّ قال : لمّا قدِم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هِشَام وولدِه سوى مَسْلَمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألاّ يعرضَ له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أمُّ سَلَمة بنت يعقوب المَخْزوميّة ، وكان مَسْلمة يشرب . فلمّا قدم العبّاسُ لإحصاء ما كتب إليه الوليدُ ، كتبتْ إليه أُمّ سَلَمة : ما يُفِيق من الشّراب ولا يهتمّ بشيءٍ مما فيه إخوتُه ولا بموت أبيه . فلمّا راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنَّبه وعاتبه على الشراب ، فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : كتبتْ إليّ به أُمّ سَلَمة ؛ فطلّقها في ذلك المجلس ، فخرجت إلى فِلَسطين ، وبها كانت تنزل ، وتزوّجها أبو العبّاس السفّاح هناك .

[طلق زوجته سعدة وهام بأختها سلمى]

وسَلْمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ؛ وأُمّها أُمُّ عمرو بنت مروان بن الحَكَم ، وأُمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ.

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم وعن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء : أنّ يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قُرَيْن[2] مُتَبدِّياً به ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ؛ وكانت بنته أُمّ عبد الملك ، واسمها سَعْدة ، تحت الوليد بن يَزيد . فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائداً ، فدخل فلمَح سَلْمى بنت سعيد أختَ زوجته ، وسترها حواضِنُها وأختها فقامت ففرَعتْهنّ طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلّق أُمَّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى إلى أبيها .

1 قسطل في ل : فاصطلى . قسطل : قرية في البلقاء .

2 قرين : موضع باليمامة .

وكانت لها أخت يقال لها أُمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثتْ إلى أبيها ، وقيل : بعث إليه هشام : أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكِح هذه ؟ فلم يزوِّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ . وهوِيها الوليد ورام السلوَّ عنها فلم يَسْلُ ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ، خطبتُ إليه فردّني ، ولو قد مات هشام ووَلِيتُ لزوّجني ؛ وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنّه لما طلّق سَعْدة ندِم على ذلك وغمّه . وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصُل له سَلْمَى ؛ فاهتمّ لذلك وجزِع . وراسل سَعْدة ، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك .

[توسط أشعب عند سعدة]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهْم قال حدّثنا المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغَ رسالتي سَعْدَةَ ؛ فقال : أحضِر العشرةَ الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعبُ على عنقه وقال : هات رسالتك ؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين[1] : [من الوافر]

أسَعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تَلاَقي
بَلَى ولعلَّ دهراً أن يُؤاتي ... بموت من حَليلك أو طلاقِ
فأُصبحَ شامتاً وتَقَرَّ عيني ... ويُجمعَ شملُنا بعد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرتْ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففُرشت وجلست وأذِنتْ له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخَدَمها : خذوا الفاسقَ ! فقال : يا سيّدتي إنّها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني ؛ قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ، ثم قال : هات رسالتك جُعِلتُ فِداك ؛ قالت : قل له[2] : [من الطويل]

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد ؛ فقال : هِيه ، فأنشده البيت : فقال : أَوَّهْ قتلتني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا ابن الزانية ، إمّا أن أُدلِّيَكَ على رأسك

---

1 ديوان الوليد : ص 108 ، رقم 7 وفيه أنّها تنسب أيضاً إلى غيره .

2 سيأتي هذا البيت في ترجمة قيس بن ذريح برواية مختلفة ، 9 : 151–152 .

منكَّساً في بئر أو أرمي بك منكَّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً ، هذا الذي أنا صانع ، فاختَرْ أنت الآن ما أنت صانع ؛ فقال : ما كنتَ لتفعلَ شيئاً من ذلك ؛ قال : ولِمَ يا ابن الزانية ؟ قال : لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سَعْدة . قال : أَوَّهْ ! أفلتَّ والله بهذا يا ابن الزانية ! أُخرجْ عنّي . وقال الحسن في روايته : إنها قالت له أنشِدْه : [من الطويل]

أتبكـي على لُبْنى وأنت تركتها ... وأنت عليهـا بالمَـلاَ كنتَ أقدرُ[1]

وفي هذه الأبيات غناءٌ هذه نسبتُه :

صوت

أرى بيت لُبْنَى أصبح اليومَ يُهجرُ ... وهِجرانُ لبنى يا لكَ الخيرُ مُنْكَرُ

فـإن تكـن الدنيـا بلُبْنى تغيّرت ... فلِلدّهـر والدنيـا بطـونٌ وَأَظْهُرُ

أتبكـي على لُبْنَى وأنــت تركتَها ... وأنت عليهـا بالحَـرَا كنتَ أقدرُ

عروضُه من الطويل . والشعر لقَيْس بن ذَرِيح . والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيهما لعَريب رملٌ بالبنصر . وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهِشاميّ . وفي الأوّل خفيفُ ثقيلٍ مجهول .

[تزيا بزي زيات ليرى سلمى]

قال ابن سَلاَّم والمدائنيّ في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى لعلّه يراها ؛ فلقِيه زيّات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكّراً حتى دخل قصرَ سعيد ، فنادى : من يشتري الزيت ؛ فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن إلى سَلْمى وقُلْنَ : إنّ بالباب زيَّاتاً أشبهَ الناس بالوليد ، فاخرجي فانظري إليه ؛ فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآني ! فقلن له : لا حاجةَ بنا إلى زيتك ؛ فانصرف وقال[2] : [من مجزوء الرمل]

إننـي أبصرتُ شيخاً ... حسنَ الوجـه مليحْ

ولِباسي ثوب شيخٍ ... مـن عباءٍ ومُسوحْ[3]

---

1 الملا : اسم موضع .

2 ديوان الوليد : ص 28 ، رقم 19 .

3 ديوان الوليد : لابساً أثواب سوء (طبعة دار الكتاب الجديد) .

وأبيعُ الزيت بيعاً خاسراً غيرَ رَبيحْ

وقال أيضاً[1] : [من الوافر]

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأشهى من مُجاجة ريقِ سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ
ولا والله لا أنسى حياتي وَثَاقَ الباب دوني واطِّراحي

قال : فلما ولي الخلافةَ أَشْخص إلى المغنّين : فحضَروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم ؛ فغنّاه قولَه :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغنّاه :

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيل

الأبياتَ ، فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الوافر]

فما مسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ

غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحماد بن إسحاق .

[تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة]

قال المدائني وابن سَلاَّم : فلمّا طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد : [من الوافر]

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيبُ الرشدَ في صلتي هُدِيتا
فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيْتةً ومَيْتا[2]

قالوا : فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافةَ ، فلما وليها زوّجه إياها ؛ فلم يلبث إلاّ مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلةَ زُفّت إليه[3] : [من مجزوء الخفيف]

---

1 ديوان الوليد : ص 31 ، رقم 23 .
2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 11 . الديوان : فأشكر منك ذا المسدى وتحيي .
3 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

خـفَّ من دار جيرتي يـا ابـن داود أُنْسُهـا

وهي طويلة . وفيها ممّا يغنَّى به :

أَوَ لا تخـرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قـد دنا الصبح أو بَدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها
بـرزت كالهـلال في ليلـةٍ غـاب نحسُها[1]
بـين خمس كواعبٍ أكرمُ الخمسِ جنسُها

غناءُ ابنِ سُريج ، فيما ذكره حَبَش ، رملٌ بالبنصر ، أوّله :

خَـفَّ من دار جيرتي

وغناء معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ ، أوّله :

ومتى تخرج العرو سُ

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ . وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأخَر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب إلى حَكَم وإلى أبي كامل وإلى عمر .

[غنى حكم الوادي بشعره للمهدي]

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة ، فأخرج دفّاً له فنقر فيه وقال : أنا ، أطال الله بقاءك ، القائل[2] : [من مجزوء الخفيف]

ومتى تخرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قد دنا الصبحُ أو بـدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها

قال : فتسرّع إليه الحرس ، فصِيحَ بهم ، وإذا هو حكم الوادي ؛ فأُدخل إليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف .

نسبة أوَلا تخرج العروس . قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الواديّ . وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق ؛ وذكر حكم الواديّ أنّ الهزج له ؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَم خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى . وقال في كتاب يحيى : إنّ هذا اللحن لعمر الواديّ .

1 برزت كالهلال في الديوان : خرجت كالمهاة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدّلال خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر .

[رثاؤه سلمى]

وقال المدائني : مكثتْ عنده سَلْمَى أربعين يوماً ثم ماتت ؛ فقال : [من الوافر]

أَلَمّا تعلَمـا سَلْمى أقامت مُضَمَّنةً مـن الصحراء لحدا

لعمرك يا وليدُ لقـد أجَنّـوا بها حَسَباً ومَكرُمَةً ومجدا

ووجهاً كان يقصرُ عن مداه شعاعُ الشمس أَهْلٌ أن يُفدَّى

فلـم أَرَ ميّتـاً أَبْكَى لعـينٍ وأكثر جازعـاً وأجلَّ فقدا

وأجدرَ أن تكونَ لديه مِلْكاً يُريك جَـلاَدةً ويُسِرّ وَجْدا

[شعره في سلمى]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنّى المغنّون فيها منها[1] : [من الهزج]

صوت

عرفـتُ المنزلَ الخالي عفـا من بعد أحوالِ

عفَـاه كلُّ حَنّـانٍ عَسُوفِ الوَبْـل هَطّالِ

لسلمـى قـرّةِ العين وبنـتِ العـمّ والخالِ

بذلـتُ اليومَ في سلمى خِطاراً أتلفـتْ مالي[2]

كأنّ الريـق من فِيها سَحيـقٌ بين جِرْيالِ[3]

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رَمَلٌ ذكر الهشاميّ أنّه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيتَه[4] : [من الوافر]

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السِّنونُ

---

1 ديوان الوليد : ص 71 ، رقم 76 عن الأغاني .

2 الخطار : جمع خَطَر وهو ما يتراهن عليه .

3 السحيق : المسلك . والجريال : صفوة الخمر .

4 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 97 .

أُمِيتُ السرَّ حفظاً يا سليمى   إذا ما السرّ باح به الحَزُونُ[1]

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل . وفيه لابن سريج ، ويقال للغريض ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقيل : إنّه لحكم أو لعمر الوادي .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أراني قد تصابيتُ   وقد كنت تناهيتُ
ولو يترُكني الحبُّ   لقد صمت وصلّيتُ
إذا شئتُ تصبّرتُ   ولا أصبر إن شيتُ
ولا والله لا يصبـ   ـر في الدّيْمومة الحُوتُ[3]
سليمى ليس لي صبر   وإن رخَّصتِ لي جيتُ
فقبّلتُك ألفين   وفدّيت وحيَّيْتُ
ألا أحْبِبْ بزَوْرٍ زا   ر من سلمى ببيروتِ[4]
غزالٌ أدْعَجُ العين   نقيُّ الجيدِ واللِّيتِ

غنّاه ابنَ جامع في البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى ، وغنَّاه أبو كامل في الأبيات كلّها على ما ذكرت بَذْلُ ولم تجنسه . وغنّى حَكَم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

ومنها[5] : [من المديد]

صوت

عتَبتْ سَلْمى علينا سَفاها   أن سَبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قومُ منّي   ليس منها كان قلبي فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبي   لأبي سلمى خلافَ هواها
فثكِلتُ اليومَ سلمى فسلمى   ملأت أرضي معاً وسماها

1 الحزون : الكثير الحزن .
2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 12 عن الأغاني .
3 الديمومة : الصحراء البعيدة .
4 في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء . رواية معجم البلدان (1 : 525) :
ألا يا حبّذا شخص   حمت لقياه بيروتُ
5 ديوان الوليد : ص 91 ، رقم 105 عن الأغاني .

غير أني لا أظـن عـدوّاً قـد أتاهـا كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبَـى لدينـا وقَلّتْ أبـداً حتـى أنـال رضاها

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنّه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

[خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال: لقي سعيد بن خالد الوليدَ بن يزيد وهو ثَمِلٌ؛ فقال له: يا أبا عثمان؛ أتَرُدُّني على سلمى! وكأني بك لو قد وَلِيتُ الخلافة خطبتَني فلم أجِبْك؛ وإن تزوّجتُها حينئذ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت؛ فأمصَّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا. وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه؛ فقال: [من المديد]

عتبتْ سلمى علينا سفاهـا أن هجوتُ اليوم فيها أباها

وذكر الأبيات. وقال أيضاً في ذلك[1]: [من الوافر]

صوت

على الدُّور التي بَلِيتْ سَفَاهـا قِفَـا يـا صاحبـيّ فسائِلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوقٌ وأخضل دمـعُ عينك مأْقِياها
وقالـت عند هجوتنـا أباهـا أردتَ الصُّرمَ فانتَـدِه انتِداها
أردتَ بعادَنَا بهجـاء شيخي وعندك خُلّـةٌ تبغـي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ فهَبْها خُطّـةً بلغـت مَداها

غنّاه مالك بن أبي السَّمْح خفيفَ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وللهُذَلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ؛ وذكر حبش: أنّ الثقيل الثاني لإسحاق، يعني بقوله: [من الوافر]

أردتَ بعادنـا بهجـاء شيخي

أنّه كان هجا سعيد بن خالد، فقال[2]: [من الطويل]

1 ديوان الوليد: ص 90، رقم 104.
2 ديوان الوليد: ص 36، رقم 31.

ومن يكُ مفتاحاً لخير يريده فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالدِ

قال المدائني : لمّا غضِبَتْ سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله[1] : [من مجزوء الوافر]

ألا أبْلِغْ أبا عثما ن عِذْرةَ مُعْتِبٍ أسفا
فلستُ كمن يودّك بالـ ـلسان ويُكثر الحَلِفا
عَتبتَ عليّ في أشيا ء كانت بيننا سَرَفَا
فلا تُشمِتْ بي الأعدا ءَ والجيرانَ ملتهِفا
تودّ لَوَ انّني لحمٌ رأته الطير فاختُطفا
ولا ترفعْ به رأسا عفا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

خبَّروني أن سلمى خرجتْ يومَ المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مليحٌ فوق غصن يتفلّى
قلتُ من يعرف سلمى قال ها ثم تعلّى
قلتُ يا طير ادْنُ منّي قال ها ثم تدلّى
قلتُ هل أبصرتَ سلمى قال لا ثم تولّى
فنكا في القلب كَلْماً باطناً ثم تعلّى[3]

فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق ، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي ، وذكر حبش أنه لدَحْمان .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

اسقِني يا ابن سالم قد أنارا كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
اسقِني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديمَ كأساً عُقارا

---

1 ديوان الوليد : 58 ، رقم 60 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : ص 67 ، رقم 71 .
3 نكا : مسهل نكأ . ونكأ : قشر مكان الجرح قبل التئامه .
4 ديوان الوليد : ص 42 ، 39 .

غنّاه ابن قندح ثانيَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

[شعر ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني أبي : أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائلُه أنه شعر مَلِكٍ ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرىء القيس :

أمِن أجل أعرابيّة حــلّ أهلُها جَنُوبَ المَلاَ عينـاكَ تَبْتَدِرانِ

قال : وما في هذا مما يدلّ على مُلْكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر ، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة ؛ ثم قال : الشعر الذي يدُلّ على أنّ قائله مَلِكٌ قولُ الوليد : [من الخفيف]

اسقِنـي من سُلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديمَ كأساً عقارا

أمَا ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله : [من مجزوء المتقارب]

لِيَ المحضُ من ودّهم ويغمُرهـم نائـلي

وهذا قول من يقدِر بالمُلْك على طَوِيّات الرجال ، يبذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبلِه غناءٌ وهو قوله[1] : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْـتُ أبـا كامـلٍ مـن الأصفـر البابلي

وسقَّيتُهـــا معبـــداً وكلَّ فتـــى بـــازلِ

لي المحضُ من ودّهم ويغمُرهـــم نائـــلي

فمـــا لامنـــي فيهـــمُ سوى حاسدٍ جاهلِ

غنّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من مُلَح شعره[2] : [من الوافر]

صوت

أراني اللهُ يـــا سلمى حياتـــي وفي يـــوم الحساب كما أراكِ

1 ديوان الوليد : ص 72 ، رقم 78 .

2 ديوان الوليد : ص 62 ، رقم 66 .

ألاَ تَجْزِين مَنْ تيّمتِ عصراً ... ومَــن لو تطلبين لقد قضاكِ[1]
ومَنْ لو مُتِّ مات ولا تموتي ... ولــو أُنْسي لــه أجــلٌ بكاكِ[2]
ومَنْ حَقّاً لَوُ اعْطِي ما تمنّى ... من الدنيا العريضة مــا عداكِ
ومَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ فأطاق موتاً ... إذاً ذاق المماتَ ومــا عصاكِ
أَثِيبِــي عاشقــاً كَلِفــاً مُعنًّى ... إذا خدِرت لــه رِجلٌ دعاكِ

كانت العرب تقول : إنّ الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا باسم أحبِّ الناس إليه فسكنتْ . في الخبر أنّ رِجْل عبد الله بن عمر خدِرتْ ؛ فقيل له : ادع باسم أحبّ الناس إليك ؛ فقال : يا رسولَ الله ، صلّى الله على رسول الله وعلى آله وسلم . ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لسِنَان الكاتب ، وذكرت دَنَانِيرُ أنّه لحكم ولم تجنّسه .

ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لــو تَراني ... لَعَنَاهــا مــا عَنــاني
مُتلِفاً في اللهــو ما لي ... عاشقاً حُــورَ القِيانِ
إنّمــا أحــزن قلبــي ... قــولُ سلمى إذ أتاني
ولقـد كنــتُ زمانــاً ... خــاليَ الذّرعِ لشاني
شاق قلبــي وعنــاني ... حبُّ سلمــى وبراني
ولَكَــمْ لام نصيحٌ ... في سليمــى ونهــاني

غنّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد ؛ وهو فيما يذكُر إسحاق يُشْبه غناءه وليس تُعرف صحّتُه له ، وذكر كَثير[4] الكبير أنّه له ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن المكيّ . وفيه لحَكَم هَزَجٌ صحيح .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

1 عصراً في الديوان : عمراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 أُنسي في الديوان : وإن ينسأ (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 ديوان الوليد : ص 86 ، رقم 99 .
4 ل : كنيز .
5 ديوانه : ص 77 ، رقم 86 عن الأغاني .

صوت

بلِّغا عنِّـــي سليمى وسلاهــا لِيَ عمّـا
فعلتْ في شأن صبٍّ دَنِـفٍ أُشْعِرَ هَمّـا
ولقد قلــت لسلمى إذ قتلتُ البيـنَ علما
أنتِ همِّي يـا سليمى قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قَسْراً منزلاً قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ . ولعمرَ الوادي فيه خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

يا سُلَيْمَى يـا سليمى كنـتِ للقلبِ عذابا
يا سليمـى ابنةَ عمّي بَـــرد الليـلُ وطابا
أيُّما واشٍ وشَى بي فاملَئِـي فـاهُ ترابا
ريقُها في الصبح مسك باشَر العـذْب الرُّضابا

غنّاه عمر الوادي هزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان . وفي كتاب إبراهيم أنه لعَطَرَّد .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أَسَلْمَى تلـك حُيِّيتِ قِفِي نُخْبِرْكِ إن شِيتِ
وقِيلِـي ساعــةً نَشْكُ إليك الحـبَّ أو بِيتي
فمـا صهباءُ لم تُكْسَ قَذًى من خمر بيروتِ
ثــوَتْ في الدَّنّ أعواماً ختيمــاً عنـد حانوتِ

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها[3] : [من الكامل]

1 ديوان الوليد : ص 14–15 ، رقم 3 عن الأغاني .
2 ديوانه : ص 24–25 ، رقم 15 عن الأغاني .
3 ديوانه : ص 37 ، رقم 32 .

صوت

يا مَن لقلب في الهوى مُتشعِّبِ بل مَنْ لقلب بالحبيب عميدِ
سَلْمَى هواه ليس يعرف غيرَها دون الطَّريف ودون كلِّ تليدِ
إنّ القرابــة والسعادة ألَّفـا بين الوليــد وبين بنت سعيدِ[1]
يا قلب كم كلِف الفؤادُ بغادةٍ مَمْكورةٍ رَيّــا العظام خَرِيدِ

غنّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها[2] : [من الرمل]

صوت

قــد تمنَّى معشرٌ إذ أُطرِبوا مــن عُقَــار وسَوَامٍ وذَهَبْ
ثــم قالــوا لي تَمَنَّ واستمِعْ كيف ننحو في الأماني والطلبْ
فتمنّيــتُ سليمــى إنهـــا بنت عمّي من لَهَامِيم العربْ[3]

فيه للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ هذا الخفيف الثقيل لخالد صامَةَ . وذكر ابن المكيّ أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

هــل إلى أمِّ سعيــدِ مــن رسول أو سبيلِ
ناصحٍ يُخبــر أنّــي حافـظٌ وُدَّ خليــلِ
يَبـذُل الــودَّ لغيري وأُكافــي بالجَميــلِ
لستُ أرضى لخليلي مــن وصالي بالقليلِ

غنّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

1 السعادة في الديوان : والمودّة (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 ديوان الوليد : ص 14 ، رقم 2 عن الأغاني .
3 اللهاميم : جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل .
4 ديوانه : ص 72 ، رقم 77 عن الأغاني .
5 ديوان الوليد : ص 26–27 ، رقم 18 عن الأغاني .

صوت

طاف من سلمى خيالٌ بعد مـا نِمتُ فهاجا
قلت عُجْ نحوي أُسائِلْ ـــك عن الحبّ فعاجا
يا خليلي يـا نديمي قم فأُنفُثْ لي سراجا[1]
بفلاةٍ ليس ترعـــى أنبتَتْ شِيحاً وحاجا[2]

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى عن حَبَش . ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْدَاذْبه .

ومنها[3] : [من الرمل]

صوت

أُمَّ سَلاَّمٍ أثيبـي عاشقاً يعلـم اللهُ يقيناً ربُّـــه
أنّكم من عَيْشه في نفسه يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه
فارحميه إنه يَهْذي بكم هائمٌ صبٌّ قَدَ آوْدَى قلبه
أنتِ لو كنتِ له راحمةً لم يُكدَّر يا سليمى شِرْبُه

غنّاه حَكَمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن سريج رملاً بالوسطى .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

ربّ بيتٍ كأنّه متـن سهم سوف نأتيه من قُرى بيروتِ
مـن بلادٍ ليست لنا ببلاد كلمـا جئت نحوهـا حُيِيتِ
أمَّ سلاّمَ لا بَرِحْـتِ بخير ثم لا زلتِ جنّتي مـا حَيِيتِ
طربـاً نحوَكم وتَوْقاً وشوقاً لآدّكَارِيكُمُ وطيبِ المبيتِ
حيثما كنتِ من بلادٍ وسرتم فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ ،

1 أنفث : قطع همزة الوصل للضرورة .
2 الحاج : نبت من الحمض .
3 ديوانه : ص 18 ، رقم 6 عن الأغاني .
4 ديوانه : ص 25 ، رقم 16 عن الأغاني .

وذكر غيره أنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى ، ولابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وقيل : إنّ الرّمل لعمر الوادي ، وهو أن يكونَ له أشبه .

ومنها[1] : [من المديد]

صوت

طرَقَتْني وصِحابـي هُجُـوعٌ ظبيةٌ أدْمـاءُ مثـلُ الهـلالِ
مثلُ قرن الشمس لمـا تبدّت واستقلّـت في رؤوس الجبالِ
تقطع الأهوالَ نحوي وكانت عندنـا سلمى أَلُوفَ الحِجالِ
كم أجازت نحوَنـا من بـلاد وَحْشةٍ قَتّالـةٍ للـرجالِ

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث . ولابن سريج في الأوّل وما بعده خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشاميّ أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي .

ومنها[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـا الوليـدُ الإمـامُ مفتخِراً أُنْعِم بـالي وأَتْبَـع الغَـزَلا
أهوَى سُلَيمى وهي تصرِمني وليس حَقّـاً جَفاء من وصلا
أسحَب بُـرْدي إلى منازلهـا ولا أُبـالي مقـالَ من عذَلا[3]

غنّى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر . وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ويقال إنّ هذا اللحن للوليد .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال الوليد على لسان سلمى[4] : [من الخفيف]

صوت

إقْـرَ منّـي على الوليد السلاما عـددَ النجم قـلْ ذا للوليدِ
حسداً ما حسَدتْ أختي عليه ربُّنـا بيننـا وبـين سعيدِ

غنّاه الهذليّ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى عن ابن المكيّ .

1 ديوان الوليد : ص 73 ، رقم 79 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : 68 ، رقم 72 .
3 أسحب بُردي إلى منازلها في الديوان : أنقلُ رجلي إلى مجالسها (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 ديوانه : ص 37 ، رقم 33 .

[غضب على جاريته صدوف ثم صالحها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرَشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثنا العتبيّ قال : كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف ؛ فغَاضَبها ، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبرَه ، فَبرِم به ؛ فأنشده : [من الكامل]

أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ ... وعتابُ مثلِـك مثلُهـا تشريفُ
لا تَقعُدَنَّ تلـوم نفسك دائمـاً ... فيهـا وأنـت بحبّهـا مَشغوفُ
إن القَطيعـة لا يقـوم لمثلهـا ... إلا القـويّ ، ومن يحبّ ضعيفُ
الحبّ أملَكُ بالفتـى من نفسه ... والذلّ فيـه مَسْلَـك مألوفُ

قال : فضحِك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها .

[استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حمّاد الرَّاوِيةُ : إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفيْن لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدِمتُ عليه ، فلما دخلتُ داره قال لي الخدم : أميرُ المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلّمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حَمّاد ؛ قلت : لَبَّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : «ثم ثاروا» ؛ فلم أدر ما يَعْني فقال : وَيْحَك يا حَمّاد ! «ثم ثاروا» ؛ فقلتُ في نفسي : راوِية أهل العراق لا يدري عمّا يُسأل ! ثم انتبهتُ فقلت : [من الخفيف]

ثم ثـاروا إلى الصَّبُوح فقامت ... قَيْنـةٌ في يمينهـا إبريـقُ
قدّمتْه على عُقـارٍ كعـين الـ ... ـدّيك صفّى سُلافهـا الرَّاوُوقُ
ثمّ فُضَّ الخِتامُ عن حاجب الدَّ ... نّ وقامت لَدَى اليهوديّ سُوقُ
فسباهـا منـه أشمُّ عزيـز ... أريحـيٌّ غـذَاه عيش رقيـقُ

الشعر لعديّ بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ رمل ، كل ذلك عن الهشاميّ . قال : فإذا جارية قد أخرجتْ كفّاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح ، والله ما أدري أيُّهما أحسن الكفُّ أم القدح ؛ فقال : رُدِّيه فما أنصفناه ! تغدّينا ولم نُغدِّه ! فأُتِيتُ بالغداء ، وحضر أبو كامل مولاه فغنّاه[1] : [من مجزوء الرمل]

1 ديوان الوليد : ص 48–49 ، رقم 48 .

صوت

أَدِرِ الكـأسَ يميـنـا   لا تُدِرْهـا لِيَسارِ
إِسْقِ هـذا ثـم هذا   صاحبَ العُود النُّضارِ
مـن كُمَيْت عتَّقوهـا   منـذُ دهـر في جـرَارِ
خَتموهـا بالأَفَاوِيـ   ـه وكافـورٍ وقـارِ
فلقـد أيقنـتُ أنّـي   غيرُ مبعـوث لنـارِ
سأروضُ الناسَ حتـى   يركبوا أَيْـرَ الحمارِ[1]
وذَرُوا من يطلب الجـ   ـنة يَسعـى لِتَبَارِ[2]

فيه هزجانِ بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل ، فطرِب وبرَز إلينا وعليه غِلالة موَرَّدةٌ ، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف ؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

[حكايات تروى عن تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : لما ولي الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء والشَّراب والصيد ، وحمَل المغنّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشْعب فجاء به ، فألْبَسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب ، وقال له : ارقُصْ وغنّني شعراً يُعجبني ؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم ؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .

ودخل إليه يوماً ، فلمّا رآه الوليد كشف عن أيْره وهو مُنعِظٌ ، قال أشعب : فرأيتُه كأنّه مزمار آبِنُوس مدهون ، فقال لي : أرأيتَ مثلَه قطّ ؟ قلت : لا يا سيّدي ؛ قال : فاسجُدْ له ، فسجدت ثلاثاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدةً لأيْرك وثِنْتيْن لخُصْيَتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعضُ جلسائه والمغنية تغنّي ، فكرِه ذلك وأضجَره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكْهُ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنّه واقعها يوماً وهو سكرانُ ، فلمّا تنحَّى عنها آذنه المؤذِّنُ بالصلاة ، فحلف ألاّ يصلّيَ بالناس غيرُها ؛ فخرجت متلثِّمةً فصلّت بالناس .

---

1 أير في ل والديوان : دين الحمار .

2 رواية الديوان : واتركا من طلب الجـ ـنّة يسعى في خسار
(طبعة دار الكتاب الجديد) .

قال : ونزل على غدير ماء فاستحسنه . فلمّا سكِر حلف ألاّ يبرحَ حتى يشربَ ذلك الغدير كلَّه ونام ، فأمر العلاءُ بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوَايا فأُحضرت ، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُبِ التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء ؛ فلمّا أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحِلوا . فارتحل الناس .

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضْر بن حديد حدَّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جَبَلة : أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيتَ ؛ فقال حين انصرف[1] : [من البسيط]

قامـــت إليّ بتقبيـــل تعانِقنـــي ... رَيَّـا العظامِ كأن المسك في فِيها

أُدْخُل فديتُك لا يشعُرْ بنـا أحدٌ ... نفسي لنفسك مـن داء تُفدِّيها

بتنـــا كذلك لا نـــومٌ على سُرُرٍ ... من شدّة الوجـد تُدْنيني وأُدنِيها

حتى إذا ما بدا الخَيْطان قلت لها ... حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها

ثم انصرفتُ ولم يشعر بنـا أحدٌ ... واللهُ عنّـي بحسن الفعل يَجْزِيها

[استسقى من بني كلب]

وحدّثني النَّضْر بن حَديد قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال : مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيّدٌ بنسوة من بني كلب من بني المِنْجاب ، فوقف عليهن واستسقاهنّ وحدّثهنّ وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول[2] : [من الكامل]

ولقـــد مـــررتُ بِنِسْوة أعشيْنَني ... حُورِ المدامعِ مـن بنـي المِنْجابِ

فيهـــنّ خَرْعبـــةٌ مليـــحٌ دلُّها ... غَرْثَـى الوِشاح دقيقـة الأنيابِ[3]

زَيْنُ الحواضر ما ثَوَتْ في حَضْرِها ... وتَزيـــنُ باديَهـــا مـــن الأعرابِ

[أطلق غزالاً صاده]

قال النَّضْر وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : أنّ الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً ، فأُتِي به فقال : خلُّوه ، فما رأيت أشبهَ منه جيداً وعينين بسَلْمَى . ثم أنشأ يقول[4] : [من الرمل]

---

1 ديوان الوليد : ص 92 ، رقم 108 عن الأغاني .

2 ديوان الوليد : ص 20 ، رقم 9 عن الأغاني .

3 الخرعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . وغرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

4 ديوانه : ص 29 ، رقم 20 .

ولقــد صِدْنَـا غــزالاً سانحاً قــد أردنـا ذبحَــه لما سَنَحْ
فــإذا شِبْهُــك مــا نُنكره حين أزجى طَرْفَــه ثم لَمَحْ[1]
فتركنــــاه ولـــولا حبُّكـم فاعلمي ذاك لقد كان انذبحْ
أنـــتَ يــــا ظبيُ طليقٌ آمِن فاغْدُ في الغِزْلانِ مسروراً وَرُحْ

[مماجنته شراعة بن الزندبوذ]

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقي قال : بعث الوليد بن يزيد إلى شُراعة[2] بن الزَّنْدَبُوذ ؛ فلمّا قدم عليه قال : يا شُرَاعة ، إني لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن ؛ قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً . قال : فكيف علمُك بالفتوّة ؟ قال : ابنُ بَجْدَتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَلْ عما شئتَ . قال : فكيف علمك بالأَشْرِبة ؟ قال : ليسألني أمير المؤمنين عمّا أَحبّ . قال : ما قولُك في الماء ؟ قال : هو الحياة ، ويَشْرَكني فيه الحمار . قال : فاللّبن ؟ قال : ما رأيته قطّ إلاّ ذكرت أمّي فاستحييتُ . قال : فالخمر ؟ قـال : تلك السارّة البارّة وشرابُ أهـل الجنة . قال : لله درّك ! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً !

[الوليد وحادثة المصحف]

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف ؛ فلمّا فتحه وافق ورقةً فيها : ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ . فقال : أسْجَعاً سَجْعا ! علِّقوه ؛ ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه ؛ ثم قال[3] : [من الوافر]

أتُوعِـد كلَّ جَبّــارٍ عنيدٍ فهــــا أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ فقــل لله مزّقنــي الوليدُ[4]

قال : فما لبِث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى قتل .

---

1 أزجى لعلّها أرخى .
2 كان أحد المجان الندماء وسيتكرّر ذكره في الأغاني .
3 ديوان الوليد : ص 35 ، رقم 29 .
4 مزقني في ل والديوان : خرقني .

[غضب على جارية لم تغن كما أمرها]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيّاش المَرْوزيّ (من أهل ذي المَرْوة) أنّ أباه حمل عدّةَ جَوارٍ إلى الوليد بن يزيد ؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسنَ الوجه والشَّعَرة وفيًّها ؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي[1] : [من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أوَ آصحاب اللِّوا الصِّيدِ

وأمرها أخوه أن تغنّي[2] : [من الوافر]

أتعجَبُ أن طربتُ لصوت حادٍ ... حدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ

فغنَّت ما أمرها به الغمر[3] ؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه ، وظنّ أنّها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه ، وعرفت الشرَّ في وجهه ، فاندفعتْ فغنّت[4] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها العاتبُ الذي خاف هجري ... وبعادي وما عَمَدْتُ لذاكا

أتُرَى أنّني بغيرك صبٌّ ... جعل الله من تظنُّ فداكا

أنت كنتَ الملولَ في غير شيء ... بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا

ولَوَ آنّ الذي عتبتَ عليه ... خُيِّر الناسَ واحداً ما عداكا

فارْضَ عنّي جُعلتُ نعليك إنّي ... والعظيم الجليل أهوى رضاكا

الشعر لعمر . والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً . قال : فسُرّي عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغنّي ما دعوتك إليه ؟ قالت : لم أكن أُحْسِنه ، وكنتُ أحسن الصوتَ الذي سألنيه ، أخذتُه من ابن عائشة ؛ فلمّا تبيّنتُ غضبَك غنّيتُ هذا الصوتَ وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به إليه .

---

1 البيت لحسّان بن ثابت في ديوانه : 349 .

2 البيت لجميل بن معمر . ديوانه : 49 .

3 ذكر أبو الفرج في الخبر أنّ أخاه الذي كان عنده هو عبد الجبّار .

4 أبيات عمر في ديوانه : 288 مع اختلاف في اللفظ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أوَ آصحاب اللِّوا الصِّيدِ
أو من بنــي نوفَلٍ أو آل مُطَّلِبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعِيدِ
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرِفوا لله دَرُّك لم تَهْمُـــمْ بتهـــديدِ

الشعر لحسّان بن ثابت ، يقوله لُمسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيْم بن مُرّة ، وخبرُه يذكر بعد هذا . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل : إنّه لمالك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

أتعجَب أن طربتُ لصوت حادِ حــدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ
فــلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسى لبثْنــة في السّواد من الفؤادِ

الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

[يشتري جارية غنته بشعر المخزومي]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّية ، فقال لها : غنِّي ، فغنّـتْ[1] : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمِّلتُ من حُبّكم لكـــان من إظهـــاره مَخْرجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أجَلْ ومن حَجّتْ له مَذْحِجُ
لكـــن سباني منهـــمُ شادنٌ مربَّـــبٌ بينهـــمُ أدْعَـــجُ
أغـــرُّ ممكـــورٌ هَضِيمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحَجْل والدُّمْلُجُ

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المَخْزوميّ . قال : فمِمَّن أخذتِ الغناء ؟ قالت : من حُنَيْن . فقال : أعِيديه ، فأعادته فأجادت ؛ فطرِب الوليد ونعَر وقال : أحسنتِ وأبي وجمعتِ كلَّ ما يُحتاج إليه في غنائك ، وأمر بابتياعها ، وحَظِيَتْ عنده .

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ، ولحنُه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر

1 تقدّم هذا الخبر في هذه الترجمة ، وهناك نسب الشعر إلى الحارث بن خالد المخزوميّ (صفحة 20) .

الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ .

وممّا يغنّى به من هذه القصيدة : [من السريع]

صوت

قد صـــرّح القوم وما لَجْلَجُوا لَجُّوا علينا ليـــت لم يَلْجَجُوا

باتـــوا وفيهـــم كالمَهَـــا طَفْلَةٌ قد زانهـــا الخلخـــال والدُّمْلُجُ

غنّاه صباح الخَيّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر . وغنّى فيه ابن أبي الكَنّات خفيفَ ثقيل بالوسطى .

[حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض]

فأمّا خبر الشعر الذي قاله حَسّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحد بني تَيْم بن مُرّة ، فأخبرني به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن : أنّ عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز اشتريَا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممّن سُبِي ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَما . فمرّ بهما طلحة بن عُبيد الله وهو يريدُ الصلاةَ في مسجد رسولِ الله ﷺ فقال : ما لابن مَعْمَرٍ يُلاَزَم ؟ فأُخْبِر خبرَه ؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقضى عنه . فقال ابن معمر لابنِ عامر : إنّها إن قُضيتْ عنّي بقِيتَ مُلازَماً ، وإن قضيتْ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي ؛ فدفع إليه الأربعين ألفاً درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيلُه . فمرّ طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال : ما لابن معمر ؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه ! فأُخْبِر بما صنع ؛ فقال : أمّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عمّ لا يُسْلِمه ، إحمِلوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ، ففعلوا وخُلِّي سبيلُه . فقال حَسّان بن ثابت لُمسافِع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة : [من البسيط]

يـــا آلَ تَيْـــم ألاَ تَنْهَوْن جاهلَكم قبـلَ القِـذاف بصُـمٍّ كالجلاميدِ

فَنَهْنِهُـــوه فإنّـي غيـرُ تارككم[1] إن عاد ما اهتزَّ ماءٌ في ثَرَى عودِ

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أوَ اصحاب اللِّوا الصِّيدِ

أو مـــن بنـــي نوفل أو آل مُطَّلِبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاعيدِ[2]

---

1 نهنهوه : ازجروه وكفوه .

2 الجلاعيد : الشداد الصلاب .

أو من بني زُهْرَةَ الأبطال قد عُرِفوا ... لله دَرُّك لم تَهْمُمْ بتهديدِ
أو في الذُّؤابة من تَيْم إذا انتَسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيدِ
لكن سأصرفها عنكم وأعدِلُها ... لطلحةَ بن عبيد الله ذي الجودِ

رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد

[الوليد وأبو الأقرع]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهَيْثم ابن عَيّاش قال : دخل أبو الأقرع[1] على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشِدْني قولَك في الخمر ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأس وَرْدةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ
تُرِيك القَذَى من دونها وهي دونَه ... لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها .

[إعجابه بأم حبيب]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائنيّ : نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلمّا رآها أعجبتْه وراعه جمالُها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّما هاج لقلبي ... شَجْوَه بعد المَشيبِ
نظرةٌ قد وقَرَتْ في الـ ... ـقلب من أمّ حبيبِ
فإذا ما ذقتُ فاها ... ذقت عذباً ذا غُروبِ[3]
خالط الراحَ بمسك ... خالصٍ غير مشوبِ

غنّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّه للأبجر ، وهو الصحيح .

---

1 سيترجمُ له أبو الفرج فيما بعدُ .

2 ديوان الوليد : ص 19–20 ، رقم 8 عن الأغاني .

3 الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الأسنان : مناقع ريقها .

[الوليد بن يزيد في آخر دولته]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن العُتْبيّ قال : لمّا ظهرت المُسوِّدَةُ[1] بخُرَاسان كتب نصر بن سَيَّار إلى الوليد[2] يستمدّه ، فتشاغَل عنه ؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول : [من الوافر]

أرى خَلَلَ الرَّماد وَمِيضَ جمرٍ وأحْرِ بأن يكونَ لـــه ضِرامُ

فإن النـــار بالعوديـــن تُذْكَى وإنّ الحـــرب مبدؤها الكلامُ

فقلتُ من التعجّب ليتَ شعري أأيقـــاظٌ أُميّـــةُ أم نِيـــامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتُك خراسانَ ، فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنّي مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقِيتُه فيه ، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام ؛ فما هَشّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعَمّار ذي كناز[3] مجنبذا[4] : [من مجزوء الخفيف]

أشتهي مِنْكِ منك منـ ـــك مكانـاً مُجَنْبذا

فأجَـا فيـه فيـه فيـ ـه بأيْـر كمثـل ذا

ليت أيْري وحِرَك يو مـاً جميعـاً تَجابَذَا

فأخـــذ ذا بشعـر ذا وأخـــذ ذا بقعـــر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب ، ودعا بالشراب فشرب ؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأُعيدها حتى سكِرِ وأمر لي بجائزة ؛ فعلمتُ أنّ أمره قد أدبر . ثم أُدخلتُ على أبي مُسْلمٍ فاستنشدني فأنشدتُه ، قولَ الأفوه[5] :

لنـا معاشرُ لم يبنوا لقومهمُ

---

1 المسودة : دعاة بني العبّاس .

2 في الطبري (أحداث سنة 129) وغيره من كتب التاريخ أنّه بعث بهذه الأبيات إلى مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أُميّة .

3 شاعر ماجن سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

4 لعلّ المقصود الأبيات التي ترِد هذه الكلمة في مطلعها والمجنبذ : المرتفع .

5 هو الأفوه الأودي صلاءة بن عمرو وسيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من البسيط]

تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرشد ما صَلَحَتْ ... وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ

قال : أنا ذلك الذي تنقاد به الناس ؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبِل .

[خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال : وجدتُ في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْريّ عن عمر عن أبيه قال : خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب ؛ فقيل له : إنّ اليوم الجمعة ؛ فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر ؛ فصعِد المِنبَر فخطب فقال[1] : [من الرجز]

الحمد لله وليِّ الحمدِ ... أحْمَدُه في يُسْرنا والجَهْدِ

وهو الذي في الكرب أستعينُ ... وهو الذي ليس له قرينُ

أشهد في الدنيا وما سواها ... أن لا إلـه غيره إلهـا

ما إن لـه في خَلْقه شَريكُ ... قد خضَعتْ لملكه الملوكُ

أشهد أنّ الدّين دينُ أحمدِ ... فليس من خالَفه بمهتدِي

وأنّه رسولُ ربِّ العرشِ ... القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ

أرسله في خَلْقه نذيرا ... وبالكتاب واعظاً بشيرا

ليُظهِرَ اللهُ بذاك الدّينا ... وقد جُعِلْنا قبلُ مُشركِينا

من يُطِع اللهَ فقد أصابا ... أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا

ثم القُرانُ والهدى السبيلُ ... قد بقِيا لّما مضى الرسولُ

كأنّه لما بقي لديكُم ... حيٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم

إنّكم من بعدُ إن تَزِلُّوا ... عن قصده أو نَهْجِه تَضِلُّوا

لا تَتْركنْ نصحي فإنّي ناصحُ ... إنّ الطريق فاعلمنّ واضحُ

من يَتّق اللهَ يَجِد غِبَّ التّقى ... يوم الحساب صائراً إلى الهدى

إن التُّقى أفضلُ شيءٍ في العمل ... أرَى جِمَاعَ البرّ فيه قد دخلْ

خافوا الجحيمَ إخوتي لعلّكم ... يومَ اللقاء تعرِفوا ما سرَّكُمْ

قد قيل في الأمثال لو علمتُم ... فانتفِعوا بذاك إن عَقَلْتُم

---

1 ديوان الوليد : ص 99 –100 ، رقم 115 .

ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُهْ وما يقدِّم من صلاحٍ يَحمَدُهْ
فاستغفِروا ربَّكُم وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

ثم نزل .

[الوليد بن يزيد والوليد البندار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه عن الوليد البُنْدار[1] قال : حَجَجتُ مع الوليد بن يزيد ؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير ؛ إنّ اليومَ يومٌ يشهَدُهُ الناسُ من جميع الآفاق ، وأريد أن تشرّفني بشيء .

قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسْرَرْتَ إليّ شيئاً ؛ فقال : أَفْعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُنْدار ؛ فقمتُ إليه ، فقال : ادْنُ منّي فدنوتُ ؛ فأخذ بأذُني ثم قال : البُندار ولدُ زنا ، والوليدُ ولدُ زنا ، وكلٌّ من ترى حولنا ولدُ زِنا ، أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

[نادرة مع أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن أشْعَب قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً ، فقال لي : تَمَنّ ؛ فقلت : يتمنّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنّى ؛ قال : فإنما أردتَ أن تَغلِبَني ، فإنّي لأتمنى ضعفَ ما تتمنّى به كائناً ما كان ؛ قلت : فإنّي أتمنّى كِفْلَيْن[2] من العذاب ؛ فضحك ثم قال : إذاً نوفّرهما عليك . ثم قال لي : ما أشياءُ تبلُغني عنك ؟ قلتُ : يكذبون عليّ . قال : متى عهدُك بالأصمّ ؟ قلتُ : لا عهدَ لي به . فأخرج أيرَه كأنّه نايٌ مدهون ، فسجدتُ له ثلاثَ سجدات ؛ فقال : وَيْلَكَ إنّما يسجُد الناسُ سَجدةً واحدةً ؛ فقلت : واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصْيَتيك .

[يغالي بالجوهر]

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال : إنّما أَغْلَى الجوهرَ بنو أميَّة ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيِّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغَالي به .

[برز للناس راكباً فرساً]

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضرِب بطبل قدّامَه ؛ فأخذه منها ووضعه على رقبته ، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

---

1 البندار : الخازن .

2 الكفل : النصيب .

[قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال : قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ ؛ فقلتُ لإسماعيل بن يَسار : أَحْذِنا[1] ممّا أعطاك الله ؛ فقال : هَلُمَّ أُقاسِمْك إن قبلتَ ، بعَث إليّ براويةٍ[2] من خمر .

[أمر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب قال حدّثني رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يومَ الاثنين تغدّى وشرِب رِطْلين ثم جلس للناس . قال : فحدّثني عمر الوادي قال : دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشرِبت ، وطرب ، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفّافة فدفف بها ، فأخذ كلٌّ واحد منا دفافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجبِ ؛ فلمّا رآنا الحاجب صاح بالناس : الحُرَم الحُرَم ؛ اخرُجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءَك ، اليومَ يحضُر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنّما أنا حاجب فلا تحمِلْني على الشّراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمع وقام وهو سكران .

[افتري عليه افتراعه ابنته]

أخبرني أحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن شَريك قال حدّثني عمّي علي بن عمرو قَرْقارة قال حدّثني أُنَيْف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدّثني أبي قال : خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ له إلى مقصورةٍ ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها ، فوثب عليها فافترعها ؛ فقالت له الحاضِنة ؛ إنها المجوسيّة ؛ قال : اسكتي ! ثم قال : [من مخلع البسيط]

مَن رَاقب الناسَ مات غَمّاً وفـازَ باللـذّةِ الجَسورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر ، ولم يُدرك زمن الوليد .

[تمنى غلاء الخمر وعزة النساء]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مَسْلَمة بن سَلْم الكاتب قال : قال الوليد بن يزيد : ودِدْتُ أن كل كأس تُشْرَبُ من خمر بدينار ، وأن كلّ حِرٍ في جبهة أسد ، فلا يَشرب إلاّ سخيّ ، ولا ينكِح إلاّ شجاعٌ .

[شرب شرب الفرس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال :

---

1 أحذنا : أعطنا .

2 الراوية : القربة .

سمعتُ رجلاً يحدّث أبي بالكوفة قال : أرسلت إلى الوليد جَفْنةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرْعَوْنيّة لم يُرَ مثلُها قطّ . فلما أمسينا صبَبْنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلةٍ القمرُ الليلةَ ؟ فقال بعضهم : في الحَمَل ، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ في الجفنة ؛ قال : قاتَلك الله ! أصبتَ ما في نفسي ! لتَشْربنَّ الهفتجنّة[1] . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجنّة فقال : شُرْب كانت الفرسُ تشربه سبعةَ أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

[رثاء ابن أذينة لأخيه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ قال : بعث إليّ الوليد بن يزيد ، فقدِمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا لَه من مجلس ! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرة يَسقي القومَ الطِّلاءَ ، إذ جاءت نَوْبةُ الغناء إليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أخاه بكراً : [من الوافر]

صوت

سَرَى همّي وهمُّ المرء يَسري ... وغـار النجـمُ إلاّ قِيـدَ فِتْرِ

أُرَاقب في المَجَـرّة كلّ نجم ... تعرّض في المجرّة كيف يَجري

بحُـزْن مـا أزال لـه مُدِيماً ... كأنّ القلب أُسعر حـرَّ جمرِ

على بكـر أخـي ولّـى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعـد بكرِ

غنّاه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال خالد : فقال لي الوليد : أعِدْ يا صَامُ فأعدتُ ؛ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيشُ الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجَّر[2] واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فَرْوة : وأنشدها ابنُ أذينة ابنَ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال : كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت ؛ فحلَف ابنُ أذينة لا يكلّمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عَتيق وابنُ أذينة مهاجرٌ له .

---

1 الهفتجنة : كلمة فارسية مركّبة من «هفت» : سبعة و«جنة» : مرح .

2 تحجر واسعاً : ضيقه .

[أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أنّ سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أُنْشِدَتْ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال: أُنشدتْ سكينةُ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عبّاد عن أبيه عن أبي يحيى العِباديّ: أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله: [من الوافر]

على بكر أخـي ولّـى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر

قالت سكينة: ومن أخوة بكر! أليس الدَّحْدَاحَ الأُسيِّدَ القصير الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساءً؟ قالوا: نعم؛ قالت: كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ عن إسحاق قال: قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ، فجمع المغنّين وسَبَّق بينهم ببَدْرة، وقال: أيُّكم كان أحسن غناءً فهي له؛ فاجتمعوا. فبلغ الخبرُ ابنَ سريج، فجاء وقد أُغْلِق الباب؛ فقال للحاجب: استأذِن لي؛ قال: لا يُمكن وقد أُغلق الباب، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلقَ الباب لاستأذنتُ لك. قال: فدعني أغنّ من شقّ الباب؛ قال نعم. فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى:

سرى همّي وهمُّ المرء يسري

فنظر المغنّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه؛ فلما فرغ قال سليمان: أحسن والله! هذا والله أحسنُ منكم غناءً، أُخرج يا غلام إليه بالبَدْرة، فأخرجها إليه.

[الوليد بن يزيد وفرسه السندي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبَة: أنّ رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مرْبُوعٌ قريبُ الرِّكاب؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهَر الرجلَ وشتَمه وقال: أتَجِيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! رُدّوه عليه، فردّوه. فلما خرج وجّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذي يسمِّيه السِّنْديّ.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيّد وحده؛ فانتدَب إليه مولًى لهشام يريد الفتك به. فلمّا بَصُر به الوليد حاوَله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله. وقال في ذلك[1]: [من الطويل]

ألم تَـرَ أنّي بـين ما أنا آمِنٌ ... يَخُبُّ بـي السِّنْديُّ قفراً فَيافِيَا

تطلّعتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً ... فأوجستُ منه خِيفـةً أن يرانيا

1 ديوان الوليد: ص 94–95، رقم 111 عن الأغاني.

ولما بـــدا لي أنما هـــو فارسٌ   وقفتُ لـــه حتى أتى فرمانيا
رمـــاني ثلاثـــاً ثم إنّي طعنتُه   فروّيْتُ منـــه صَعْدتي وسِنانيا

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخُوريّ بالبنصر . ولإبراهيم فيه ثقيل أوّل ، وقيل : إن له فيه ماخُوريّاً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل . ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشاميّ .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنْديّ[1] :   [من الرجز]

قد أغْتدِي بذي سَبِيبٍ هَيْكلِ   مُشَرَّب مثـلِ الغرابِ أرْجَلِ[2]
أعددتـــه لحَلَبـاتِ الأحـــولِ   وكلٌّ نَقْـــع ثائـــرٍ لجَحْفَلِ
وكلٌّ خَطْب ذي شؤون مُعْضِلِ

فقال هشام : لكنّا أعددنا له ما يسوءه ، نخلَعه ونُقْصيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً .

[رثاؤه سلمى]

نسختُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو الحسن العَقِيليّ : أنّ الوليد لمّا ولي الخلافةَ خطَب سَلْمَى التي كان يَنْسِبُ بها ، فزُوِّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته ؛ فقامت عنده سبعةَ أيّام فماتت ؛ فقال يرثيها[3] :   [من الكامل]

يا سلم كنتِ كجنّةٍ قد أُطْعَمتْ   أفنانُهـــا دانٍ جَناهـا مُوَضَّعُ
أربابُهـــا شَفَقاً عليها نومُهم   تحليـل موضعها ولمّـا يَهْجَعوا
حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم   نثَر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

[أمر بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالِية ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سَعيد عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه : أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفَض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف[4] مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عديّ بن زيد العَباديّ :   [من الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 73–74 ، رقم 80 .
2 السبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية . الهيكل من الخيل : الكثيف العبل اللين . مشرب : امتزج لونه بحمرة . الأرجل : الذي في إحدى رجليه بياض .
3 ديوان الوليد : ص 56 ، رقم 58 عن الأغاني .
4 ل : والعصف .

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون لي ألا تَستفيقُ
لستُ أدْري وقد جفاني خليلي أعدوٌّ يلومني أم صديقُ
ثم قالوا ألا اصْبَحونا فقامت قينةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمتْه على عُقار كعين الـ ـدّيكِ صَفّى سُلافَها الرّاووقُ

فيه لمعبد ثقيل أوّل ويقال إنّه لحُنَين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العبّاس رَمَلٌ كلٌّ ذلك عن الهشاميّ قال : فاستحسنه الوليد وأُعْجِبَ به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعُرِّف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سَبْرة : ائتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَسْت بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه فاسترجَع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلِّب الرأسَ بيده . ثم قال يرثيه[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

عَيْنَيّ للحَدَث الجليل جُودَا بأَرْبعةٍ هُمُولِ
جودا بدمع إنّه يشفي الفؤادَ من الغَليلِ
لله قبرٌ ضُمِّنت فيه عظامُ ابن الطويلِ
ماذا تضمَّن إذ ثَوَى فيه من اللّبّ الأصيلِ
قد كنتُ آوِي من هوا كَ إلى ذَرى كَهْفٍ ظَليلِ[2]
أصبحتُ بعدك واحداً فرداً بمَدْرَجة السيولِ

غنّاه الغَريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه سُلَيم لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر غيره أنّ لحن الغريض لدَحْمَان ، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل ، وذكر غيرُه أنّ لحن الغريض لدَحمان . قال : ثم دخل إلى جواريه فقال : والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل . فيقال : إنّه لم يَعِشْ بعده إلاّ مُدَيدةً حتى قُتل . والله أعلم .

[أجاز حماداً الراوية على إنشاده]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عديّ عن ابن عَيَّاش عن

1 ديوان الوليد : ص 70–71 ، رقم 75 عن الأغاني .
2 الذرى : كلّ ما استتر به . يقال أنا في ظلّ فلان وذراه ، أي في كنفه وستره .

حَمَّاد الراوية قال : دعاني الوليد يوماً من الأيّام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح ؛ فقال : أنشدني في النَّسيب ؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة ، فلم يَهَشَّ لشيء منها ، حتى أنشدته قولَ عمّار ذي كناز : [من مجزوء الخفيف]

إصْبَحِ القـومَ قهـوةً   في الأباريـق تُحتَـذَى
مـن كُمَيْت مُدامـةٍ   حَبّـذا تلـك حبّـذا

فطرب . ثم رفع رأسَه إلى خادم وكان قائماً كأنّه الشمس ، فأومأ إليه فكشف سِتْراً خلفَ ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنّهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل ؛ فقال : اسْقُوهم ، فما بَقي أحد إلاّ أُسْقِي ، وأنا في خلال ذلك أُنْشِده الشعر ؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته حتى حَملنا الفرّاشون في البُسُط فألقَوْنا في دار الضيافة ، فما أَفَقْنا حتى طلعت الشمس . قال حَمّاد : ثم أحضرني فخلَع عليّ خِلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحمَلني على فرس .

[خاصم وكيله في أرض لدى هشام فلم ينصفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال : كان بين الحَكَم بن الزُّبير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوْفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وَكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرَّحبة[1] من أرض دمشق ، وكان الجعفريُّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ؛ فقال الوليد في ذلك[2] : [من الطويل]

صوت

أيَا حَكَمُ المَتبولُ لو كنتَ تَعْتَزي   إلى أُسرةٍ ليسوا بسُود زعانِـفِ[3]
لأيقنتَ قد أدركتَ وَتْرَك عَنْوةً   بلا حُكْمِ قاضٍ بل بضرب السوالفِ

غنّاه الهُذَلِيّ ثقيلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس . قال : فلما استُخلِف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجَعْفَريّ فقال : ألا تعطي حَكَمَ بن الزُّبَيْر حقَّه ! قال : لا ؛ فأمر به فشُتِرت[4] عينُه . ثم قال[5] : [من الرجز]

---

1 الرحبة : قرية قرب دمشق .
2 ديوان الوليد : ص 59 ، رقم 62 عن الأغاني .
3 المتبول : الذي به تبل ، وهو الذحل والعداوة . تعتزي : تنتسب .
4 شتر عينه : شقّها وقلب جفنها .
5 ديوانه : ص 73 ، رقم 80 .

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤون جَحْفلٍ قاسيتُ فيه جَلَباتِ الأحْوَلِ[1]

[مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : خرج الوليد إلى متصيَّد له فأقام به ، ومات له ابنٌ يقال له مؤمِن بن الوليد ، فلم يقدر أحدٌ أن يَنعاه إليه ، حتى ثَمِل فنعاه إليه سِنانٌ الكاتب وكان مغنّياً ؛ فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للواثق والرشيد قبله[2] : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتـاني سِنَانٌ بـالوَدَاع لمؤمـنٍ فقلـتُ لـه إني إلى الله راجـعُ

ألاَ أيّهـا الحاثِـي عليـه ترابَه هُبِلْتَ وشَلَّتْ من يديك الأصابعُ

يقولـون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً فكيفَ بما تُحْنَـى عليه الأضالعُ

عروضُه من الطويل . غنّاه سِنان الكاتب ، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وقيل : إنّ فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أَيْلَة .

[كتب له مؤدبه شعراً ينصحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني عَقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوَار جارية الوليد ، فغنّته به ، وهو : [من الوافر]

مَضى الخلفاءُ بالأمـر الحميدِ وأصبحـت المذَمَّـةُ للوليـدِ

تشاغـل عـن رعيَّتـه بلهو وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيدِ

فكتب إليه الوليد[3] : [من مجزوء الرمل]

ليت حظِّي اليومَ من كـ ـلّ مَعـاشٍ لي وزادِ

قهـوةٌ أبـذُل فيهـا طـارفي ثـم تِـلادي

---

1 الجلبات : جمع جلبة ، وهي الشدّة والجهد . والأحول : هو هشام بن عبد الملك .

2 ديوان الوليد : ص 54 ، رقم 55 .

3 ديوان الوليد : ص 38 ، رقم 34 .

فيَظَلّ القلب منها هائماً في كلّ وادِ
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

[نهى بني أمية عن الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني إبراهيم بن الوليد الحِمْصِيّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنْبَرِيّ قال : قال الوليد بن يزيد : يا بني أُميّة ، إيّاكم والغناءَ فإنّه ينقُص الحياءَ ويَزيدُ في الشهوة ويهدِم المروءةَ ويُثَوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين ، فجنِّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيةُ الزِّنا . وإنّي لأقول ذلك فيه على أنّه أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغُلّة ، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال .

[أنكر الناس عليه البيعة لابنيه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال : دخلتُ إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدَّم عثمان ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسَعُني السكوت ؟ قال : بل قُلْ قولَ الموثوق به ؛ فقلت : إنّ الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يُبايع لمن لم يَحْتلِمْ ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك ؛ فقال : عَضُّوا ببظور أُمّهاتكم ، أفأُدْخِل بيني وبين ابني غيري ؛ فيَلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي ! ثم أنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

صوت

سَرَى طيفُ ذا الظبي بالعاقِدا ن ليلاً فهيَّج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غِرّة فباتت بحزنٍ تقاسي السُّهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـ ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا[2]
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجِّي لتلك الوليدا
على أنّها شَسَعتْ شَسْعَةً فنحن نرجِّي لها أن تعودا[3]
فإن هي عادت فعاصِ القريـ ـبَ منها لتؤيِسَ منها البعيدا[4]

---

1 ديوانه : ص 104 ، رقم 3 . وقد ذكر المحقّق أنّ الأبيات منسوبة في الطبري لشاعر مجهول وفي تهذيب ابن عساكر 6 : 177 لشاعر اسمه أبو معدان .

2 رواية هذا البيت في الطبري : نبايع عثمان بعد الوليد أو حكماً ونرجو يزيدا

3 شسعت : بعدت .

4 عاص القريب : أي جافه ولا توص بولاية العهد له . وفي الديوان : فأوص القريب .

غنّاه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ رملِ لحَكَم ، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنّه لعمر الوادي ، وذكر حبش أنّ الثقيل الثاني لمالك وأنّ فيه لفَضْل النجّار رَمَلاً بالبنصر ، أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار قال : هو

سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَادي أو قال : خُلَيد .

[حبس يزيد الناقص ولدي الوليد وقتلهما]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان ، وهو أوّل من بايع لابن سُرِّيَّةٍ أَمَةٍ ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبَسهما ثم قتلهما ؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب : [من الطويل]

إذا قُتل الخَلْف المُدِيمُ لسُكره	بقَفْر من البَخْراء أُسِّس في الرَّملِ[1]
وسِيق بلا جُرْم إلى الحَتْف والرَّدَى	بُنيَّاه حتى يُذْبحا مَذْبحَ السَّخْلِ
فويلُ بني مروان ماذا أصابهم	بأيدي بني العباس بالأَسْر والقتلِ

[تبع الكلبي الزنديق في القول بالمثنوية]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي عن العَلاَء البندار قال : كان الوليد زِنديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنويّة ؛ فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ ؛ فقال : ادْنُ يا عَلاَء فدنوتُ ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطْرِف كأنّه يتحرّك ؛ فقال : يا عَلاء ، هذا ماني[2] ، لم يَبْعَثِ اللهُ نبياً قبله ولا يبعثُ نبيّاً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ولا يَغُرّنّك هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أَقُلْ لك : إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث . قال العلاء : ومَكثتُ أيّاماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده ، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمَله على بِرذَوْن هِمْلاج[3]

---

1 البخراء : أرض بالشام شديدة النتن والعفونة .

2 هو ماني بن فاتك الحكيم اتّخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانية .

3 الهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة .

أشقرَ من أفْرَهِ ما سُخِّر ، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر ؛ فما شَعَر إلاّ وأعرابٌ قد جاؤوا به يحملونه منفسِخةٌ عنقُه ميِّتاً وَبِرذونُه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك ، فخرجتُ متعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخْراء لا حجرَ فيها ولا مَدَر فقلت لهم : كيف كانت قصّة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنّه دُهْنٌ يسيل على صَفَاة من فَراهته ، فعجبنا لذلك ؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبْعَيْه فاحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدَقّ عنقَه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجئنا به .

[قصة الخارجين عليه ومقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهتّكَ وانهمك في اللّذّات وشُرْب الخمر وبسَطَ المكروهَ على ولَد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيِّه ، ملّ الناسُ أيّامَه وكرِهوه . وكان قد عقَد لابنيه بعده ولم يكونا بلَغا ؛ فمشى الناسُ بعضُهم إلى بعض في خَلْعه ، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العباس ، وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أُميّة مثلُه ، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز ، فشكا إليه ما يَجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإنْ مَشَى بعضُكم في أمر بعض أُكِلْتم ، ولله أجَلٌ لا بدّ أن يَبْلُغه فانتظِرْه . فخرج من عنده ومشى إلى غيره ، فبايعه جماعةٌ من اليمانيّة الوجوه ؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرَّض له بأنَّه قد دُعِي إلى الخلافة فقال له : والله لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك إليه مشدوداً ؛ فنشَدتُك الله ألاّ تَسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه . وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومَشْيَ بعضهم إلى بعض في خلعه[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سَلَّ هـمَّ النفس عنها ... بعَلَنْداةٍ عَلاَةِ[2]
تتّقي الأرضَ وتَهوِي ... بخفَاف مُدْمَجَاتِ
ذاك أمْ ما بال قومي ... كسَروا سِنَّ قَنَاتي
واستخفّوا بي وصاروا ... كقُرودٍ خاسئاتِ

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لأبي كامل غُزَيِّل الدِّمَشْقيّ ماخُوريّ

---

1 ديوان الوليد : ص 23 ، رقم 13 .

2 العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ، ومثلها العلاة .

بالبنصر . وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد : [من مجزوء الرمل]

أصبح اليومَ وليدٌ هائماً بالفَتَياتِ
عنده راح وإبريـ ـقٌ وكأسٌ بالفَلاةِ
ابعثوا خيلاً لخيل ورُماةً لرُماةِ

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائنيّ عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرِيّة بن أسماء قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك في اللذّات ، سئمه الناس ووَعظه من أشفق عليه من أهله ؛ فلمّا لم يُقلِع دَبُّوا في خَلْعه . فدخل أبي بشر بن الوليد على عمّي العباس بن الوليد وأنا معه ، فجعل يكلِّم عمّي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد ، فكان العبّاسُ يَنْهاه وأبي يردّ عليه ؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترىء أن يكلّم عمّي ويردّ عليه ؛ فقال العباس : يا بني مروان ، أظنّ أنّ الله قد أذِن في هلاككم . ثم قال العبّاس : [من البسيط]

إني أُعِيذكُم بالله من فِتَنٍ مثلِ الجبال تَسَامَى ثم تندفعُ
إنّ البريّة قد ملّت سياستَكم فاستَمسِكوا بعمود الدّين وارتَدِعوا
لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنفُسَكم إنّ الذئابَ إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا
لا تَبْقُرُنّ بأيديكم بطونَكمُ فَثَمَّ لا فِدْيَةٌ تُغْنِي ولا جَزَعُ

قال المدائنيّ عن رجاله : فلمّا استجمع ليزيد أمرُه وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه الذي كان مُتَبَدِّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ ، فأقبل إلى دمشق متنكِّراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع لـه أكثرُ أهلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزَّةِ . فقال مولًى لعَبَّاد بن زيَاد : إنّي لَبِجَرُودَ ، وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ ، إذ طلع علينا سبعةٌ مُعْتَمُّون على حُمُر فنزلوا ، وفيهم رجل طويل جسيم ، فرمَى بنفسه فنام وألقَوْا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نَشتريه من طعام ؟ فقلت : أمّا بيعٌ فلا ، وعندي من قِرَاكم ما يُشْبِعكم ؛ فقالوا : فعجِّله ؛ فذبحتُ لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوَانِيز[1] ، وقلت : أيقظوا صاحبَكم للغداء ؛ فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل ؛ فسفَروا للغداء فعرَفتُ بعضَهم ، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرَفته فلم يكلمني . ومضَوْا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ إلى

1 الشوانيز : التوابل .

معاوية بن مَصَاد وهو بالمِزّة ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاويةُ : الفِراشَ ، ادخل أصلحك اللهُ ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك ؛ فقال : ما تُرِيدني عليه أفْسَدُ . فمشى على البِساط وجلس على الفراش ، ثم كلّم معاوية فبايَعه . وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الخَشَنِيّ مستخفياً ، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجّاج بن يوسف ، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا ، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرْطته أبو العاج كَثِيرُ بن عبد الله السُّلَميّ . وتَمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع[1] وعشرين ومائة ، فكمَنوا في مِيضَأةٍ عند باب الفراديس[2] ؛ حتى إذا أُذِّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوْا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدْفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها ويخرُج . فلما صلّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتَباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويَدخلون من باب ، حتى لم يَبْق في المسجد إلاّ الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِرْ بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأَتَوْا بابَ المقصورة ، وقالوا : نحن رسل الوليد ، ففتح لهم خادمٌ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادم ، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزّان البيت[3] وصاحبَ البريد ؛ وأرسل إلى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَكّ ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه إلى الخَشَبِيّة[4] فأتَوْه ؛ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الأبوابَ غُدْوةً إلاّ لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، فلم يكن الخُزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزَّة مع حُرَيْث بن أبي

1 في كتب التاريخ ستّة وعشرين ومائة .

2 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

3 أي بيت المال .

4 الخشبية : أصحاب المختار بن أبي عبيد كما سيأتي .

الجَهْم . فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة : [من الطويل]

إذا استُنْزِلـوا عنهنّ للطعن أُرْقَلوا ... إلى الموتِ إرقَال الجمال المَصاعبِ

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قُبَيْلَ الصبح يسبِّح وهو الآن يُنشد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحَجّاج بن عبد الملك بن مَرْوان فوقف بباب الجابية فنادَى : من كان له عطاءٌ فليأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عَطَاء فله ألف درهم مَعُونةً ؛ فبايع له الناسُ وأمَر بالعطاء . قال : وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز ، وقال : من انتَدب معه فله ألفانِ ، فانتدب ألفا رجلٍ ؛ فأعطاهم وقال : موعدُكم ذَنَبةُ[1] ؛ فوافى ذَنَبَةَ ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادُكم مَصْنعةٌ بالبَرّيّة وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثَمَانُمائة رجـل ، فسار فوافاهم[2] ثَقَلُ[3] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جُمْهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ والأصْبَغُ بن ذُؤالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغَسّانيّ وحُمَيْد بن نصر اللَّخْميّ ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إنّي أجيئك . وأُتِي الوليدُ بفرسين الذائد والسِّنْديّ ؛ وقال : أعليّ يتواثَبُ الرجال وأنا أثبُ على الأسد وأتخَصّرُ[4] الأفاعي ! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقُتل عثمان الخَشَبيّ ، وكان من أولاد الخَشَبيّة الذين كانوا مع المختارِ . وبلغ عبدَ العزيز بن الحَجّاج أنّ العبّاسَ بن الوليد يأتي الوليدَ ؛ فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة خيل وقال : إنّكم تَلْقَوْن العبّاس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخُذُوه . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعْب ، وإذا العبّاسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه ؛ فقال له : اعْدِل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ؛ فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأُنْفِـذَنّ حِضْنَيْك بالرّمح ؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايِـعْ ليزيد ؛ فبايَعَ ووقف ؛ ونصبوا رايةً وقالوا : هذا العباس قد بايَعَ . ونادى منادي عبد العزيز ؛ من لَحِق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ ؛ فقال العباس : إنا لله ! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان ! هلك والله بنو مـروان ! . فتفرّق الناسُ عن الوليـد وأتوا العباسَ . وظَاهَر الوليدُ في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعةٌ بِعدّة رؤوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم ؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة .

---

1 ذنبة : موضع من أعمال دمشق .

2 ل : فتلقاهم .

3 الثقل : المتاع .

4 ل : وأعض .

ونادَاهم رجالٌ : اقْتلُوا اللُّوطِيَّ قِتلةَ قوم لوط ، فرمَوْه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال[1] : [من الطويل]

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاَءَ وقَيْنةً وكأساً أَلا حَسْبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برَمْلةِ عالجٍ وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا
خذوا مُلْكَكم لا ثبّت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حَيِيتُ عِقالا
وخلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جَرَى ولا تَحسُدوني أن أموتَ هُزالا[2]

غنّاه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ، ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنِّني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر ؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلِّمه ؟ فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ : كلِّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكَاسِك ، ما تنقِمُون منّي ؟! أَلم أَزِد في أعْطِياتِكم وأعْطِية فقرائكم وأخدَمْتُ زَمْنا كم ودفعتُ عنكم المؤنَ ؟ فقال : ما نَنْقِمُ عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنْقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُرْبَ الخمور ونِكاحَ أمّهات أولاد أبيك واستخفافَك بأمر الله . قال : حَسْبُك يا أخا السَّكَاسِك ! فلعمري لقد أغرقتَ[3] فأكثرتَ ، وإنّ فيما أحلَّ الله لسَعَةً عمّا ذكرتَ . ورجَع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحفَ يقرأ ؛ فَعَلَوُا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة ، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه ؛ فقال له يزيد : نَحِّ سيفَك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخِله بيتاً ويُؤامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زياد بن أبي كَبْشة ، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زياد على وجهه ، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه ، واحتزّ رأسَه أبو عِلاَقة القُضَاعيّ وخاط الضربةَ التي في وجهه بالعَقَب[4] ، وقَدِم بالرأس على يزيد ، قَدِم به

---

1 ديوان الوليد : ص 64–65 ، رقم 69 .

2 المثل : جاء فلان قبل عير وما جرى . قالوا : خصّ العير لأنّه أحذر ما يقنص وأسرع جرياً ، فضرب به المثل في السرعة . وقيل العير : إنسان العين . فيكون معناه قبل لحظة عين . فصل المقال : 300 . ومجمع الميداني 1 : 350 و2 : 96 ومستقصى الزمخشري 2 : 187 .

3 أغرقت : تجاوزت الحدّ في القول .

4 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

رَوْح بن مُقْبِل ، وقال : أَبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتمّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه . ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْريّ يُدخل سيفه في آست الوليد وهو مقتول . فقال الأَصْبَغ بن ذُؤالة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم آبنيه : [من الطويل]

مـن مُبْلِـغٌ قيساً وخِنْدِفَ كلَّها وساداتِهم من عبد شمس وهاشمِ

قتلنـا أميـرَ المؤمنـين بخالد[1] وبِعْنـا وليّـيْ عهـدِهِ بالدراهِمِ

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد : [من البسيط]

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدخله في آستِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا

[كان عمر الوادي يغنّيه حين قتل]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن هشام بن الكَلْبيّ عن جرير قال : قال لي عمر الوادي : كنت أُغنّي الوليدَ أقول : [من الكامل]

صوت

كَذَبَتْكَ نفسُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظلامِ من الرَّبـابِ خيالا

قال : فما أتممتُ الصوتَ حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيته يتشحَّط في دمه . يقال : إنّ اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي ، ويقال : لابن جامع .

[حبس يزيد الحكم وعثمان وليي عهد الوليد]

قالوا : وكان عثمان والحَكَم ابنا الوليد قد بايَعهما بالعهد بعده ، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبَسهما في الخَضْراء[2] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتمُ أباهما الوليدَ وكان قد ضربَه وحلَقه ، فبكى الحَكَم ، فقال عثمان أخوه : اسكت يا أخي ؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبي ! قال : نعم ؛ قال : لكني لا أَشتُم عمّي هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم ، فانظر إلى وجهك فإن كنتَ رأيتَ حَكَمِيّاً[3] يُشْبِهك أو له مِثلُ وجهك فأنت منهم ، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك .

[ندم أيوب السختياني لمقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن مَسْلمة بن مُحارِب

---

1 المقصود خالد بن عبد الله القسري كان الوليد قد سلّمه إلى يوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .

2 الخضراء : يطلق على أكثر من موضع .

3 حكمي : نسبة إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان .

قال : لما قُتل الوليدُ قال أيّوب السِّخِتيانيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتَنا لم يقتلوه . قال : وإنّما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة .

[لعن الرشيد قاتليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال : ممَّن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيِّها ؟ فأمسكَ قال : قُلْ وأنت آمن ، ولو أنّك مَرْواني ، قال : أنا ابن الغَمْر بن يزيد . قال : رحم الله عمّك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلَةَ عمّك جميعاً ، فإنّهم قتلوا خليفةً مُجْمَعاً عليه ، إرفع إليّ حوائجكَ ، فقضاها .

[رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلاَبِيّ قال حدّثنا العَلاَء بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ قال : ذكر ليلةً المهديُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شَبيب بن شَيْبة : يا أمير المؤمنين إن رأيتَ ألاّ تُجرِيَ ذكْرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنّه كان زنديقاً ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضعَ خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

[دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي]

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا عَقيل بن عمرو قال أخبرني شَبيب بن شَيْبة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهديّ : أحسَبه كان زنديقاً ، فقام ابن عُلاَثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، اللهُ عزّ وجلّ أعظمُ من أن يولّي خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمَّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته ، وحدّثني أنّه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضّأ فيُحسن الوضوء ويُؤْتَى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهديّ : صدقتَ باركَ اللهُ عليك يا ابنَ عُلاَثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

صوت[1]
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أُمَّ سَلاَّمَ مـا ذكرتُكِ إلاّ شَرِقَتْ بالدموع منّي المآقي
أُمَّ سَلاَّمَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم أنتِ دائي وفي لسانِك راقي
ما لقلبي يَجُول بـين التَّرَاقي مُسْتَخِفّاً يَتُـوق كلَّ مَتَـاقِ[2]
حَـذَراً أن تَبـين دارُ سُلَيْمَى أو يصيحَ الداعي لها بِفـراقِ[3]

غنّاه عمر الوادي ، ولحْنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ في مجرى البنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لسَلاّمةِ القَسِّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى ، ولعلّه بمعنى هذا . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عَمّار الجُشَمِيّ في سَلاَّمةِ القَسّ ، وليس ذلك له ، هو للوليد صحيح ، وهو كثيراً ما يذكر سَلْمى هذه في شعره بأُمّ سَلاّم وبسَلْمى ، لأنّه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه . ومن ذلك قوله فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

أُمَّ سَلاَّمَ لو لقِيتِ من الوجـ ـد عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ
فأثِيبي بالوصل صَبّـاً عميداً وشفيقاً شجاه مـا قد شجاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ .

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 60 ، رقم 63 .
2 رواية هذا البيت في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
من لقلب أمسى كئيباً حزيناً مستهاماً بين اللهـا والتراقـي
3 في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
وتجيء الدنيا لها بفراق
4 ديوان الوليد : ص 63 ، رقم 67 .

[100] ـ ذكر أَخبار عمر الواديّ ونسبُه

[نسبه وإعجاب الوليد به]

هو عمر بن داود بن زَاذَان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عَفّان . وكان عمر مهندساً . وأُخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أَهل وادي القُرَى . وكان قدِم إلى الحَرَم فأَخذ من غناء أَهله فحذِق وصنَع فأَجاد وأَتقن . وكان طيّبَ الصوت شجيَّه مُطرِباً . وكان أَوّلَ مَن غَنَّى من أَهل وادي القُرى ؛ واتّصل بالوليد بن يزيد في أَيّام إمارته فتقدَّم عنده جدّاً ، وكان يسمِّيه جامع لَذّاتي ومُحْيِي طربي ، وقُتل الوليد وهو يغنّيه ، وكان آخرَ عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء[1] : [من المديد]

صوت

إنّني فكّـرتُ في عمــرٍ حين قال القولَ فاختلَجا

إنّــه للمُستَنِير بـــه قمر قـد طمّس السُّرُجا

ويغنّـــي الشعــر يَنْظِمُـه سيّدُ القــوم الذي فلَجا

أَكمَـــل الواديُّ صنعتَـه في لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناءُ لعمر الوادي هَزَج خفيفٌ بالبنصر في مَجْراها .

[الوليد يقدّمه على المغنّين]

أُخبرني الحسين بن يحيى ومحمَّد بن مَزْيد قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ إليه والاختصاصِ له . وبلغني أَنّه كان لا يضرِب وإنّما كان مرتَجِلاً ، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ لذّاتي . قال : وبلغني أَن حَكَماً الواديّ وغيرَه من مُغَنّي وادي القُرى أَخذوا عنه الغناء وانتحلوا أَكثَر أَغانيه .

[استرضى الوليد على أَبي رقية]

قال إسحاق وحدَّثني عبد السلام بن الرَّبيع : أَنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأَبو رُقيّة ، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أُمّ الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنّاه صوتاً : أَحسنتَ والله ، أَنت جامع لذّاتي ، وأَبو رقيّة مضطجعٌ

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 26 ، رقم 17 عن الأغاني .

وهم يحسَبونه نائماً ، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذّات أُمّكَ ، فغضب الوليد وهَمّ به ؛ فقال له عمر الوادي : جعلني الله فِداك ؛ ما يَعْقِل أبو رقيّة وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ؟ فأَمسك عنه .

[يأخذ غناء من راع]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال : بينا أنا أسير ليلةً بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو[2] : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها ... إذا ما انقضتْ أُحْدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ؛ فقلت : والله لألتمسنَّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطتُ من الشَّرَف[3] ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت ، فأعلمتُه الذي أقْصَدني إليه وسألتُه إعادتَه عليّ ؛ فقال : والله لو كان عندي قِرىً ما فعلتُ ، ولكنّي أجعله قِراك ، فربّما ترنَّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبَع ، وكسلانُ فأنْشَط ومستوحِشٌ فآنَسُ ؛ فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته ، فوالله ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلتُ المدينة ، ولقد وجدتُه كما قال . حدَّثني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني المؤمَّل بن طالوت الواديّ قال حدَّثني مَكِين العُذْريّ قال : سمعت عمر الواديّ يقول : بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء والعَرْج ، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربّما ترنّمْتُ به وأنا غَرْثانُ فيُشْبِعني ، ومستوحِشٌ فيؤنسني ، وكسلانُ فينشِّطني . قال : فما كان زادي حتى ولَجْتُ المدينةَ غيره ، وجرَّبْتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

لقد هَجَرتْ سُعْدى وطال صدودُها ... وعاوَد عَيْني دمْعُها وسهودُها

وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدى بأرضها ... أرى الأرضَ تُطْوى لي ويدنو بعيدُها

منعَّمَةٌ لم تَلْقَ بؤسَ مَعيشةٍ ... هي الخُلْد في الدنيا لمَن يَستفيدُها

---

1 العرج : عقبة بين مكّة والمدينة .

2 ديوان كثير (تحقيق إحسان عبّاس) 200–202 .

3 الشرف : المكان العالي .

هي الخلدُ ما دامتْ لأهلك جارةً   وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيِّر . والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكّيّ . وذكرَ الهشاميُّ أنّ فيه ليزيدِ حَوْراء ثانيَ ثقيل . وفيه خفيفُ رَمَل يُنْسَب إلى عمر الوادي ، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الرّاعي ولا أعلم لَمن هو . وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غَزَلِه ومختاره . وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها : [من الطويل]

فتلكَ التي أصفيتُها بمودَّتي   وليداً ولمّا يَسْتَبِنْ لي نهودُها

وقد قتلتْ نفساً بغير جَريرة   وليس لها عَقْل ولا من يُقِيدُها

فكيف يَودُّ القلبُ من لا يودّه   بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها

ألا ليت شِعري بعدنا هل تغيَّرتْ   عن العهد أم أمست كعهدي عهودُها

إذا ذكرتْها النفسُ جُنّتْ بذكرها   وريعَتْ وحَنَّتْ واستُخِفّ جَلِيدها

فلو كان ما بي بالجبال لَهدَّها   وإن كان في الدنيا شديداً هُدُودُها

ولستُ وإن أوعِدْتُ فيها بمُنْتَهٍ   وإن أُوقِدَتْ نارٌ فشَبَّ وَقُودُها

أبِيتُ نجيّاً للهموم مُسَهَّداً   إذا أُوقدتْ نحوي بليل وَقُودُها

فأصبحتُ ذا نفسيْن نفسٌ مريضةٌ   من اليأسِ ما ينفكُّ همٌّ يعودُها

ونفسٌ إذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ   كما انسَلّ من ذات النّظام فريدُها

فلم تُبْدِ لي يأساً ففي اليأس راحة   ولم تُبْدِ لي جُوداً فينفعَ جودُها

[طلب منه الوليد أن يصنع لحناً في شعر له]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : قال عمر الوادي : خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعاعه ؛ فقال لي : يا جامع لذّتي ، أتحِبّ أن أهَبَه لك ؟ قلت : نعم والله يا مولاي ؛ فقال : غنّ في هذه الأبيات التي أُنشِدك فيها واجْهَدْ نفسَك ، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك ؛ فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق . [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

ألا يُسلِيكَ عن سَلْمى   قَتِيرُ الشَّيب والحِلْمُ[2]

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 80 ، رقم 90 .

2 قتير الشيب : أوّل ما يظهر منه .

وأنّ الشــكّ ملتبسٌ فــلا وصلٌ ولا صُـرْمُ
فـــلا والله ربِّ النـا سِ ما لك عندنـا ظُلْمُ
وكيف بظلــم جاريـةٍ ومنهـا اللّــين والرُّحْمُ

فخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى استقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأسٌ وهو يروم أن يشربها فلا يقدِر خُماراً ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرَغْتُ ممّا أمرتَني به ؛ وغنّيتُه ، فصاح : أحسنتَ والله ؛ ووثَب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متّكئاً والكأسُ في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أعِدْ بأبي أنت وأمّي ! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أُسكَر ؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام .

[عبد المطّلب بن عبد الله يسبق بين المغنّين]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمَّاد عن أبيه عن غُرَيْر بن طَلْحة الأَرْقَمي عن أبي الحَكَم عبد المطَّلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إنّي لبالعَقِيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أشْعَبُ وعمر الوادي وأبو رقيّة ، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَيّ وسبَّقتُهُمُوه في رَجَزٍ فكان أوّلَ مَن خسَقَ[1] عمرُ الوادي فقال : [من الرجز]

أنــا ابن داود أنا ابن زاذانْ أنا ابن مولى عمرو بن عثمان[2]

ثم خسَق أبو رقيّة فقال : [من الرجز]

أنــــا ابــن عامــر القــاري أنــــا ابــن أوّل أعجمــي

تقدّم في مسجد رسول الله ﷺ . ثم خسَق أشعبُ فقال : [من الرجز]

أنــا ابـــن أمّ الخلنـــداج أنا ابـن المحرِّشة بـين أزواجِ

النبيّ ﷺ . قال أبو الحكَم . فقلت له : أي أخزاك الله ، هل سمعتَ أحداً قطُّ فَخر بهذا ؟ فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخري ! لولا أنّ أمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضُهنّ على بعض .

---

1 الخسق : الرمي بالسهم .
2 الأرجاز الثلاثة غير متّزنة عروضيّاً ، وليس بين الثلاثة من كان شاعراً .

[101] ـ أخبار أبي كامل

[مغنّ محسن ومضحك]

اسمُه الغُزَيِّل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل : بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنّياً محسناً وطيّباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيّام بني أميّة ؛ ولعلّه مات في أيّامهم أو قُتل معهم .

[غنّى الوليد فأطربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : أنّ أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال[1] : [من الرمل]

صوت

نـــام مَن كان خليّاً مِن أَلَـمْ ... وبدائـي بـــتُّ ليـلي لم أَنَمْ
أرقُـــب الصبحَ كأنّي مُسْنَدٌ ... في أكفّ القوم تَغْشاني الظُّلَمْ
إنّ سلمـى ولنا مـــن حبّهـا ... دَيْدَنٌ في القلب ما اخضرّ السَّلَمْ
قـــد سَبَتْني بشَتِيتٍ نَبْتُـــه ... وثنايـــا لم يَعِبْهـــنَّ قَضَـمْ[2]

قال فطرِب الوليد وخلَع عليه حتى قَلَنْسِيَةَ وَشْيٍ مُذْهَبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبَسها إلاّ من عيد إلى عيد ويمسَحها بكمّه ويرفعها ويبكي ويقول : إنّما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد) .

الغِناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي ، ونسبه غيرُه إلى أبي كامل ، وزعَم آخرون أنّه لحَكَم ، هكذا نسبه ابنُ المكّي إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني الأصمعيّ عن صفوان ابن الوليد المُعَيْطيّ قال : غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة ، وهو : [من الخفيف]

جنِّبـاني أذاةَ كلّ لئيـم ... إنّه ما علمتُ شرُّ نديمِ[3]

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 76 ، رقم 84 .
2 القضم : انصداع في السنّ أو تكسّر وتثلّم في أطراف الأسنان .
3 ديوان الوليد : ص 83 ، رقم 95 . جنباني في الديوان : جنّبوني .

[للوليد فيه أشعار كثيرة]

فخلَع عليه ثيابه كلَّها حتى قَلَنْسِيَته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه؛ وزاد فيه أنّه أُوصى أن تُجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها ممّا يغنّى به: [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْتُ أبا كاملٍ مِنَ الأصفرِ البابِلي
وسقَّيْتُها معبداً وكلَّ فتىً فاضلِ

وقال أيضاً فيه[1]: [من الهزج]

وزِقٍّ وافرِ الجنبيـ ـن مثل الجمل البازلْ
بـه رُحْتُ إلى صَحْبي ونَدماني أبي كاملْ
شرِبناه وقد بِتْنا بأعلى الدَّيْر بالساحِلْ
ولم نَقْبَل مِنَ الواشي قبولَ الجاهل الخاطلْ[2]

الغناءُ لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ وأنّه نُحِلَه أبو كامل. وذكر أنّ لعمر الواديّ أو لحَكَم فيه رَمَلاً بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمَّد بن إبراهيم قريش، رحمه الله، أنّ لِيَنْشُو فيه خفيفَ رملٍ.

ومنها في قول الوليد: [من مجزوء المتقارب]

صوت

سَقَيْتُ أبا كامِلٍ مِنَ الأصفر البابلي
وسقّيتُها معبداً وكلّ فتىً فاضلِ
ليَ المحضُ من ودّهم ويَغْمُرهم نائلي
وما لامني فيهمُ سوى حاسدٍ جاهلِ

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه لِيَنْشُو ثقيلٌ أوّل. أخبرني بذلك قريشٌ ووجّه الرُّزّة جميعاً.

[كان المعتضد يمدح شعر الوليد]

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال: كان للمعتضد علَيَّ صوتانِ من شعر الوليد،

---

1 ديوان الوليد بن يزيد: ص 64، رقم 68 من الأغاني.

2 الجاهل في ل: العاجل.

أحدهما : [من مجزوء المتقارب]

سقَيْـتُ أبـا كامـلٍ مـن الأصفر البابلي

والآخر[1] : [من مجزوء الرمل]

إن في الكأس لمسكاً أو بكَفّـيْ مَن سقاني

وكان يُعْجَب بهما ويقول لجلسائه : أما تروْن شمائلَ الملوك في شعره ، ما أبْيَنها : [من مجزوء المتقارب]

ليَ المَحضُ من ودّهم ويغمُرهـم نائـلي

وحين يقول : [من مجزوء الرمل]

كلّـلاني توّجـاني وبشعـري غنّيـاني

وقد نُسِب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدهما ، ولأنّ الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين ، أحدهما :

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

سُلَيْمى تلـك في العِيرِ قِفـي نُخْبِرْكِ أو سيري
إذا مـا أنـتِ لم تَرْثي لصَبّ القلـب مغمورِ
فلمّـا أن دنـا الصبحُ بأصـواتِ العصافيرِ
خرجنا نُتْبِـع الشمسَ عيونـاً كالقَـواريرِ
وفينـا شادنٌ أحْـوَ رُ مـن حُـورِ اليَعافِيرِ

الشعر ليزيد بن ضَبّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبذ ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ ؛ وذكَر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبّابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنِّسه . وذكر حبش أنّ فيه لعَطَرَّد هزَجاً بالوسطى .

1 شعر الوليد بن يزيد : ص 87 ، رقم 100 .

[102] ـ أخبار يزيد بن ضبّة ونسبُه

[نسبه وولاؤه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدَّثني أحمد بن الهَيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعْدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يَزيد بن ضَبّة الثَّقَفيّ قال : كان جدِّي يزيد بن ضَبّة مولىً لثَقيف . واسم أبيه مِقْسم ؛ وضَبَّةُ أمّه غلبَتْ على نسبه ؛ لأنّ أباه مات وخلّفه صغيراً ، فكانت أُمّه تحضُن أولاد المُغيرة بن شُعْبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة ، فكان جَدّي يُنسب إليها لشهرتها . قال : وولاؤه لبني مالك بن حُطَيْط ثم لبني عامر بن يَسار . قال عبد العظيم : وكان جدّي يزيد بن ضَبّة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متّصلاً به لا يفارقه .

[لم يقبل هشام تهنئته بالخلافة]

فلمّا أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهنّئاً بالخلافة . فلمّا استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه ، مثَل جدّي بين السِّماطين فاستاذنه في الإنشاد ، فلم يأذَن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه ، وأمَر بإخراجه . وبلغَ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتَني ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ؛ فقد سوّغتُك جميعَ غلّته ، ومهما احتجتَ إليه من شيء بعد ذلك فالتمِسْه منّي . فخرج إلى الطائف ، وقال يذكر ما فعله هشام به : [من الوافر]

أرى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا ... وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا
لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حَمِدنا
وقد ضنّتْ بما وعدتْ وأَمستْ ... تغيِّر عهدَها عمّا عهِدنا
ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا
تُلِمّ على تنائي الدّار منّا ... فيُسهرنا الخيالُ إذا رقَدْنا
ألم تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا ... أُموراً خُرّقَت فوهَتْ سَدَدنا
رأينا الفَتْقَ حين وهَى عليهم ... وكم من مثله صَدْع رَفأْنا

إذا هـــاب الكريهةَ من يَلِيها / وأعظَمها الهَيُوبُ لهــا عمَدنا
وجبّــارٍ تركنـــاه كَلِيــلا / وقائـــدِ فتنـــةٍ طــاغٍ أزَلْنا
فـــلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّـا / إذا مــا عــاد أهل الجُرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبَرْنا / ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألا مـــن مُبلِغٌ عنّـي هشاماً / فمــا منّــا البَلاءُ ولا بَعُدْنا
وما كنّا إلى الخلفاء نُفْضي / ولا كنّــا نؤخَّـــر إن شَهِدنا
ألَم يــكُ بالبلاء لنـا جَزاءٌ / فنُجْــزى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يروْن حقّـاً / لوافِدنــا فنُكْــرَمُ إن وفَدْنا
ولِينـــا الناسَ أزمانـاً طِــوالا / وسُسْناهــم ودُسْناهــم وقُدْنا
ألَـم تَـرَ من ولَدْنا كيف أشْبَى / وأشبَيْنا ومـــا بهـــمُ قعَدْنا[1]
نكون لَمـــن ولدْنـــاه سمـــاءً / إذا شِيمتْ مَخايِلُنـــا رعَدنا
وكان أبوك قـــد أسدى إلينا / جسيمةَ أمـــره وبـــه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفـــاء كانوا / بنا جَـــدّوا كما بهـــم جدَدْنا
هُـــمُ آباؤنـــا وهُـــمُ بنونـــا / لنـــا جُبِلـــوا كما لهـم جُبِلنا
ونَكْوِي بالعداوة مَـــن بَغانـــا / ونُسْعِـد بالمـــودّة مـــن وَدِدْنا
نـــرى حقّـــاً لسائلنـــا علينا / فنحبوه ونُجـــزِل إن وعَدنا
ونضمَن جارَنـــا ونـــراه منّا / فنَرفِـدُه فنُجـــزل إن رفَدْنا
وما نعتـــدّ دون المجـد مالاً / إذا يُغـلَى بمكرُمـــةٍ أفَدْنا
وأتلَـــدُ مجدِنـــا أنّا كِـرامٌ / بحـــدّ المَشْرِفيّـة عنـــه ذُدْنا

[هنّأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكلّ بيت ألف درهم]

قال : فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفَد إليه . فلمّا دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمّه إليه ، وقبّل يزيدُ بن ضبّة رجليه والأرضَ بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاي وانقطاعِه إليّ . فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذِن له ،

1 أشبى الرجل : إذا ولد له ولد ذكي .

فأنشده : [من الهزج]

سُلَيْمى تلــك في العِيرِ قِفي أسألْك أو سيري
إذا مــا بنتِ لم تأوي لصَــبّ القلــبِ مَغْمورِ
وقــد بانــت ولم تَعْهَد مهــاةٌ في مَهــاً حُورِ
وفي الآل حُمُــولُ الحـ ـيّ تُزْهَــى كالقَراقيرِ[1]
يُواريهـــا وتبــدو منـ ـــه آلٌ كالسَّماديرِ[2]
وتطفو حــين تطفو فيـ ـــه كالنَّخـل المَواقِيرِ[3]
لقد لاقيتُ مــن سَلْمى تباريــحَ التّنـــاكِيرِ[4]
دعتْ عيني لهــا قلبي وأسبـــابُ المقـــاديرِ
وما إنْ مَنْ بــه شيبٌ إذا يصبــو بمعــذورِ
لسلمــى رسمُ أطــلالٍ عفَتْهــا الرِّيحُ بــالمُورِ[5]
خَرِيــقٌ تنخُــل التُّربَ بأذيـــالِ الأعـاصيرِ[6]
فأَوْحِشْ إذ نأتْ سلمى بتلك الدُّورِ مــن دُورِ
سأرمي قانصاتِ البِيـ ـد إن عِشْتُ بعُسْبورِ[7]
مــن العِيسِ شَجَوْجاةٍ طواها النِّسْعُ بالكُورِ[8]
إذا مــا حَقَــبٌ منها قرَنّـــاه بتَصْدِيــرِ[9]

1 الآل : السراب ، وقيل إنّه من الضحى إلى زوال الشمس والسراب من الزوال إلى العصر . القراقير : جمع قرقور ، وهي السفينة الطويلة .

2 الآل هنا : الشخوص التي تظهر في الآل . السمادير : الأشياء التي تتراءى للإنسان في ضعف بصره من السكر أو النعاس أو الدوار .

3 المواقير : جمع ميقار ، والنخلة الميقار : التي عليها حمل ثقيل .

4 التباريح : الشدائد . التناكير : الأمور المنكرة .

5 المور : الغبار تثيره الريح .

6 الخريق : الريح الشديدة الهبوب .

7 العسبور : الناقة الشديدة .

8 الشجوجاة : الطويلة جدّاً أو طويلة الرجلين أو طويلة الظهر .

9 الحقب : حبل يشدّ به الرحل . والتصدير : الحزام .

زجرْنا العِيسَ فارقَدّتْ بإعصافٍ وتَشْميرِ[1]
تُقاسِيها على أيْنٍ بإدلاجٍ وتَهْجِيرِ
إذا ما اعْصَوْصَبَ الآلُ ومالَ الظِّلُّ بالقُورِ[2]
وراحت تَتَّقي الشمسَ مطايا القوم كالعُورِ
إلى أن يُفْضِحَ الصبحُ بأَصواتِ العصافيرِ[3]
لِتَعْتامَ الوليدَ القَرْمَ أَهلَ الجود والخيرِ[4]
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ معَ الخُورِ الجَراجِيرِ[5]
تُراعِي حين تُزْجيها هَوِيّاً كالمزاميرِ[6]
كما جاوبَتِ النِّيبُ رِباعَ الخُلُجِ الخُورِ[7]
ويُعطي الذهبَ الأحمـ ـرَ وَزْناً بالقناطيرِ
بلَوْناه فأَحمدنا ه في عُسْرٍ وميسورِ
كريمُ العُودِ والعُنْصـ ـرِ غَمْرٌ غير منزورِ
له السَّبْق إلى الغايا تِ في ضَمّ المَضاميرِ
إمامٌ يُوضِحِ الحقَّ له نورٌ على نورِ
مقالٌ من أَخي ودّ بحفظ الصدق مأثورِ
بإحكام وإخلاص وتفهيم وتَحْبِيرِ

قال : فأَمر الوليدُ بأَن تُعَدّ أَبيات القصيدة ويُعطَى لكلّ بيت أَلفَ درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأُعْطِيَ خمسين أَلفاً . فكان أَوّلَ خليفة عَدّ أَبياتَ الشعر وأَعطى على عددها لكلّ بيت أَلفَ درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلاّ هارون الرشيد ، فإنّه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأَعطى مروانَ بن أَبي حَفْصة ومنصوراً النَّمَرِيّ لمّا مدحاه وهَجَوا آلَ أَبي طالب

1 أرقدت : أسرعت . الإعصاف : السرعة في السير . التشمير : الجدّ في الأمر .
2 اعصوصب : اشتدّ . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .
3 أفضح الصبح : بدا .
4 اعتام : اختار واصطفى ، أي تقصده مختارة له .
5 الخور : النوق الغزيرة اللبن . الجراجير : الكرام من الإبل .
6 الهوي : الدوي في الأذن .
7 رباع : ما ولد من الإبل في أوّل النتاج . الخلج : جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن .

لكلّ بيت ألفَ درهم .

[أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد]

قال عبد العظيم وحدَّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد : أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضَبّة ، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيداً حسناً ، ولحِق عليه حماراً فصرَعه ؛ فقال لجدّي : صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم ؛ فقال في ذلك : [من الهزج]

وأحْـوَى سَلِسُ المَرْسِـ ـنِ مثلُ الصَّدَعِ الشَّعْبِ[1]

سمـا فـوق مُنِيفـاتٍ طـوالٍ كالقَنـا سُلْبِ[2]

طويـلُ الساقِ عُنْجُوجٌ أَشقُّ أصمـعُ الكَعْبِ[3]

على لأْمٍ أصـمَّ مُضَمَّـ ـرِ الأَشْعَـرِ كالقَعْبِ[4]

تَـرى بـين حَوامِيـه نُسُوراً كنَـوَى القَسْبِ[5]

مُعَالـىً شَنِـجُ الأَنْسا ءِ سامٍ جُـرْشُعُ الجَنْبِ[6]

طَـوى بـين الشَّراسيفِ إلى المَنْقَـبِ فالقُنْبِ[7]

يغـوص الملحـمَ القائِـ ـمَ ذو حَـدٍّ وذو شَغْبِ

عَتِيـدُ الشَّدِّ والتَّقْريـ ـبِ والإحضار والعَقْبِ[8]

صليـبُ الأُذْنِ والكاهـ ـلِ والمَوْقِفِ والعَجْبِ[9]

عريضُ الخـدِّ والجَبْهـ ـةِ والبِرْكَـةِ والهُلْبِ[10]

---

1 الصدع : الفتيّ القوي من الأوعال . والشعب : تباعد ما بين القرنين . وسكن العين للضرورة .

2 القنا السلب : الرماح الطويلة ومفرده «سَلِب» .

3 العنجوج : الرائع من الخيل . الأشق : الطويل . الكعب الأصمع : اللطيف المستوي .

4 اللأم : الشديد من كلّ شيء . الأشعر : ما استدار بالحافر من الشعر . القعب : القدح الصغير .

5 الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . لحمة النسر : لحمة صلبة في باطن الحافر . القسب : تمر يابس صلب النواة .

6 الأنساء : جمع نسا وهو عِرق يخرج من الورك حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : منقبضه . جرشع الجنب : منتفخه .

7 الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . المنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . القنب : جراب قضيب الدابة .

8 عتيد الشدّ : شديد الخلق مُعدّ للجري . التقريب والاحضار والعقب : أنواع من العدو .

9 الموقف : نقرة الخاصرة . العجب : أصل الذنب .

10 البركة : الصدر . الهلب : شعر الذنب .

إذا مـا حَثَّـه حـاثٌ يُبـاري الرِّيحَ في غَرْبِ[1]
وإن وجَّهَـــه أَسْر ع كالخُذْرُوفِ في التَّقْبِ[2]
وقَفَّاهـــنّ كالأَجْـدَ ل لمـا انضـمّ للضَّرْبِ
ووالى الطعـنَ يَختـار جَواشِنَ بُـدَّنٍ قُـبٍّ[3]
تَـرى كلَّ مُـدِلٌ قـا ئمـاً يَلْهَـثُ كالكلبِ[4]
كأنّ المـاء في الأَعطا ف منـه قِطَعُ العُطْبِ[5]
كأن الـدَّمَ في النَّحْـرِ قَـذالٌ عُـلّ بالخَضْبِ
يَزيـنُ الدَّارَ موقوفـاً ويَشْفـي قَـرَمَ الرَّكْبِ

قال : فقال له الوليد : أُحسنت يا يزيد الوصفَ وأَجدته ، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأَعْطِه الغُزَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنّيا فيه ؛ فقال : [من الهزج]

صوت

إلى هنـدٍ صبا قلبـي وهنـدٌ مثلُهـا يُصْبِي
وهنـدٌ غـادةٌ غَيْـدا ءُ مـن جُرْثومةٍ غُلْبِ
ومـا إنْ وجَـد الناسُ مـن الأَدواء كالحبِّ
لقد لَـجَّ بهـا الإعرا ضُ والهجـرُ بلا ذنبِ
ولّمـا أَقْضِ مـن هندٍ ومـن جاراتهـا نَحْبِي[6]
أرى وجـدِي بهنـدٍ دا ئماً يَـزْدادُ عـن غِبٍّ
وقـد أطْوَلْتُ إعراضاً ومـا بغضُهـمُ طِبِّي[7]
ولكـن رِقْبَـةُ الأَعـ يُن قـد تحجُز ذا اللُّبِّ

---

1 غرب الفرس : حدّته ونشاطه .
2 الخذروف : شيء يدوره الصبي فيسمع له دوي .
3 الجوشن : الصدر .
4 المدل : الجريء .
5 العُطب : القطن .
6 النحب : الحاجة .
7 الطب هنا : العادة .

ورَغْـمُ الكاشح الراغـ ـم فيهـا أَيْسَرُ الخَطْبِ

قال : ودفَع هذه الأَبيات إلى المغنِّين فغنّوْه فيها .

[فصيح يطلبُ الحُوشيّ من الشعر]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ ، وحدَّثني به محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أَبو حاتم قال حدَّثنا الأَصمعيّ قال : كان يزيد بن ضَبّة مولى ثَقيف ، ولكنّه كان فصيحاً ، وقد أَدركتُه بالطائف ، وقد كان يَطلب القوافيَ المعتاصةَ والحُوشيّ من الشعر .

[قيل له ألف قصيدة انتحلتها الشعراء]

قال أَبو حاتم في خبره خاصّة وحدَّثني غسّان بن عبد الله بن عبد الوهّاب الثقفيّ ، عن جماعة من مشايخ الطائفيِّين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبّة أَلفَ قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها ، فدخلتْ في أَشعارها .

[103] ـ أَخبار إسماعيل بن الهِرْبِذ

[ولاؤه]

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولىً لآل الزُّبَير بن العَوّام ، وقيل : بل هو مولى بني كِنانة . أُدرك آخرَ أَيّام بني أُميّة وغنّى للوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى آخر أَيّام الرشيد .

[يطرب الرشيد دون كبار المغنّين]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أَبي سعد عن محمَّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن أَبيه : أَنّ إسماعيل بن الهِرْبِذ قدِم على الرشيد من مكّة ، فدخل إليه وعنده ابنُ جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيْح وغيرُهم والرشيد يومئذٍ خاثِرٌ به خُمار شديد ؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُلَيْح ثم إبراهيم ثم إسحاق ، فما حرّكه أَحد منهم ولا أَطربه ؛ فاندفع ابن الهِرْبِذ يغنّي ، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد ، فغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

يــا راكبَ العيس التي ... وفدَت من البلد الحَرامِ[1]

قُــل للإمــام ابن الإما ... م أَخي الإمام أَبي الإمامِ

زيــنِ البريّــة إذ بدا ... فيهــم كمصباح الظلامِ

جعل الإلــهُ الهِرْبِــذيَّ ... فِداك مــن بــين الأَنامِ

الغناء لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . قال : فكاد الرشيد يرقص ، واستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه ، ثم أَمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له : يا أَمير المؤمنين ، إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فإن أَذِن مولاي حدَّثته به ؛ فقال : حدِّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزُّبَير ، فدَفَع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً ، فرُحْتُ فلقِيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق وهي تغنّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويّه ؛ فسأَلتها أَن تُعلِّمَنيه ؛ فقالت : لا وحقِّ القبرِ[2] إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُ إليها الدرهمين وعَلّمَتْنيه ؛ فرجَعتُ إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرِّحاً شُغِلتُ معه بنفسي فأُنْسِيتُ الصوت . ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أَيّام أَبتاع له بهما لحماً ؛ فلقِيَتْني الجاريةُ فسأَلْتُها أَن تُعيد الصوتَ عليّ ؛

---

1 وفدَت في ل : وخدت .

2 تقصد قبر النبيّ .

فقالت : لا والله إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُهما إليها وأعادته عليَّ مراراً حتى أَخذتُه . فلمّا رجَعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال : ما القصّة في هذين الدرهمين ؟ فصدَقتُه القصّة وأَعَدْتُ عليه الصوت ، فقبّل بين عينيّ وأَعتقني . فرحلتُ إليك بهذا الصوت ، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر ؛ فقال : دَع الأوّلَ وتَناسَه ، وأَقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر ؛ فأمّا مولاك فسأَدفع إليه بدل كلّ درهم أَلفَ دينار ؛ ثم أَمر له بذلك فحُمِل إليه .

[شعر نسب الوليد وليس له]

وممّا نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له[1] : [من الرمل]

صوت

من المائة المختارة

امدَحِ الكأسَ ومــــن أَعْمَلها واهْجُ قومــاً قتلونا بالعطشْ

إنّمــا الكــأس ربيعٌ باكــرٌ فإذا مــا غــاب عنّــا لم نَعِشْ

الشعر لنابغة بني شَيْبان . والغناء لأَبي كامل ، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى ، وهو الذي تسمّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ . وفيه لأَبي كامل أَيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشاميّ أَن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر .

1 البيتان من قصيدة طويلة في ديوان نابغة بني شيبان : 83–89 .

[104] ـ نسب نابغة بني شَيْبان

[نسبه]

النابغة اسمه عبد الله بن المُخارِق بن سُلَيْم بن حصرة[1] بن قَيْس بن سِنَان بن حَمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزار . شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان يفِد إلى الشام إلى خلفاء بني أُميّة فيمدحهم ويُجْزلون عطاءه . وكان فيما أُرى[2] نَصْرانيّاً لأنّي وجدته في شعره يَحلِف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأَيمان التي يحلِف بها النّصارى . ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولَده ؛ وله في الوليد مدائحٌ كثيرة .

[مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أَخيه وتَوْلِية الوليدِ ابنِه العهدَ ، كان نابغة بني شيبان منقطِعاً إلى عبد الملك مَدّاحاً له ؛ فدخل إليه في يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه ، فمَثَل بين يديه وأَنشده قوله[3] : [من المنسرح]

أَشتقتَ وانهلّ دمعُ عينك أَنْ أَضحى قِفاراً من أَهلـه طَلَحُ[4]

حتى انتهى إلى قوله :

أَزَحْتَ عنّـا آلَ الزُّبير ولـو كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا[5]

1 ل : حضيرة وفي الديوان : خصيرة .

2 لقول أبي الفرج هذا ما يبرّره في شعر النابغة ، كقوله مثلاً :

يظـلّ يتلـو الإنجيـل يـدرسه مـن خشيـة الله قلبـه طفـحُ

غير أنّ في شعره نفساً إسلاميّاً لا يخطئه القارىء ، بل إنّه يصرّح بإسلامه كقوله :

وتعجبني اللـذات ثـم يعوجني ويسترني عنهـا مـن الله ساتـرُ

ويزجرني الإسلامُ والشيب والتُقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجرُ

فهل كان النابغة نصرانيّاً في مبدئه ثم أسلم ؟ .

3 ديوان نابغة بني شيبان (دار الكتب) : 101–108 .

4 طلح : اسم موضع مختلف على تعيينه .

5 الشطر الثاني في رواية الديوان : كان إمام سواك ما صلحوا .

إن تَلْـقَ بَلْوَى فأنت مُصْطَبِرٌ وإن تـُلاقِ النُّعْمَى فـلا فرحُ
ترمي بعينَيْ أَقْنى على شَرَف لم يــؤذه عائـرٌ ولا لَحَحُ[1]
آلُ أَبــي العـاصِ آلُ مَأْثُرةٍ غُـرٌّ عِتَاقٌ بالخير قـد نفَحوا
خيرُ قـريشٍ وهــم أفاضلُها في الجِدّ جِـدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أَرْحَبُهــا أَذْرُعــاً وأَصبرُهـا أنتم إذا القوم في الوَغى كلَحوا[2]
أَمّــا قريشٌ فأنــتَ وارثُهـا تكُفّ من صعبهم إذا طمَحوا
حفِظْتَ مــا ضَيّعوا وزَنْدَهم أَورَيْتَ إذ أَصلدوا وقد قدحوا
آليتُ جَهْداً ، وصادقٌ قسمي ، بربٍّ عبــدٍ تجنُّــه الكُرحُ[3]
يَظلّ يتلــو الإنجيــلَ يدرسُه مــن خَشْية الله قلبُه طَفحُ[4]
لَابنُــك أولَى بمُلــك والده ونجمُ من قـد عصاك مُطَّرحُ
داود عَــدْلٌ فاحكم بسيرته ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نصَحوا[5]
وهم خيــارٌ فاعمل بسنّتهم واحْيَ بخير واكْدَحْ كما كدَحوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلّم في ذلك بإنذار[6] ولا دفع ؛ فعلم الناس أَنّ رأْيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز ، فقال : لقد أَدْخل ابنُ النّصرانيّة نفسه مُدْخَلاً ضيِّقاً فأوردها مورداً خطراً ؛ وبالله عليّ لئن ظفِرتُ به لأَخْضِبنّ قدمَه بدمه .

[هنأ يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب]

وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : لمّا قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشَّيبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فأَنشده قولَه في تهنئته بالفتح[7] : [من الوافر]

أَلا طـال التنظُّـر والثَّــوَاءُ وجاء الصيف وانكشف الغِطاءُ
وليس يُقيـم ذو شَجَنٍ مُقِيـمٍ ولا يَمْضي إذا ابتُغي المَضاءُ

---

1 والأقنى : الصقر . والعائر : الرمد . واللحح : لصوق الأجفان بوسخ أبيض جامد . ولا لَحح في ل : ولا لحوا .
2 كلحوا : تغيّرت وجوههم .
3 تجنُّه الكرح في ل : لله ينتصح . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة كان يسكنها الرهبان .
4 الديوان : قفح : أي وجع .
5 نصحوا في ل : نُصُح .
6 في ل : بإقرار .
7 ديوان النابغة : 40–51 .

طَوالَ الدَّهـر إلاّ في كتابٍ ومقـــدارٍ يُوافِقـه القضـاءُ
فما يُعطى الحريصُ غنىً لحِرْصٍ وقد يَنْمــي لذي الجود الثَّراءُ
وكلُّ شديـدةٍ نزلـتْ بحـيٍّ سيتبعُهـا إذا انتهـت الرَّخاءُ

يقول فيها : [من الوافر]

أؤمُّ فتىً مـن الأعياصِ مَلْكاً أغـــرَّ كأن غُرّتـــه ضياءُ
لأُسْمِعــه غريبَ الشعرِ مدحاً وأُثْنِـــي حيـــث يتّصِل الثناءُ
يزيد الخيرِ فهـو يزيـد خيراً وينمــي كلّمــا ابتُغــي النّماءُ
فضَضتَ كتائبَ «الأزديّ» فَضّاً بكبشك حـين لَفّهمــا اللقاءُ
سَمكْتَ المُلْكَ مقتبَلاً جديداً كما سُمِكَتْ على الأرض السماءُ[1]
نرجِّــي أن تـدومَ لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنـــا رَجاءُ
«هشامٌ» و«الوليد» وكلُّ نفسٍ تُريــد لك الفناءَ لك الفِداءُ

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن توقَر له بُرّاً وزَبيباً ، وكساه وأجزل صلته .

[وفد على هشام مادحاً فطرده]

قال : ووفَد إلى هشام لمّا وَلِي الخلافة ؛ فلمّا رآه قال له : يا ماصَّ ما أبْقتِ المَواسي من بَظْرِ أمّه ! ألستَ القائلَ : [من الوافر]

هشامٌ والوليـــدُ وكلُّ نفسٍ تريدُ لك الفنـــاءَ لك الفِداء

أَخْرِجوه عنّي ! والله لا يَرْزَؤُني شيئاً أبداً وحَرَمه . ولم يزل طولَ أيّامه طريداً ؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

[الخمر ومدحها]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني عُبيد الله بن محمَّد الكوفيّ عن العُمَريّ الخصّاف عن الهَيثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية أنّه أنشده لنابغة بني شَيْبان : [من الرمل]

أيُّهـا السـاقـي سقتْكَ مُزْنَـةٌ من رَبيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشّ[2]

1 رواية الديوان : سمكت لهم بإذن الله ملكاً . وسمك الشيء : رفعه .
2 الطش : المطر الضعيف . والأهاضيب : المطر المتوالي .

امدحِ الكأس ومــن أعملهــا واهْجُ قومــاً قتلونا بالعطشْ
إنّمــا الكأسُ ربيـعٌ باكــرٌ فإذا مــا غاب عنّــا لم نَعِشْ
وكأنّ الشَّرْبَ قــوم مُوِّتوا من يَقُمْ منهــم لأمر يَرْتَعِشْ
خُــرُس الألسُن ممّــا نالهــم بين مصروع وصاحٍ منتعشْ
مــن حُميَّا قَرْقَفٍ حُصِّيَّــةٍ قهــوةٍ حَوْليّــةٍ لم تُمْتَحَشْ[1]
ينفع المزكـومَ منهـــا ريحُها ثــم تَنفـي داءه إن لم تُنشّ[2]
كلّ مــن يشربهــا يألفُهــا يُنفق الأموالَ فيهــا كلُّ هَشّ

[أنشد الوليد شعراً في الفخر]

أخبرني محمَّد بن مزيد بن أبي الأزْهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحِيّ، قال ابن أبي الأزهر: وهو محمَّد بن سَلاّم: غنَّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد: [من الرمل]

امـدَحِ الكأسَ ومــن أعملها واهْـجُ قومـاً قتلونـا بالعطشْ

فسأل عن قائلِ هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأُحْضِر؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إيّاها؛ وظنَّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيْبان، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ؛ ووصله وانصرف. أوّل هذه القصيدة قوله[3]: [من الرمل]

خَــلَّ قلبي مــن سُلَيمى نبلُها إذ رمتنــي بسهــام لم تَطِشْ[4]
طَفْلَةُ الأعطافِ رُوْدٌ دُمْيَةٌ وشَواهــا بَخْتَرِيّ لم يُحَشْ
وكأنّ الــدُّرّ في أخراصهـــا بَيْضُ كَحْـلاء أقرّتـه بعُش[5]
ولها عينــا مَهــاةٍ في مهــاً تَرْتعي نبــتَ خُزامى ونَتَش[6]
حُــرّةُ الوجــه رخيمٌ صوتُها رُطَبٌ تَجْنيه كـفُّ المُنْتَقِش[7]

1 الحميا: سَورة الخمر وشدّتها. والقرقف: الخمر، سمِّيت كذلك لأنّها تصيب شاربها بالرعدة.
2 لم تنش: النشوة أي لم تُسكرْ.
3 ديوان بني شيبان 83–89.
4 خل: نفذ وثقب.
5 الأخراص: جمع خرص وهو القرط. والكحلاء: طائر.
6 النتش: أوّل ما يظهر من النبات.
7 المنتقش: المتخيّر.

وهي في الليل إذا ما عُونِقَتْ مُنيةُ البعل وهمُّ المُفترِشْ

وفيها يقول مفتخراً : [من الرمل]

وبنو شَيْبان حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ وليست بالقَمِشْ[1]

ورَدوا المجدَ وكانوا أهلَه فرَوُوا والجودُ عافٍ لم يَنِشّ[2]

وتَرى الجُرْدَ لدى أبياتهم أرِناتٍ بين صَلْصال وجُشّ[3]

ليس في الألوان منها هُجْنَةٌ وَضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَش[4]

فبها يَحْوُون أموالَ العِدَا ويَصيدون عليها كلَّ وحشْ

دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدَيْنيّات والخيلِ النُّجُش[5]

نُنْهِل الخَطِّيّ من أعدائنا ثم نَفْري الهامَ إن لم نَفْترِشْ[6]

فإذا العِيسُ من المحل غَدَتْ وهي في أعينها مثلُ العَمَشْ

حُسَّرَ الأوبار ممّا لَقِيتْ من سَحاب حاد عنها لم يُرِشّ[7]

خُسَّفَ الأعين تَرْعى جُوفةً هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتفِشْ[8]

نَنْعَشُ العافي ومن لاذ بنا بسجال الخير من أيْدٍ نُعُش[9]

ذاك قولي وثنائي وهُمُ أهْلُ ودِّي خالصاً في غير غِشّ

فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم يومَ يمشون إلى قبري بنعشْ

هل غَشِينا مَحْرَماً في قومنا أو جَزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

[بعض شعره الذي غُني به]

وممّا يُغنّى فيه من شعر نابغة بني شيبان : [من مجزوء الرمل]

---

1 القمش : زعانف الناس وأرذالهم .

2 العافي : الوافي .

3 أرنات : نشيطات . الصلصال : الحمار المصوّت . جش : جمع أجشّ وهو الغليظ الصوت .

4 الهجنة : العيب . البرش : البرص .

5 النجش : المستثارة المسرعة .

6 نفترش : نصرع .

7 لم يرش : لم ينزل ما به من مطر .

8 خسف الأعين : غائرتها . الجوفة : النبتة الفارغة الجوف .

9 العافي في ل : العاني . نعش : تنتعش للكرم وفِعل الخير .

صوت

ذَرَفتْ عينـي دموعـاً مـن رسوم بحَفيرِ
مُوحِشاتٍ طامساتٍ مثـلِ آيـاتِ الزّبُورِ
وزِقـاقٍ مُتْرَعـاتٍ من سُلافات العَصيرِ[1]
مُجْلَخِـدّات مِـلاءٍ بطّنوهـنّ بِقِيـرِ[2]
فإذا صارت إليهـم صُيِّرتْ خيـرَ مَصيرِ[3]
من شبابٍ وكُهـولٍ حكّمـوا كأسَ المُديرِ
كم تـرى فيهم نديماً مـن رئيس وأميـرِ

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر ، ولم يذكر طريقتهما ؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو .

صوت
من المائة المختارة[4]

[من الكامل]

يـا عَمْـرُ حُـمّ فراقُكـم عَمْرا وعَزَمْـتِ منّـا النـأيَ والهجرا
إحـدى بنـي أَوْدٍ كَلِفتُ بهـا حَمَلت بـلا تِـرَةٍ لنـا وتْرا
وتَـرى لهـا دَلاًّ إذا نطقـتْ تركـت بنـاتِ فـؤاده صُعْرا[5]
كتساقط الرُّطَبِ الجَنيِّ من الأفنا ن لا بَثْـراً ولا نَـزْرا[6]

الشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ . والغناء لفَزار المَكّي ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

---

1 رواية هذا البيت في الديوان :
في زقاق كلّ حجليـ ـن أضـرّا ببعيـر
والحجل : هو السقاء العظيم .
2 مجلخدات : مستلقيات . بطنوهن في ل : طينوهن .
3 رواية هذا البيت والذي بعده في الديوان :
فـإذا صرتَ إليهـم صرت في خيرِ مصير
عنـد شبان وشيـب أعملـوا كأس المدير
4 ديوان أبي دهبل : 109–110 .
5 صعر : مائلة .
6 رواية الديوان : كتساقط الرطب الجنيّ من الاقناء لا نشراً ولا نزرا
الاقناء : جمع قنو وهو العذق بما فيه من رطب . والبثر : الكثير وكذلك النشر .

[105] ـ أَخبار أَبي دَهْبَل ونسبه[1]

[نسبه]

نسبه ـ فيما ذكر الزُّبَير بن بَكّار وغيره ، وَهْب بن زَمْعة[2] بن أُسَيْد بن أُحَيْحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ بن غالب . ولخلف بن وَهْب يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى أَو غيرُه : [من الكامل]

خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخرِ ليلةٍ أَبــداً يكثِّـر أَهلَــه بعيـالِ
سَقْياً لوَهْب كَهْلِها ووليدها مـا دام في أَبياتهـا الذيّـالِ
نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم صُيَّابـة ليسوا مـن الجُهَّالِ[3]

وأمّ أَبي دَهْبل امرأة من هُذَيل . وإيّاها يَعْني بقوله : [من المتقارب]

أَنـا ابن الفروعِ الكرامِ التي هُذَيـلٌ لأَبياتهـا سائِلَـهْ
هُـمُ ولـدوني وأَشبَهتُهـم كما تُشْبِـه الليلـة القابلـهْ

واسمها ، فيما ذكر ابن الأَعرابيّ ، هذيلة بنت سَلَمة .

[كان شاعراً جميلاً عفيفاً]

قال المدائني : كان أَبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرِب مَنْكِبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ، ومدَح معاويةَ ، وعبدَ الله بن الزبير ، وقد كان ابنُ الزُّبَير ولاّه بعضَ أَعمال اليمن .

[عدّه راهب أشعر الناس]

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسد قال حدَّثنا العُمَريّ عن الكَلْبيّ عن أَبي مِسْكين ، وأَخبرني به محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أَحمد بن الهيْثم بن فِراس قال حدَّثني العبّاس بن هشام عن أَبيه عن أَبي مِسْكين : أَنَّ قوماً مَرّوا براهب ، فقالوا له : يا راهب ، مَنْ أَشعرُ الناس ؟ قال : مكانَكم حتى أَنظرَ في كتاب

1 لأبي دهبل الجمحيّ ترجمة في الشعر والشعراء : 512–514 والمؤتلف : 168 وانظر بروكلمان 1 : 198 . وقد جمع كرنكو شعره سنة 1910 ثم عثر الأُستاذ عبد العظيم عبد المحسن على مخطوطة له في النجف فنشرها عام 1972 ، وإليه نشير .

2 ل : ربيعة وهو تحريف .

3 الصيابة : الخيار من كلّ شيء .

عندي ، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال : وَهْبٌ من وَهْبين ، من جُمَح أو جُمَحين .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عليّ بن صالح عن عبد الله بن عُرْوة قال : قال أبو دَهْبل يفخَر بقومه[1] : [من البسيط]

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرَتْ شَهْباءُ تُبصر في حافاتهـا الزَّغَفا[2]

أهـلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا والشاهِدو الروع لا عُزْلاً ولا كُشُفا[3]

قال الزُّبَير وأنشدني عمِّي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهْبل يفخَر بقومه بقوله[4] : [من الرجز]

أنا أبـو دَهْبـلَ وَهْـبٌ لِوَهَبْ من جُمَحٍ في العزِّ منها والحَسَبْ

والأُسرةِ الخَضْراء والعِيصِ الأَشِبْ ومن هُذَيل والدي عالي النَّسَبْ[5]

أورثني المجدَ أبٌ مـن بعد أبْ رمحي رُدَيْنـيّ وسيفـي المستلبْ

وبَيْضتـي قَوْنَسُها مـن الذَّهبْ دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ[6]

والقوس فَجّاءُ لهـا نَبْـلٌ ذَرِبْ محشورةٌ أُحْكِـم منهـن القُطَبْ[7]

ليوم هَيْجاءَ أُعِـدّت للرَّهَبْ

[كادوا له عند من كان يهواها]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثنا محمَّد بن زُهَير قال حدَّثنا المدائنيّ : أنّ أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة ، وكانت امرأةً جَزْلة[8] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشادِ الشعر والأخبار ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً مُحبَّة له . وكان أبو دهبل رجلاً سيِّداً من أشراف بني جَمح ، وكان يحمل الحَمالات ويُعطي الفقراء ويَقْري الضيف . وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك ، وزعم غيرُهم أنّه لم يصل إليها . وكانت عمرةُ تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمِنَ لها ذلك واتّصل ما بينهما . فوقفت عليه زوجتُه فدسَّتْ إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ؛

---

1 ديوان أبي دهبل : 64–65 .

2 الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .

3 كشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له في الحرب . وقيل من ينهزم في الحرب .

4 ديوانه : 47–48 .

5 العيص : الأصل . والأشب : الملتفّ .

6 قونسها : أعلاها . والدرع الدلاص : اللينة الملساء . وسردها سرد في الديوان : شكّها شكّ .

7 القوس الفجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .

8 الجزلة : الأصيلة الرأي .

فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عُرْض حديثها : إنّي لأَعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين أبا دهبل مع ما بينكما ! قالت : وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل ؟ قال : فتضاحكت وقالت : أتسترين عنّي شيئاً قد تحدّثتْ به أشرافُ قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها ! فما يتدافع اثنان أنّه يهواكِ وتَهْوَيْنه ؛ فوثَبتْ عن مجلسها فاحتجبتْ ومنعت كلَّ من كان يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحجَبَتْه وأرسلت إليه بما كرِه . ففي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

صوت

تطـاوَلَ هـذا الليـل مـا يتبلّجُ وأعيَتْ غَواشي عَبْرتي ما تَفَرّجُ
وبـتُّ كئيباً مـا أنـام كأنّما خِلالَ ضلوعـي جمـرةٌ تتوهّجُ
فطوْراً أُمَنّي النفسَ من عَمْرَةَ المُنى وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزنُ أَنْشِجُ
لقـد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

الغناء في البيت الأوّل وبعده بيت في آخر القصيدة : [من الطويل]

أُخَطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يَخاف القتلَ ولهان مُلْفَجُ

لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر حمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنّه لحائد بن جَرْهَد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسَبه الناسُ إليـه ، فكان إذا غنّاه وسُئل عنه يقـول : هـذا والله لحائـد بن جَرْهَد لا لي . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمَنّي النفس» لمالك ثقيلٌ أوّل بالسبّابة . في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش : [من الطويل]

رأوا غِـرّةً فاستقبلوها بألْبِهـم فراحوا على ما لا نُحِبّ وأَدْلجوا[2]
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غَيْبَهم فلم يَنْهَهم حلمـي ولم يتحرّجوا
فليـت كوانِيناً مِـنَ آهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دِجْلة لَجَّجُوا[3]
هـمُ منعونا مـا نحـبّ وأوقدوا علينـا وشَبّوا نـار صُرم تَأَجَّجُ

---

1 ديوان أبي دهبل : 52–57 .

2 ألبهم : جمعهم .

3 الكوانين : الثقلاء أو الذين يتقصّون الأخبار لنقلها . ولججوا : وقعوا في اللجة . وفي الديوان :
بأجمعهم في لجة البحر لججوا

ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ولم يُلْجِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدّهر يفرُق بيننا ولا يَسْتقيم الدّهر والدّهرُ أعوجُ[1]
عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً يكونُ لنا منها نجاةٌ ومَخْرجُ
فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَلَ آلِفٌ لـه كَبِدٌ من لوعة الحبّ تَلْعَجُ[2]
وقلت لعَبّاد وجاء كتابُها لهذا وربِّي كانت العين تَخلُجُ
وإنّي لمحزونٌ عشيّةَ زرتُها وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّجُ
أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يخاف القتل وَلْهان مُلْفجُ

الملفج : الفقير المحتاج .

وأشفَقَ قلبي من فراق خليلةٍ لها نَسبٌ في فرَع فِهرٍ متوَّجُ
وكفٌّ كهُدّاب الدِّمَقْسِ لطيفةٌ بها دَوْسُ حِنّاء حديثٌ مُضَرَّجُ[3]
يَجُول وشاحاها ويَغتَصّ حَجْلها ويَشْبَع منها وَقْفُ عاج ودُمْلُجُ[4]
فلمّا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ

[شعره في عمرة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أنشدني عمِّي ومحمَّد بن الضحّاك عن أبيه محمَّد بن خَشْرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة : [من الكامل]

يا عَمْر حُمّ فراقُكم عمرا وعزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا
يا عمر شيخُك وهو ذو كرم يَحْمي الذِّمار ويُكرم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منكِ فلا تُرْعِي عليّ وجدِّدي السِّحرا[5]
إحدى بني أَوْد كلِفتُ بها حمَلتْ بلا وِتْر لنا وتْرا[6]
وتَرى لها دَلاًّ إذا نطقتْ تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا

---

1 لا يستقيمُ في الديوان : ولا يستتم . . .
2 الديوان : له كبد من لوعة الحزن تنضج .
3 الدوس : التزيين . مضرج : مصبوغ .
4 يغتصّ : يمتلىء . الوقف : سوار من عاج .
5 لا ترعي علي : لا تبقي علي .
6 تقدّم هذا البيت (صفحة 86) برواية «بلا ترة» وهي رواية الديوان .

كتساقُطِ الرُّطَب الجَنيّ من الأفـ ـنـان لا بَثْـرا ولا نَـزْرا
أقسمتُ مـا أُحببتُ حبَّكـم لا ثَيِّباً خُلقـتْ ولا بِكْرا
ومقالـةٌ فيكـم عرَكْـتُ بهـا جَنْبي أُريـد بهـا لـك العذرا[1]
ومُريـد سرّكم عدَلـتُ بـه فيمـا يحـاول مَعْـدِلاً وَعْرا
قالـت يُقيـم بنـا لنَجْزِيَـه يومـاً فَخيَّم عندهـا شهرا
مـا إن أُقيم لحاجـةٍ عرَضَتْ إلاّ لأُبْـلي فيكـمُ العـذرا

قالوا : وفيها يقول[2] : [من الطويل]

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيتُـه وغيريَ في الذنب الذي كان ألومُ
أمِنّـا أُناساً كنـتِ تأتمنينهـم فزادوا علينا في الحديث وأوهموا[3]
وقالوا لنا مـا لم يُقَلْ ثم كثَّروا علينا وباحـوا بالذي كنت أكتُمُ

غنّى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر .

[من الطويل]

وقد مُنِحتْ عيني القَذَى لفراقهم وعاد لهـا تَهْتانُها فهي تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلـم أَرَ فيهـمُ هوايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أعلمُ
أليس عظيمـاً أن نكـون ببلدة كلانـا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلّمُ

[أبو السائب المخزوميّ يطرب لشعره]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أبو غسّان قال : سمع أبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أبي دهبل : [من الطويل]

أليس عجيباً أن نكـون ببلدة كلانـا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلّمْ

فقال له أبو السائب : قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة اخرجي فخرجت ؛ فقال له : أعِدْ بأبي أنتَ البيت فأعاده ؛ فقال : بلى والله إنّه لعجيبٌ عظيم وإلاّ فسلامة حرّة لوجه الله ؛ اذهبْ فدَيْتك مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني ! .

---

1 عركت بها جنبي : احتملتها . والمثل : عركت ذلك بجنبي في مجمع الميداني 2 : 8 ومستقصى الزمخشري 2 : 160 .

2 ديوان أبي دهبل : 112–114 .

3 أوهموا : نقصوا .

[تمثل متحابين بشعره]

وحدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا نختلف إلى أبي العبّاس المبرّد ونحن أُحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتىً من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملِهم زِيّاً ولا نعرف باطنَ أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العبّاس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلسَ الذي شهِدناه ؛ فإذا بجارية قد اطّلَعَتْ فطرحتْ في حَجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسنَ من شكلها مختومةً بعنبر ؛ فقرأها منفرِداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نَلْبَثْ أن خرج خادمٌ من الدار في يده كَرِش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحِمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً . فلمّا تباعَدْنا سألناه عن الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : [من الطويل]

كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

فقلنا له : هذا ابتداءٌ ظريف ، فبأيّ شيء أجبْتَ أنت ؟ قال : هذا صوت سمعته يُغنّى فيه ، فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

أراعك بالخابُور نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وفّاك القومُ حقّك قطّ ، وقد كان ينبغي أن يُدْخلونا معك في القصّة لدخولك في جُملتنا ، ولكنّا نحن نُوَفّيك حقّك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دَهْبَل

[أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدَّثنا صالح بن حَسّان قال ، وأخبرني بهذا الخبر محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني محمَّد بن السَّريّ قال حدَّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه ، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره ، واللفظُ لصالح بن حسّان وخبرُه أتمّ ، قال : حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان ، فنزلت من مكّة بذي طُوىً . فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرتْ جواريها فرفعن السّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحيّ ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً ؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه ؛ فلمّا فطِنت له سترَتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمته . فقال أبو دهبل[1] : [من السريع]

---

1 ديوان أبي دهبل : 90–91 .

إنّي دعـاني الحَيْـن فاقتادني حتـى رأيتُ الظبـيَ بالبابِ
يـا حسنه إذ سبّني مُدْبِراً مستتِـراً عنّـي بجِلْبابِ
سبحان مـن وقّفهـا حسرةً صُبّت على القلـب بأوصابِ
يـذود عنهـا إن تطلّبتُها أبٌ لهـا ليس بـوهّابِ
أحلّهـا قصراً منيـعَ الذُّرَى يُحْمى بأبـواب وحُجّابِ

قال : وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّون ، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوةٍ ، وجَرَتِ الرسلُ بينهما . فلمّا صدَرت عن مكّة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها ، فكانت تَعاهَدُه بالبرّ واللُّطَفِ حتى وردتْ دمشقَ وورد معها ، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها ، ومرِض بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

طـال ليـلي وبِـتّ كالمحزون ومَلِلـتُ الثَّـواءَ في جَيْرونِ[2]
وأطلتُ المُقـام بالشام حتى ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظّنونِ[3]
فبكتْ خشيةَ التفـرّق جُمْلٌ كبكاء القريـن إثْـرَ القرينِ[4]
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغـوّا صِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبْتَها لم تَجِدْهـا في سَناء مـن المكارم دونِ
ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخَضْـ راء تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ[5]
قُبّةٌ مـن مَراجـل ضربوها عند بَـرْد الشتاء في قَيْطونِ[6]
عن يَساري إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمي وتَقَلّبـتُ ليلتـي في فنـونِ

---

1 ديوان أبي دهبل : 68–72 مع اختلاف في الترتيب واللفظ . وسيرِد هذا الشعر منسوباً إلى عبد الرحمن بن حسّان (في خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسّان وعبد الرحمن بن الحكم) . وقد ورد في الكامل للمبرد (الدالي) 1 : 387 منسوباً إلى أبي دهبل ثم أضاف : «والذي كأنّه إجماع أنّه لعبد الرحمن بن حسّان في بنت معاوية» .

2 جيرون في الديوان : بالماطرون .

3 الديوان : فلتلك اغتربت في الشام حتى . . .

4 ورواية الديوان :

فبكت خشية التفرق للبين بكـاء الحزين نحو الحزين

5 مسنون : مصبوب على استواء .

6 المراجل : ضرب من برود اليمن . القيطون : المخدع .

ليت شعري أمِنْ هوىً طار نومي أم بَراني الباري قصيرَ الجفونِ[1]

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه ؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل ؛ فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده إليّ ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون ، فقام أبو دهبل لينصرفَ ؛ فناداه معاوية : يا أبا دهبل إليّ ؛ فلمّا دنا إليه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول . [من الخفيف]

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمِي وتقلّبتُ ليلتي في فنونِ

ليت شعري أمن هوىً طار نومي أم براني الباري قصيرَ الجفونِ

غير أنّك قلتَ :

وهي زهراءُ مثل لؤلؤةِ الغوّا ص مِيزتْ من جوهر مكنونِ

وإذا ما نسبْتَها لم تَجدْها في سَناء من المكارم دُونِ

ووالله إنّ فتاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرتَ ؛ وأيَّ شيء زدتَ في قَدْرها ! ولقد أسأتَ في قولك :

ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تَمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا ، وإنّما قيل على لساني . فقال له : أمّا من جهتي فلا خوف عليك ، لأنّي أعلم صيانةَ ابنتي نفسَها ، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيبَ في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلِّ مَن لم يَجُز ، وإنّما أكره لكَ جِوارَ يزيد ، وأخاف عليك وثَباته ، فإن له سَوْرَةَ الشباب وأَنَفَةَ الملوك . وإنّما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته ؛ فحذِر أبو دهبل فخرج إلى مكّة هارباً على وجهه ، فكان يكاتب عاتكةَ . فبينا معاويةُ ذاتَ يوم في مجلسه إذ جاءه خَصيٌّ له فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد سقَط إلى عاتكة اليوم كتاب ، فلمّا قرأتْه بكَت ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصَلاّها ، وما زالت خاثرةَ النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخَصيّ ، فلم يزل يَلْطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به إلى معاوية ، فإذا فيه : [من الطويل]

أعاتِكُ هلاّ إذ بخِلْتِ فلا تَرَيْ لذي صَبْوة زُلْفى لديك ولا حَقّا

---

1 الباري في ل : ربي .

رَدَدْتِ فؤاداً قـد تولّى به الهوى　　وسكّنْتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا[1]
ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى　　ولم أرَ يوماً منكِ جُوداً ولا صدقا
أتَنْسَيْن أيّامـي بربْعـك مُدْنَفـاً　　صريعاً بأرض الشام ذا سَقَم مُلْقَى
وليس صديـقٌ يُرتَضى لوصيّةٍ　　وأدعو لدائي بالشَّراب فما أُسْقَى
وأكبرُ همّـي أن أرى لك مُرْسَلاً　　فطولَ نهاري جالسٌ أَرْقُبُ الطُّرقا
فواكبِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ　　فأشكو الذي بي من هواك وما أَلقَى
رأيتُـك تزداديـن للصبِّ غِلظةً　　ويزداد قلبي كلَّ يـوم لكم عشقا

قال : فلمّا قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية ، فأتاه فدخل عليه فوجد معاويةَ مطرِقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمرُ الذي شجاك ؟ قال : أمر أمْرَضَني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمَل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دَهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أُختك عاتكة ، فلم تزل باكيةً منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما تَرى فيه ؟ فقال : والله إنّ الرأي لهيّنٌ[2] . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزِقّة مكّة فيُريحنا منه . قال معاوية : أُفٍّ لك ! والله إنّ امرءاً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيرُ ذي رأيٍ ، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش ؟ أو ما تعلم أنّك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قولَه وجعلتنا أُحدوثةً أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه قال قصيدة أُخرى تَناشَدَها أهلُ مكّة وسارت حتى بلغتْني وأوجعتْني وحملتْني على ما أشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال قال[3] :　　[من الطويل]

ألا لا تَقُـلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ　　وما كلّ من يَلْحى محبّـاً له عقلُ
لقـد كان في حولَيْن حالا ولم أَزُرْ　　هواي وإن خُوِّفتُ عن حبّها شغلُ
حمـى الملكُ الجبّار عنّي لقاءَها　　فمن دونها تُخْشَى المتالِفُ والقتلُ
فـلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وبالُه　　ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
فواكَبِـدي إنّي شُهِـرتُ بحبّها　　ولم يَـك فيما بيننا ساعـةً بَذْلُ
ويـا عجبـاً إنّي أُكاتـم حبَّهـا　　وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبْلُ

1 ترقى : تجفّ .
2 ل : لبيّن .
3 ديوان أبي دهبل : 99-100 .

قال : فقال معاوية : قد والله رفّهتَ عنّي ، فما كنتُ آمَنُ أنّه قد وصل إليها ؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير ، قُمْ عنّي ؛ فقام يزيد فانصرف . وحجّ معاويةُ في تلك السنة ؛ فلمّا انقضت أيّام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائِهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل ، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً . فلمّا قبض أبو دَهْبَل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجَع إليه ؛ فقال له : يا أبا دهبل ، مالي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قَوارصَ تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصَمائنا وموالينا ، لا تَعْرِضْ لأبي خالد . فجعل يعتذِر إليه ويحلِف له أنّه مكذوبٌ عليه . فقال له معاويةُ : لا بأسَ عليك ، وما يضرّك ذلك عندنا ؛ هل تأهّلتَ ؟ قال : لا . قال : فأيّ بنات عمّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ؛ قال : قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلمّا قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى ؛ فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتَنيها طالقٌ ألبتّةَ . فسُرَّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيدَ عنه ووعده بإدْرار ما وصله به في كلّ سنة ؛ وانصرف إلى دمشق . ولم يَحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلاّ من أجل أبي دهبل .

[قصّته مع شامية تزوّجها وشعره فيها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله قال : خرج أبو دهبل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً . فلمّا كان بجَيْرون جاءته امرأةٌ فأعطتْه كتاباً فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ، ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت : لو بلغتَ القصر فقراتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله ، فإنّه من غائب لها يَعْنيها أمرُه ؛ فبلغ معها القصر ؛ فلمّا دخلا إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقن القصرَ عليه ، وإذا فيه امرأة وضيئة ، فدعَتْه إلى نفسها فأبى ، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطْعِم وسُقي قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعَتْه إلى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً ، ولكنّي أتزوَّجُك ؛ قالت : نعم ، فتزوّجها ؛ فأمرتْ به فأُحْسِن إليه حتى رجَعتْ إليه نفسُه ، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدَعُه يخرج ، حتى يَئس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناتُه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم مالَه . ثم إنّه قال لامرأته : إنّك قد أثِمْتِ فيّ وفي ولدي وأهلي ؛ فأْذَني لي أُطالِعهم وأعود إليك ؛ فأخذتْ عليه أيماناً ألاّ يقيم إلاّ سنةً حتى يعودَ إليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله ،

1 أي أنّه خرج بخير كثير .

فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولدُه . وجاء إليه ولدُه ؛ فقال لهم : لا والله ما بيني وبينكم عمل ، أنتم قد ورثتموني وأنا حيّ فهو حظّكم ؛ والله لا يَشْرَك زوجتي فيما قدِمتُ به أحد ؛ ثم قال لها : شأنك به فهو لك كلّه . وقال في الشاميّة : [من الخفيف]

صاحِ حيّا الإلـهُ حيّـاً ودُوراً عنـد أصل القناة مـن جَيْرونِ
عن يَساري إذا دخلت من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشام حتى ظنّ أهلي مُرَجَّمـاتِ الظُّنونِ
وهي زهـراءُ مثـلُ لؤلؤة الغـ ـوّاص مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبتَهـا لم تَجدْهـا في سَنـاء مـن المكارم دونِ
تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ والنَّـ ـدَّ صِلاءً لهـا علـى الكانونِ[1]
ثـم ماشيتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تمشي في مَرْمَـرٍ مَسْنونِ
وقبابٍ قـد أُسْرِجَتْ وبيوت نُظِّمـتْ بالرَّيْحـان والزَّرَجُونِ
قبّة مـن مراجـل ضربوهـا عنـد حـدّ الشتاء في قَيْطونِ
ثـم فارقتُها على خير مـا كا ن قريـنٌ مُفـارِقٌ لقرينِ
فبكـتْ خَشيةَ التفـرّق للبيـ ـن بكاءَ الحزين إثْـرَ الحزينِ
واسألي عن تذكّري واطمئنّي لأُناسي إذا هُـمُ عذلـوني

فلمّا حلّ الأَجلُ أَراد الخروج إليها ، فجاءه موتها فأَقام .

[وفوده على ابن الأزرق]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب قال : وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأَزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأَزرق والهِبْرِزيّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزُّبَير على اليمن ؛ فأَنكره ورأَى منه جفوةً ، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم ، وهو عامل لعبد الله بن الزُّبَير على حَضْرَمَوْت ، فقال يمدحه ويعرِّض بابن الأَزرق[2] : [من مجزوء الكامل]

يـا رَبَّ حيٍّ بخير ما حيَّيْتَ إنسانـاً عمارَهْ

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 ديوان أبي دهبل : 49–50 .

أَعطـــى فأسْنانـــا ولم يك من عطيّته الصَّغارَهْ
ومــن العطيّة مــا تُرى جَذْماءَ ليس لهـا نَزارَهْ[1]
حجـــراً تقلّبـــه وهـــل تُعْطِي على المدح الحجارَهْ
كالبغـــل يُحمد قائمـاً وتَـذُمّ مِشْيَتَه المُصَارَهْ

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدِم ؛ فقال له حُنَيْن مولى ابن الأَزرق في السرّ : أرى أنّك عَجِلتَ على ابن عمّك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم ، فعُدْ إليه فإنّه غيرُ تاركك ، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزل فلازِمْه ولا يفقدك ؛ فإنّي أخاف أن ينساك ؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك[2] : [من البسيط]

يــا حُنّ إنّي لِمَا حدّثتني أُصُلاً مُرَنَّح مــن صميم الوجد معمودُ
نخاف عزلَ امرىء كنّا نعيش به معروفُه إن طلبنا الجودَ موجودُ
اعلمْ بأنّي لَمــن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليــوم محسودُ[3]
وأنَّ شكرَك عندي لا انقضاءَ له ما دام بالهَضْب من لُبْنانَ جُلْمودُ
أنــتَ الممدَّح والمُغْلي بــه ثمنـاً إذ لا تُمدَّح صُمُّ الجندل السُّودُ
إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مُرْتَحِلاً يَرْحَلْ من اليمن المعروفُ والجودُ[4]
مــا زلتَ في دَفَعات الخيرِ تفعلها لّما اعترى النــاسَ لأْواءٌ ومجهودُ
حتى الذي بين عُسْفانٍ إلى عَدَنٍ لَحْبٌ لَمن يطلب المعروفَ أُخْدودُ[5]

قال : وأنشدنيها محمَّد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي .

[تعسّر نظم بيت]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزُّبَير بن بكّار ، وحدَّثني حمزة بن عُتْبة قال : قال أبو دهبل الجُمَحيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها : [من البسيط]

اعْلَــمْ بأنّي لَمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليــوم محسود

قلتُ فيها نصف بيت ، وأنّ شكرك عندي لا انقضاءَ له ، ثم أُرْتِجَ عليّ ، فأقمتُ حولين

1 الجذماء : المقطوعة . والنزارة : القلّة .
2 ديوان أبي دهبل : 104– 105 .
3 الضب : الحقد والغيظ .
4 المنقل : الطريق في الجبل .
5 اللحب : الواضح . والأخدود : الشق في الأرض .

لا أَقَعُ على تمامه ، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان ، فقلت : ما لُبنان ؟ فقال : جبل بالشام ؛ فأتممتُ نصف البيت : [من البسيط]

ما دام بالهَضْب من لبنانَ جُلْمودُ

[تفضيل شعره على شعر نصيب]

قال الزُّبَير وحدَّثني محمَّد بن حَبَش المخزوميّ قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها ؛ فقال إبراهيم بن هشام : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مرتحِلاً ... يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضِب نُصَيْبٌ فحَمِي فنزع عمامتَه وطرَحها وبرَك عليها ؛ ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل .

قال الزُّبَير وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدَّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْميّ قال : كان إبراهيم بن هشام جبّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهَر . فإذا أُذِن للناس أُذِن معهم لشاعر ، فيُنشد قصيدةَ مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام . فأَذِن لهم يوماً ، وكان الشاعرُ الذي أُذِن له معهم نصَيْباً وعليه جُبَّةُ وَشْي ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأَذِن له ؛ فأَنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام ، وقصيدةُ هشام أشعرُ ، فأراد الناسُ مَمالحةَ نُصَيْب فقالوا : ما أحسنَ هذا يا أبا مِحْجَن ! أَعِدْ هذا البيت . فقال : إبراهيم : أكثرتم ، إنّه لشاعرٌ ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق : [من البسيط]

إن تُمْسِ من مَنْقَلَيْ نَجْران مرتحِلاً ... يَبِن من اليمــن المعروفُ والجودُ

مــا زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها ... لمـا آعترى الناسَ لأْوَاءٌ ومجهودُ

وحَمِي نصيبٌ فقال : إنّا والله ما نصنع المديحَ إلاّ على قَدْر الرجال ، كما يكون الرجلُ يُمدح . فعمَّ الناسَ الضّحِكُ وحَلُم عنه ، وقال الحاجب : ارتفعوا ، فلمّا صاروا في السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا : أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار ! وحَلُم من غير حلم .

[مدح ابن الأزرق بعد عزله]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمِّي مصعب قال : خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلَقِيه معزولاً ، فشقَّ ذلك عليه واسترجَع ، فقال له ابن الأزرق : هوِّن عليك ؛ لم يَفُتْك شيءٌ ، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنــه المكارمُ تَغْشاه ومــا نَزَعا

وحدَّثني محمَّد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .

وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو تَوْبة صالح بن محمَّد بن دُرّاج قال حدَّثنا أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال : ولّى عبدُ الله بن الزُّبَير ابْناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثَّبَت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق ، فخرج حتى نزل بزَبِيد ، فقال لابن الأزرق : هَلُمّ حسابَك ؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينَك عملٌ ، وخرج متوجِّهاً إلى مكّة . فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوَقّاصيّ فأذِن له فرجع معه ، حتى إذا دخلوا صنعاء لَقِيَهم بَحِير بن رَيْسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم ، ومضى ابنُ الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم . فقال أبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنـه المكارمُ تَغشاه وما نَزَعا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصيّ ، فلم يَصنع به خيراً . فقال أبو دهبل[1] : [من البسيط]

ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ من رِمَعٍ عند التفرّق من خِيم ومن كرمِ[2]

ظلَّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما سمّى وقـال لنا في قولهِ نعمِ

نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أجْرَيَتْ حركتُه إلى الخَفْض لأنّه أولى بالساكن :

ثـم انتحـى غيرَ مذمومٍ وأعيننُا لـمـا تولّـى بدمـع واكفٍ سَجِمِ

تَحْمِلُـه الناقـةُ الأدماءُ مُعْتَجِراً بـالبُرد كالبـدر جَلّى ليلـةَ الظُّلَمِ

وكيـف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ

حتـى لقينا بَحِيراً عنـد مَقْدَمِنا في موكب كضِياء الجِزْع مُرْتكمِ

لـمـا رأيتُ مُقامي عنـد بابهـمُ وَدِدْت أنّي بذاك الباب لم أقِمِ

[مدحه بحير بن ريسان]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل : [من الطويل]

صوت

بَحِير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ[3]

---

1 ديوان أبي دهبل : 101–103 .

2 الخل ورمع : موضعان باليمن .

3 الجند : موضع باليمن .

لـــه نفحاتٌ حـين يُذكر فضلُه ... كسيل ربيع في ضَحاضِحَةِ السَّنَدْ[1]

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنّه ليمان ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن جامع .

[مدائحه في ابن الأزرق]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال : كان ابن الزُّبَير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمدّ يدَه إلى أموالها وأعطى أعطيةً سنيّة وبثّ في قريشٍ منها أشياء جزيلةً فأثْنَتْ عليه قريش ووفدوا إليه فأسْنى لهم العطايا . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الزُّبَير فحسَده وعزَله بإبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص . فلمّا قدِم عليه أراد أن يحاسبَه ، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل ، وقدِم مكّةَ ؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزُّبَير عليه أن يفتّشه أو يَكشِفَه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه ؛ فلمّا لَقِيَهم نزلتْ إليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسَطتْ له أَرْدِيتَها وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوّة[2] والعود المَنْدَليّ يبخِّرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزُّبَير فسلَّم عليه وهم معه مُطِيفون به . فعلِم ابنُ الزُّبَير أنّه لا سبيل له إليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دهبل[3] : [من الطويل]

فمن يكُ شان العزلُ أو هدّ ركنَه ... لأعدائه يومــاً فمــا شانكَ العزلُ

ومــا أصبحتْ مــن نعمة مُستفادةٍ ... ولا رَحِــمٍ إلاّ عليهــا لك الفضلُ

وقال أبو دهبل أيضاً فيه ، أخبرني بذلك ابن المَرْزُبان عن أبي تَوْبَة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ ؛ وأخبرني به الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمّه[4] : [من الكامل]

عَقــم النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه ... إن النساء بمثلـــــه عُقْــــمُ

متهلِّلٌ بنَعَــمْ بــلا مُتَباعِــدٌ ... سيّـــانِ منـــه الوفـــر والعُدْمُ

نَزْرُ الكلام مــن الحياء تخاله ... ضَمِنــا وليس بجسمه سُقْمُ[5]

[وفد على سليمان بن سليمان فلم يحسن وفادته]

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال : قال أبو دهبل يمدح ابن

---

1 الضحضاح : الماء القليل . والسند : ما ارتفع عن سفح الجبل .
2 الألوة : العود يتبخّر به .
3 ديوان أبي دهبل : 75 .
4 ديوانه : 66–67 .
5 الضمن : المريض .

الأزرق[1] : [من الكامل]

بأبـي وأمّي غيرَ قول الباطلِ الكاملُ ابن الكامل ابن الكاملِ
والحازمُ الأمـر الكريـمُ برأيـه والواصلُ الأرحام وابنُ الواصلِ
جمع الرياسَة والسماحَ كليهما جَمْعَ الجَفِير قِداحَ نبل النابلِ

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني سليمان بن عَبّاد قال حدَّثني أبو جعفر الشُّوَيْفِعي (رجل من أهل مكّة) قال : قدِم سليمان بن عبد الملك مكّة في حرّ شديد ، فكان يُنَقَّلُ سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء . فلمّا بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل ؛ فقال سليمان : أين أبو دهبل الشاعر ؟ عليّ به ؛ فأُتي به ؛ فقال سليمان : أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت القائل[2] : [من الرمل]

فِتنــةٌ يُشْعلهــا وُرَّادُهــا حطبَ النار فدعها تَشْتَعِلْ
فـإذا مـا كان أمنٌ فأْتهمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزلْ

قال : نعم . قال : وأنت القائل[3] :

يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم وعند مروانَ خار القومُ أو رقدوا[4]
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَد عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرَةً سجدوا[5]

قال : نعم . قال : أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامةَ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قوماً فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجْلَبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم ، وإنّما فُتِنْتُ فقلت بلساني ، فلِمَ لا يُعْفى عنّي ! فقال سليمان : قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان باليمن . فقيل لسليمان : كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ ! قال : أردتُ أنّ أميتَه واميتَ ذكرَه بها .

[أبو دهبل وعمرة]

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة : أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلةً يجتمع الرجالُ عندها

1 ديوانه : 106 .
2 ديوانه : 83 .
3 ديوانه : 80 .
4 خار في ل : حار .
5 الجسد : الذي لا يعقل . والبيت إشارة إلى الآية : ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ .

لإنشاد الشعر والمحادثة ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً محبّةً له . وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح ، وكان يحمل الحَمالة وكان مُسوَّدا ؛ وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّجها بعد ، وزعم غيرُهم من الرّواة أنّه لم يصل إليها ولم يَجْر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدّم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمن ذلك لها . فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقُلْنَ : قد علِق امرأةً ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنّه عاشق لكِ وأنّك عاشقة له . فرفعتْ مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم وبينها ، وكتبتْ إلى أبي دهبل تَعْذِلُه وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه . فعند ذلك يقول : [من الطويل]

تطاوَل هـذا الليـلَ مـا يتبلّج ... وأَعْيَتْ غواشي عَبْرتي مـا تَفَرّجُ
وبـتُّ كئيباً مـا أنـام كأنّما ... خـلالَ ضلوعي جمـرةٌ تتوهّجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزن أَنْشِجُ
لقـد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأوْا غِـرّةً فاستقبلوهـا بألْبهم ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدْلجوا
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غيَهـم ... فلم يَنْهَهم حلـم ولم يتحرّجوا
هـمُ منعونا مـا نحبُّ وأوقدوا ... علينـا وشبُّوا نـار صُرْم تَـأجّجُ
ولو تركونـا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدَّهر يفرُق بيننا ... وهل يَستقيم الدَّهرُ والدَّهرُ أعوجُ
عسى كربـةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منهـا نجـاة ومَخْرجُ
فيُكْبَت أعـداءٌ ويَجْـذَل آلِفٌ ... لـه كبد من لوعـة الحبّ تَنْضَجُ
وقلـتُ لعَبّادٍ وجـاء كتابُهـا ... لهذا وربّـي كانت العـين تخلجُ
وخطّطتُ في ظهر الحَصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ وَلْهان مُلْفجُ
فلمّـا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرْم الحديثُ المُلَجْلَجُ
وإنّـي لمحجـوبٌ عشيّـةَ زرتُهـا ... وكنتُ إذا مـا جئتُها لا أُعرّجُ
وأعيا عليَّ القـولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القـول مُسْتَنٌّ كثيرٌ ومَخْرَجُ

[جارية تغنّي أبا السائب وأبا جندب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُبَير بن بكّار قال حدَّثني خالد بن بكر الصوَّاف قال : أتيتُ ابنَ أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جارية مغنّية لم يَر أحدٌ مثلَها

قطّ ؛ فقال لي : إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أُطّلِعَ رأْيهما في ذلك ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فإذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُنْدَب الهُذَليّ ؛ وخرجتْ علينا الجارية قاطبةً عابسةً ؛ فلمّا وُضع العودُ في حجرها اندفعتْ تغنّي وتقول : [من الطويل]

عسى كربـةٌ أمسيتِ فيها مقيمةٌ   يكون لنا منهـا نَجـة ومَخْرَجُ
وإنّي لمحجـوبٌ غـداةَ أزورهـا   وكنتُ إذا مـا زرتُهـا لا أُعرِّجُ

قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له : لعلّك أَرَبْتها بشيء ، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبّل رأسَها وتترضّاها ، ففعل .

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

تطـاوَل هـذا الليـلُ مـا يتبلّـج   وأُعْيَتْ غواشي عَبرتي مـا تَفرَّجُ
أُخطِّط في ظهـر الحصير كأنّنـي   أَسيرٌ يَخاف القتـل ولْهان مُلْفَجُ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لمالك ذكره حمّاد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنِّسه . وحُكي أنّ مالكاً كان إذا سُئِل عنه يذكر أنّه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوَّمه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

لقـد قطع الواشون مـا كان بيننا   ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرَة المنى   وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهـمّ أَنْشِجُ

الغناء لمالك ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أنّ فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

[شعره في رثاء الحسين بن علي]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب قال : قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواتُه[1] : [من الطويل]

1 ل : ورضوانه . الأبيات في ديوان أبي دهبل : 86–87 .

تَبيتُ سُكارى مـن أُميّة نُـوَّماً ... وبالطَّفّ قتلى مـا يَنام حَميمُها
ومـا أَفسد الإسلامَ إلاّ عصابـةٌ ... تأمّـر نَوْكاها ودام نعيمُهـا[1]
فصارت قناةُ الدِّين في كـفّ ظالمٍ ... إذا اعوجَّ منهـا جانبٌ لا يُقيمها

[قصيدته الدالية]

قال الزُّبَير وحدَّثني يحيى بن مِقْداد بن عِمْران بن يعقوب الزَّمْعي قال حدَّثني عمِّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

سقى اللهُ جازانـاً فمن حـلَّ وَلْيَه ... فكـلَّ فَسِيلٍ مـن سَهام وسُرْدُدِ[3]
ومحصولَه الدارَ التـي خيَّمَتْ بها ... سقاها فأَرْوى كلَّ ربـع وفَدْفدِ[4]
فأَنتِ التـي كلَّفتِني البِرْكَ شاتياً ... وأَوْرَدْتِنِيـه فانظـري أَيَّ مَوْرِدِ[5]

صوت

فوانَدَمـي أَن لم أُعُجْ إذ تقول لي ... تقـدَّمْ فشيِّعنا إلى ضَحـوة الغَدِ
تكن سكناً أَو تقدرُ العـين أَنـّها ... ستبكي مراراً فاسْلُ من بعد واحْمَدِ
فأَصبحتُ ممّـا كان بينـي وبينها ... سوى ذكرهـا كالقابض الماء باليدِ

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لبَذْل الكبير رملٌ عن الهشاميّ : [من الطويل]

لعلّك أَن تلقـى محبّاً فتشتفي ... برؤيـة رِيـم بَضَّـةِ المُتَجَـرِّدِ
بلاد العـدا لم تأتها غيرَ أَنـّها ... بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنْجِدِ
وما جعلت ما بين مكّة ناقتي ... إلى البِرْك إلاّ نومـةَ المتهجِّدِ
وكانت قُبيلَ الصبح تَنبذ رحلَها ... بدُومَة من لَغْط القَطَا المتبدِّدِ

قال فقلت : يا عمّي فما يمنعك أَن تكتري دابّةً بدرهمين فتشيِّعها وتصبحُ معك ؛

---

1 وما أَفسدَ في الديوان : وما ضيّع .
2 ديوانه : 114 .
3 جازان : هي اليوم مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية . ووليه : قربه . وسهام : موضع باليمامة . وسردد : واد بتهامة اليمن .
4 الفدفد : الفلاة .
5 البرك : ناحية باليمن .

فضحك وقال : نفَع الله بك يا ابن أخي ، أما علمتَ أنّ النّدم توبةٌ ، وعمّك كان أشغل ممّا تحسب .

[أنشد أبو السائب شعراً له فتهكّم به]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمِّي مصعب بن عبد الله قال : أنشد رجل أبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أبي دهبل : [من الطويل]

سقى الله جازاناً فمن حلّ وَلْيَه   فكلَّ فسيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ

فلمّا بلغ قولَه :

فواندمي أن لم أُعُجْ إذ تقول لي   تقدّم فشيِّعنا إلى ضحوة الغدِ

قال أبو السائب : ما صنع شيئاً ! ألا اكترى حماراً بدرهمين فشيَّعهم ولم يقل «فواندمي» أو اعتذر ! وإنِّي أظنّ أنّه قد كان له عذرٌ . قال : وما هو ؟ قال : أظنّه كان مثلي لا يجد شيئاً .

[قصيدته الميمية]

فقال الزُّبَير وحدَّثني ابنُ مِقْداد قال حدَّثني عمِّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دَهْبَل قولَه[1] : [من الطويل]

صوت

ألا عَلِــق القلــبُ المتيَّمُ كُلْثُما   لَجاجاً ولم يَلْزَم من الحبِّ مَلْزَما

خرجتُ بها من بطنِ مكّةَ بعدما   أصات المنــادي بالصلاة فأَعْتَما

فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامـــرٌ   من الحيّ حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَما[2]

ومرّتْ ببطن اللِّيثِ تَهْوِي كأنّما   تُبــادِر بالإدلاج نَهْبــاً مقسَّما[3]

غنّى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال : وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّ خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ . وفيه لِقيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أبيه عن الهشاميّ . وقال الهشاميّ : فيه لَحَكم ثقيلٌ أوّلُ . وذكر أبو أيّوب المَدِينيّ في أغاني ابن جامع أنّ فيه لحناً ولم يجنّسه : [من الطويل]

---

1 ديوان أبي دهبل : 106–109 . وقد تقدّم هذا الخبر وشعر أبي دهبل وبشامة بن الغدير في ترجمة قيل مولى العبلات .

2 يلملم : موضع ميقات أهل اليمن .

3 الليث : موضع بالحجاز .

وجازَتْ على البَزْواء والليلُ كاسرٌ جناحيْن بـالبَزْواء وَرْداً وأَدْهَما[1]
فمـا ذَرّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنَتْ بعُلْيَبَ نخـلاً مشرفاً أو مخيِّما[2]
ومرّت على أَشطانِ رَوْنق بالضُّحى فما خَزَّرت للماء عيناً ولا فما[3]
ومـا شربتْ حتـى ثنيتُ زمامَها وخِفـتُ عليهـا أَن تَخِرّ وتُكْلما
فقلت لهـا قــد بنتِ غيرَ ذميمةٍ وأَصبح وادي البِرْك غَيثاً مُدَيِّما

قال : فقلت له : ما كنتَ إلاّ على الرِّيح ؟ ؛ فقال : يا ابن أَخي ، إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعلَ ، وهي الحاجةُ . أَما سمعتَ قولَ أَخي بني مُرّة[4] : [من المتقارب]

إذا أَقبلتْ قلــتَ مشحونةٌ أَطاعَتْ لها الرِّيحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أَدبرتْ قلـتَ مذعـورةٌ من الرُّبْد تتبع هَيْقـاً ذَمُولا[6]
وإن أُعرضتْ خال فيها البصيـ ـر مـا لا تكلّفـه أَن يَميلا
يــدا سُرُحٍ مائـلٍ ضَبْعُهـا تسوم وتُقْدم رجـلاً زَحُولا[7]
فمــرَّتْ على خُشُب غُـدْوةً ومرّتْ فُوَيق أُرَيْـكٍ أَصِيلا[8]
تخبِّــط بالليــل حُزَّانَـــه كَخبْطِ القويِّ العزيزِ الذليلا[9]

[استحسن ريّان السوّاق شعره وقال ليس بعده شيء]

وأَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال : أَنشدت رَيّان السوّاق قولَ أَبي دهبل : [من الطويل]

أَليس عجيباً أَن نكـون ببلدة كلانا بهــا ثــاوٍ ولا نتكلَّمُ
ولا تَصْرِميني أَن تَرَيْني أُحبّكم أَبــوء بذنــبٍ إنّني أنــا أُظْلمُ

1 البزواء : موضع في طريق مكّة .
2 عليب : واد بتهامة . وفي الديوان : نخلاً مشرفاً ومخيما . وفي ل: جاء هذا البيت ثالثاً .
3 خزرت عيناً : ضيّقتها .
4 هو بشامة بن الغدير .
5 أطاعت في ل : أقلت .
6 الربد : النعام فيه سواد وغبره . والهيق : ذكر النعام . والذمول : السريع .
7 وتقدم في ل : وتقحم .
8 ذو خشب : موضع قرب المدينة . وأريك : واد .
9 حزان : ما غلظ من الأرض مع ارتفاع قليل .

فقال : أَحسن ، أَحسن اللهُ إليه ؛ ما بعد هذا شيءٌ .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

صوت

أمِنّا أُناساً كنتِ قد تأْمَنِينَهم فزادوا علينا في الحديث وأَوْهَموا
وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كثّروا علينا وباحوا بالذي كنتُ أَكتمُ
لقد كُحِلتْ عيني القَذَى لفراقكم وعاودها تَهْتانها فهي تَسْجُمُ
وأَنكرتُ طيبَ العيش منّي وكُدِّرتْ عليَّ حياتي والهوى متقسَّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفا رملٍ أَحدُهما بالوسطى لمتيَّمَ والآخر بالبنصر لعَرِيب .

[بين القاسم بن المعتمر وأبو السائب]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمِّي قال حدَّثني القاسِمَ بن المعتمِر الزُّهْرِيّ قال : قلتُ لأَبي السائب المخزوميّ : يا أَبا السائب ، أَما أَحسن أَبو دهبل حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أَأَتْرُك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنِّي إذاً لصبورُ
هَبُوني امرءاً منكم أَضَلَّ بعيرَه له ذمّة إن الذِّمام كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أَفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أَن يَضِلّ بعيرُ

قال : فقال لي : وبأَبي أَنت ! كنتُ واللهِ لا أُحبّك وتَثْقُل عليَّ ، فأَنا الآن أُحبّك وتخِفّ عليَّ .

وفي هذه الأَبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أَغانيه . وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما . وأَوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر ، وهو : [من الطويل]

عفا اللهُ عن ليلى الغَداةَ فإنّها إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليَّ تجورُ

1 ديوان أَبي دهبل : 77–78 . وقد تقدّمت هذه الأَبيات في ترجمة مجنون بني عامر منسوبة إليه 2 : 49 .

[ردّه على توعّد عبد الله بن صفوان لعمّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عمّي مصعب ومحمّد بن الضحّاك عن أبيه: أنّ أبا رَيْحانة عمَّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد الله بن الزُّبَير، فتوعّده عبد الله بن صفوان، فلحِق بعبد الملك بن مروان، فاستمدّه الحَجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف؛ فأشرف أبو رَيْحانة على أبي قُبَيْسَ فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم الله يا أهلِ مكّة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله. فقال له ابن الزُّبَير: مهلاً يا ابن أخي؛ فقال: قلنا لك ائذَن لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكَثْرة. قال: وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمَّه أبا ريحانة، واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة[1]: [من الوافر]

ولا تُوعِد لتقتله عليّاً ... فإن وعيدَه كلأٌ وَبِيلُ
ونحن ببطن مكّةَ إذ تَداعى ... لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ
أُولُو الجمعِ المقدّم حين ثابوا ... إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلمّا أن تفانَيْنا وأَوْدَى ... بثروتنا الترحّلُ والرَّحيلُ
جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبَةُ أو سَلُولُ

[رثى ابن الأزرق وأوصى أن يُدفن بجانبه]

أخبرني محمّد بن خَلَف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال: مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلْيَب، فلمّا احتُضِر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدْفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يَرثيه، عن أبي عمرو الشيبانيّ[2]: [من الطويل]

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلْيَبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرّمِ
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمِّمِ
أَأَلْحَقُ أنّي لا أزال على مِنىً ... إذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِمِ[3]
سقى اللهُ أرضاً أنتَ ساكنُ قبرها ... سِجالَ الغَوادِي من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ[4]

---

1 ديوان أبي دهبل: 98 مع بعض اختلاف.
2 ديوانه: 65.
3 أزال في ل: أراك.
4 السحيل: الخيط غير المفتول. والمبرم: الخيط المفتول. وهذا كناية عن التعميم، أي مهما يكن السحاب المار بها.

[خرج إلى مصر لطلب ميراث]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عمّي قال حدّثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال : وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من الطريق فقال[1] : [من الخفيف]

اسْلَمِي أُمَّ دهبلٍ بعد هَجْرِ وتقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ
واذكُرِي كرّيَ المطيِّ إليكم بعد ما قد توجّهتْ نحو مصرِ
لا تَخالي أنّي نسيتُك لمّا حال بِيشٌ ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدّم قبلي وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري

قال إبراهيم : فوقفتُ على قبره إلى جانب قبرها بعُلْيَبٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من المتقارب]

أَلا أيُّها الشادنُ الأَكحلُ إلى كم تقول ولا تفعلُ
إلى كم تجود بما لا نريـ ـد منك وتمنع ما نَسألُ

الشعر للحسين بن الضحّاك . والغناء لأبي زَكّارٍ الأعمى ، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر .

1 ديوان أبي دهبل : 116 .

[106] ـ أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه[1]

[منشؤه وشعره]

الحسين بن الضَّحَّاك باهليٌّ صَلِيبةً[2] ، فيما ذكر محمَّد بن داود بن الجَرّاح ، والصحيح أنّه مولى لباهِلة . وهو بَصريّ المولد والمَنْشأ ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم . ويقال : إنّه أوّلُ مَن جالس منهم محمّدٌ الأمين . شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف في الشعر حلو المَذْهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ . وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها . وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسَبه الناس إلى أبي نواس . وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبَق إليها ، فاستعارها أبو نواس ، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه تُذكر في أماكنها . وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ ، وهاجى مُسْلِمَ بن الوليد فانتصف منه . وله غزل كثير جيّد . وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلّف . وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة ، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر .

وحدَّثني جعفر بن قُدَامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان حسين بن الضحّاك بن ياسِر مولىً لباهلة ، وأصلُه من خُراسان ؛ فكان ربَّما اعترف بهذا الولاء وربَّما جَحَده ، وكان يلقّب بالأشقر ، وهو ومحمَّد بن حازم الباهليّ ابنا خالة .

وحدَّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلَّى الباهليّ : أنَّه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال : هو حسين بن الضحّاك بن ياسر ، من موالي سليمان بن ربيعة الباهليّ . قال الصوليّ : وسألتُ الطيِّبَ بن محمَّد الباهليّ عنه فقال لي : هو الحسين بن الضَّحَّاك بن فلان بن فلان بن ياسر ، قديم الولاء ، ودارُه في بني مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين ، أرانيها صاحبُنا سعيد بن مسلم .

[قصيدة له نُسبت إلى أبي نواس]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة الكاتب ومحمَّد بن يحيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا المُغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ قال حدَّثنا حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس لمّا حَجَجْتُ قصيدتي التي

1 ترجمة حسين بن الضحاك في وفيات الأعيان 2 : 162–168 وتاريخ بغداد 8 : 54 وطبقات ابن المعتز : 268–271 ومعجم الأدباء (إحسان عبّاس) : 1063–1070 وتاريخ ابن عساكر 4 : 672 وتهذيب 4 : 300 وشذرات الذهب : 2 : 123 والوافي 12 : 379 . وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج (دار الثقافة ـ بيروت 1960) وإذا تعدّدت المصادر واختلفت الروايات فإنّه يعتمد رواية الأغاني .

2 صليبة : خالص النسب .

قلتُها في الخمر وهي[1] : [من البسيط]

بُدِّلْتَ من نَفَحات الورد بالآءِ ومن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاءِ[2]

فلمّا انتهيتُ منها إلى قولي :

حتى إذا أُسنِدَتْ في البيت واحتُضِرَتْ عندَ الصَّبوح ببسّامين أَكْفاءِ

فُضَّتْ خواتمُها في نَعْت واصفها عن مثل رَقْراقةٍ في جفن مَرْهاءِ[3]

قال : فصَعِقَ صعقةً أفزعني ، وقال : أحسنتَ والله يا أشقر ؛ فقلتُ : ويلك يا حسن ؛ إنّك أفزعْتني والله فقال : بلى والله أفزعتَني ورُعْتَني ، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بُدّ أن ينتهي إليها وأغوص عليها وأقولَها فسبَقْتني إليه واختلسته منّي ، وستعلم لَمن يُروَى ألي أم لك ؛ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال : سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول : لما قلت قصيدتي : [من البسيط]

بُدِّلْتَ من نفحات الورد بالآء

أنشدتُها أبا نواس ؛ فقال : ستعلم لَمن يَرويها الناسُ ألي أم لك ؛ فكان الأمرُ كما قال ، رأيتُها في دفاتر الناس في أوّل أشعاره .

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك ، فذكر نحواً منه .

[حجبه المأمون لشعره في الأمين]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن محمّد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشْرس ، قال الصّوليّ وحدَّثنيه عَوْن بن محمَّد عن عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : لّما قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد ، أمر بأن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك ، وكان من جلساء محمَّد المخلوع ؛ فقرأ أسماءَهم حتى بلغَ إلى اسم حسين ، فقال : أليس هو الذي يقول في محمَّد[4] : [من الكامل]

1 انظر أشعار الخليع : 19–21 .

2 الآء : الدفلى .

3 الرقراقة : الدمعة التي تترقرق في العين دون أن تسيل . والمرهاء : التي لم تكتحل .

4 انظر أشعار الخليع : 79 ورواية البيت الثاني فيها :

قد كان فيك لَمن مضى خلف ولسوف يعوز بعدك الخلف

هــلاّ بَقِيــتَ لسَدّ فاقتِنا ... أبــداً وكان لغيـرك التّلَفُ
فلقد خلَفتَ خلائفاً سَلفوا ... ولَسَوْفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلاّ في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه له وتعريضِه به . قال : وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيّام المأمون .

أخبرني عمّي والكوكبيّ بهذا قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن الحارث المَرْوَزيّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السِّنديّ بن شاهك ، فذكر مثلَه سواء .

قال ابن أبي طاهر فحدَّثني محمَّد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال : دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلت يا أمير المؤمنين ، أحبّ أن تسمعَ منّي بيتين ؛ فقال : أنْشِدْهما فأنشدتُه[1] : [من الوافر]

حَمِدنــا اللهَ شكْرا إذ حبانا ... بنصـرك يــا أميـر المؤمنينا
فأنــت خليفــةُ الرَّحمن حقّــاً ... جمعتَ سماحــةً وجمعتَ دِينا

فقال : لَمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلتُ : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلتُ : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا ؛ فقال : وما هو ؟ فأنشدتُه قوله[2] : [من الطويل]

أَيَبْخَل فرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه ... عليَّ وقــد أفردتُه بهــوىً فَردِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبــاده ... فملّكــه واللهُ أعلــمُ بــالعبدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمَّد وقال .

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللهُ تعالى ، وعلى أنّ الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بيّناً ، لأنّها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوي أيضاً في أخباره أنّه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون ، وكان له صديقاً . ولعلّ الغَلَط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورةِ المنسوبةِ إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّاليّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفيّ رمل بالبنصر .

---

1 أشعار الخليع : 119 .

2 أشعار الخليع : 46 .

[أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد ، فقال : لستَ تطرَح على جَواريّ وغلْماني ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعثْ إلى منزلي فجِيءْ بالدفاتر واخترْ منها ما شئتَ حتى أُلقيَه عليهم ؛ فبعث إلى منزلي فجِيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه ، فمرَّ به شعر الحسين بن الضّحّاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو[1] : [من الطويل]

أَطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمّداً — بحزن وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا
فـلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمَّدٍ — ولا زال شملُ الملك منها مُبَدَّدا
ولا فرِح المأمونُ بالملك بعده — ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا

فقال لي صالح : أنت تعلم أنّ المأمونَ يَجيء إليّ في كلّ ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراهُ يكون فاعلاً ! ثم دعا بسِكّين فجعل يحُكُّه ؛ وصعِد المأمونُ من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفترَ . فقال المأمون : يا غلام الدفترَ ، فأُتي به ، فنظَر فيه ووقف على الحَكّ فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تَصْدُقُوني ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعثْ فجِيءْ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أَراه فأمر بحكّه ؛ قلنا كذا كان . فقال : غنِّه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضّحّاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنِّه فغنَّيتُه ؛ فقال : ارْدُده فرددتُه ثلاث مرّات ؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، قال : حتى تعلم أنّه لم يَضْرُرْك عندي .

قال : وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك ، وكان نديمَه وصديقَه :

يـا سَعيد وأين منّي سعيد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضّحّاك في محمَّد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جياد ، وكان كثيرَ التحقّق[2] به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه وميْلِه إليه وتقدِيمه إيّاه . وبلغ من جَزَعه عليه أنّه خُولِط ؛ فكان يُنكر قتلَه لمّا بلغه ويدفعه ويقول : إنّه مُستتِر وإنّه قد وقف على تفرّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجَعة أمره والوفاء ببيْعته ضنّاً به وشفقةً عليه . ومن جيّد مراثيه إيّاه قولُه[3] : [من الخفيف]

1 أشعار الخليع : 50 .
2 لعلّها التعلّق .
3 أشعار الخليع : 150 .

صوت

سأَلونا أن كيــف نحــن فقلنا مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أَصابنا حَدَثُ الدَّهـ ـــر فظَلْنـــا لرَيْبـه نَستكينُ
نتمَنّـــى مــن الأَمــين إيابــاً لَهْفَ نفسي وأَين منّي الأَمينُ

في هذه الأَبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى . وفيها لعَرِيبَ خفيف ثقيلٍ .

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه[1] : [من الوافر]

أعزّي يــا محمَّد عنك نفسي مَعــاذَ الله والأَيــدي الجِسامِ
فهــلاّ مــات قــوم لم يموتوا ودُوفع عنك لي يــوم الحِمامِ
كأن الموتَ صادف منك غُنْما أَو استشفى بقُربك من سَقامِ

[إعجاب المأمون بشعره]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد : قال لي المأمون وقد قدِمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْرِكم ؟ قلتُ : ما أَعرفه ؛ قال : ذاك الحسين بن الضّحّاك ، أَشعرُ شعرائكم وأَظرفُ ظرفائكم . أَليس هو الذي يقول : [من الطويل]

رأَى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبــاده فملّكــه واللهُ أَعلــم بــالعبدِ

قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيَّ أَحد من شعراء زماننا بيتاً أَبلغَ من بيته هذا ؛ فاكتب إليه فاستَقْدِمْه ؛ وكان حسين عليلاً وكان يَخاف بوادرَ المأمون لما فرَط منه ؛ فقلت للمأمون : إنّه عليل يا أَمير المؤمنين ، علّته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين أَلف درهم ؛ فأَخذتُ الكتاب بذلك وأَنفذتُه إليه فقبض المال .

[أَشعر المحدَثين]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أَبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أَبا العبّاس محمَّد بن يزيد الأَزديّ يقول : حسين بن الضّحّاك أَشعرُ المُحْدَثين حيث يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

أيُّ ديباجـــةِ حُسْنٍ هيَّجَــتْ لوعــةَ حزني

---

1 أشعار الخليع : 103–104 .
2 أشعار الخليع : 152 .

إذ رماني القمر الزا هر عن فَترة جفنِ
بأبي شمسُ نهارٍ بَرزَتْ في يوم دَجْنِ
قرّبتني بالمنى حـ ـتى إذا ما أخلفتْني
تركتني بين ميعا د وخُلْفٍ وتَجَنِّي
ما أراني لي من الصبـ ـوة إلاّ حسنُ ظنّي
إنّما دامت على الغد رِ لِمَا تعرِف منّي
أستعيذُ اللهَ من إعـ ـراض من أعْرض عنّي

[استقدمه المعتصم من البصرة]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال : لّما ولي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضّحّاك ، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لأنحراف المأمون عنه ؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم . فلمّا دخل وسلّم استاذن في الإنشاد فأذِن له ؛ فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

هلاّ سألت تلذُّذَ المُشتاقِ ومَنَنْت قبل فراقه بتَلاقِ[2]
إنّ الرقيب ليَسْتريب تنفُّساً صُعُداً إليك وظاهرَ الإقلاقِ
ولئن أَرَبْتُ لقد نظرتُ بمقلةٍ عَبْرى عليك سخينةِ الآماقِ
نفسي الفِداءُ لخائفٍ مترقّبٍ جعل الوَداعَ إشارةً بعِناقِ
إذ لا جوابَ لُمفْحَمٍ متحيّرٍ إلاّ الدموعُ تُصان بالإطراقِ

حتى انتهى إلى قوله :

خيرُ الوُفودِ مبشّرٌ بخلافةٍ خَصَّتْ ببهجتها أبا إسحاقِ
وَافتْه في الشهرِ الحرام سليمةً من كلِّ مُشْكلة وكلِّ شِقاقِ
أعطتْه صفقتَها الضمائرُ طاعةً قبل الأكُفِّ بأوكد الميثاقِ
سكن الأنامُ إلى إمام سلامةٍ عفٍّ الضّمير مهذَّبِ الأخلاقِ
فحمى رعيّتَه ودافع دونها وأجار مُمْلِقَها من الإملاقِ

حتى أتمّها . فقال له المعتصم : أُدْن منّي فدنا منه ؛ فملأ فَمه جوهراً من جوهر كان بين

1 أشعار الخليع : 83–84 مع بعض اختلاف .
2 الشطر الأول في أشعار الخليع : هلاّ رحمت تلدد المشتاق . والتلدد : الحيرة والدهش .

يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنْظَمَ ويُدفَعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه . فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذٍ .

وممّا قدّمه أهلُ العِلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضّحّاك حيث قال : [من الكامل]

قل للأُلى صرَفوا الوجوه عن الهدى   متعسِّفين تعسّفَ المُرّاقِ
إنّي أُحذِّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ   دَرِبٍ بحَطْمِ مَوائِلِ الأعناقِ
متأهّبٍ لا يستفِزّ جَنانَه   زَجِلُ الرُّعُود ولامعُ الإبراقِ
لم يَبْقَ من متعرِّمين توثّبوا   بالشام غيرُ جماجمٍ أفْلاقِ[1]
من بين مُنْجَدِلٍ تمُجّ عروقُه   عَلَقَ الأخادع أو أسيرٍ وَثاقِ[2]
وثَنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ   تختال بين أحزّةٍ ورِقاقِ
يحمِلن كلَّ مُشمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ   ليثٍ هِزَبْرٍ أهْرَتِ الأشداقِ
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازِلاً   والموتُ بين ترائبٍ وتَراقِ
هَرّت بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ   بُدِهَتْ بأكْرَهِ منظَرٍ ومَذاقِ
ثم استكانت للحصار ملوكُها   ذُلاًّ وناط حلوقها بخِناقِ
هرَبَتْ وأسلمتِ الصليبَ عشيّةً   لم يَبْقَ غيرُ حُشاشَةِ الأرْماقِ

قال : فأمر له المعتصم لكلّ بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .

[أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر]

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال : سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما[3] : [من مجزوء الوافر]

إذا ما الماءُ أمكنني   وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صبَبتُ الفضّةَ البيضا   ءَ فوق قُراضةِ الذَّهبِ

فقلت له : من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال : أرَقُّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملُهم ظَرْفاً حسين بن الضحّاك .

---

1 المتعرّم : ذو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخُلق .
2 العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .
3 أشعار الخليع : 30 .

[أخذ أبو نواس معنى له في الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني أَبي عن حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبا نُواس قصيدتي[1] : [من المنسرح]

وشاطِريّ اللسان مختلِق التكـ ـريه شاب المُجُونَ بالنُّسُكِ[2]

حتى بلغتُ إلى قولي : [من المنسرح]

كأنّما نُصْبَ كأسِه قمرٌ يكرَعُ في بعض أَنْجُمِ الفِلكِ[3]

قال : فأَنشدني أَبو نواس بعد أَيّام لنفسه : [من الطويل]

إذا عَبّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه يُقبِّل في داجٍ من الليل كوكبا

قال : فقلت له : يا أَبا عليّ هذه مُصالَتةٌ[4] . فقال لي : أَتظنّ أنّه يُروى لك في الخمر معنى جيِّد وأَنا حيّ ! . أَخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمَّد بن نصر عن أَحمد بن حمدون عن حسين بن الضّحّاك فذكر مثله .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه قال : أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك : [من المنسرح]

كأنّما نُصْبَ كأسِه قمرٌ حاسده بعض أَنْجُم الفلكِ
حتى إذا رنّحتْه سوْرتها وأبدلتْه السكونَ بالحَرَكِ
كشفتُ عن وَزّة مسنَّمة في لين صينيّة من الفَلَكِ[5]

فقال لي إبراهيم بن المدبِّر : إنّ الحسين كان يزعم أَنّ أَبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول : يقبِّل في داج من الليل كوكبا . فإن كان سرَقه منه فهو أُحقّ به لأنّه قد برَّز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصَّر عنه .

[مدح الواثق حين ولي الخلافة]

أَخبرني محمَّد بن يحيى الخُراسانيّ قال حدَّثني محمَّد بن مُخارِق قال : لمّا بُويع الواثقُ

1 أشعار الخليع : 87–88 .
2 الشاطري : نسبة إلى الشاطر وهو الذي أَعيا أَهله ومؤدّبه خبثاً . وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العبّاسية على أَهل البطالة والفساد .
3 كأنما . . . . . قمرٌ في ل : تخالها . . . كاسها قمراً .
4 المصالتة : أخذ البيت لفظاً ومعنى . والصلت : اللص .
5 الفلك : التلّ من الرمل .

بالخلافة دخل عليه الحسين بن الضّحّاك فأنشده قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الطويل]

صوت

أَلَم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نصيرِه بَلَى حَقّ أن يرتاعَ مَن مات ناصرُهْ

سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخـــرُهْ

ثنـــى اللهُ عِطْفَيْه وألّف شخصَه على البرِّ مُـذْ شُدّت عليه مآزِرُهْ

يَصَبُّ ببَذْلِ المـــالِ حتـى كأنّمـا يرى بذلَـه للمال نَهْبـاً يُبادرُهْ[2]

ومـا قـــدّم الرحمـــنُ إلاّ مقدَّماً مـــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـــادرُهْ

فقال الواثق : إن كان الحسين ليَنطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة . ثم أمر بأن يُعطى لكلّ بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان ، منها لعَرِيبَ في طريقة الثقيل الأوّل .

[سرق من شعر أبي العتاهية في الرشيد]

وأخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرُّوميّ قال : لّما ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها : [من الطويل]

سيُسْلِيك عمّا فات دولـةُ مُفْضِـلٍ أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخـــرُهْ

ومـا قـدّم الرحمـنُ إلاّ مقدَّمـا مـــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـــادرُهْ

قال : فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر ؛ فقال لي : نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول[3] : [من الطويل]

جَرى لك من هارونَ بالسعد طائرُه إمـــامُ اعتزام لا تُخـافُ بوادرُهْ

إمـامٌ لــه رأيٌ حميـدٌ ورحمـــةٌ مـــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـــادرُهْ

قال : فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين ، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصَّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

---

1 أشعار الخليع : 58 .

2 صبّ بالشيء : كلف به وولع .

3 ديوان أبي العتاهية : 540 .

صوت

[من الطويل]

جرى لك من هارون بالسعد طائرُه إمامُ اعتزامٍ لا تخاف بوادرُهْ
إمامٌ له رأي حميدٌ ورحمةٌ مواردُه محمودة ومصادرُهْ
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُّقَى مُسَلَّمةٌ من كلّ سوء عساكرُهْ
لِتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُهْ

الشعر لأبي العتاهية ، على ما ذكره الصُّوليّ . وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسِر . والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى اللهُ عِطْفَيْه وألّف شخصَه على البرّ مُذ شُدَّت عليه مآزِرُهْ

الشعر لحسين بن الضّحّاك . والغناء لعَريبَ ثقيل أوّل مطلق . وفيه لقَلَم الصالحيّة خفيفُ رمل ، وهو أغرب اللحنين ولَحن عَريبَ المشهور .

[مدح الواثق وهو في الصيد فأجازه]

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عليّ بن الصبّاح قال حدَّثني عليّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجاء قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنّا مع الواثِق بالقاطُولِ[1] وهو يتصيّد ؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَّوّ[2] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك ؛ ثم رجع فتغدّى ، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب ، وقال : من يُنشدنا ؟ فقام الحسين بن الضّحّاك فأنشده[3] :

[من الطويل]

سقى اللهُ بالقاطُول مَسْرَحَ طرفكا وخَصَّ بسُقْياه مناكبَ قصرِكا

حتى انتهى إلى قوله :

[من الطويل]

تَحيَّن للدُّرَّاج في جَنباته وللغُرّ آجالٌ قُدِرْن بكفّكا

1 القاطول : نهر حفره الرشيد متفرّعاً من دجلة وبنى عليه قصراً سمّاه أبا الجند .
2 الزوّ : نوع من السفن .
3 أشعار الخليع : 89 .

حُتُوفاً إذا وجَّهْتَهنَّ قواضِياً عِجَالاً إذا أغريتهنَّ بزجركا
أبحتَ حَماماً مُصْعِداً ومُصوِّباً وما رِمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا[1]
تصرّفُ فيه بين ناي ومُسْمِعٍ ومشمولةٍ من كفّ ظبي لسَقْيكا[2]
قضيتَ لُبَاناتٍ وأنت مخيِّمٌ مُرِيحٌ وإن شطَّتْ مسافة عَزْمكا
وما نال طِيبَ العيشِ إلاّ مُودَّعٌ وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا[3]

فقال الواثق : ما يعدِل الراحةَ ولذَّةَ الدَّعَة شيء . فلمّا انتهى إلى قوله :

خُلِقتَ أمينَ الله للخَلْق عصْمةً وأمْناً فكلٌّ في ذَرَاك وظِلِّكا
وثِقْتَ بمَن سمَّاك بالغيبِ واثِقاً وثَبَّت بالتأييد أركانَ مُلْكِكا
فأعطاك مُعْطيك الخلافةَ شكرَها وأسْعَد بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمارنا ، غيرَ مِنَّةٍ عليك بها ، أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ عُداةً لمَن عاداك سَلْما لسلمكا
إذا كنتُ من جَدْواك في كلّ نعمةٍ فلا كنتُ إن لَم أُفْنِ عمري بشكركا

فطرِب الواثق فضرب الأرضَ بمِخْصَرةٍ كانت في يده ، وقال : لله درّك يا حسين ! ما أقربَ قلبَك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، جودُك يُنطِق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر . فقال له : لن تنصرفَ إلاّ مسروراً ؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

[الواثق يشرب في يوم غيم]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدَّثنا أبو العبّاس الرِّياشيّ قال حدَّثنا الحسين بن الضحّاك قال : دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطْخ[4] غيم ، فقال لي : ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكَم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ؛ فإنّه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض . فقال : وما قال ؟ فقلت قال : [من الوافر]

أرى غيماً تؤلِّفه جَنُوبٌ وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأي أن تدعو برِطلٍ فتشربه وتدعو لي برِطلِ

فقال : أصبتما ؛ ودعا بالطّعام وبالشراب والمغنّين والجلساء واصطبحنا .

---

1 رام المكان : زال عنه وفارقه .
2 مشمولة : الخمر الباردة .
3 المودع : المرفه .
4 لطخ غيم : قليل غيم .

[وصف ليلة للواثق]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني الحسين بن عُلْوان قال حدَّثني العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال : كان حسين بن الضّحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلُثٌ من الليل ، فأمر بأن يبيتَ مكانَه . فلمّا أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها ؟ فقال : لم يمضِ شيء وأنا أقول الساعة ؛ وفكّر هنيهةً ثم قال[1] : [من المنسرح]

حَثّتْ صَبُوحِي فكاهةُ اللاّهي ... وطـاب يومي بقرب أشباهي

فاسْتَثِرِ اللهـوَ مـن مكامنه ... مـن قبل يـومٍ منغّصٍ ناهي

بابنة كِـرمٍ مـن كفّ مُنْتَطِقٍ ... مـؤزَّر بالمُجُـون تَيّـاهِ

يَسقيكَ من طرفـه ومن يده ... سقيَ لطيف مجـرِّب داهي

كأساً فكأساً كأنّ شاربهـا ... حيرانُ بـين الذّكور والساهي

قال : فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته ، واصطبح يومَه ذلك معهم ؛ وقال : نحقّق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أرَب وحاجة .

[غضبت جارية للواثق عليه]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّولي قال حدَّثني محمَّد بن مُغيرة المهلَّبي قال حدَّثنا حُسين بن الضّحّاك قال : كانت لي نَوْبةٌ في دار الواثق أحضُرها جَلَس أو لم يجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ في حُجرتي ، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال : قُمْ فإنّ أمير المؤمنين يدعوك . فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه ؛ فغضبتْ حَظِيَّتُه وتركتْه حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتَها ؛ فانتبه وهو يرى أنّها عنده فلم يجدها ، فقال : اختُلِستْ عزيزتي ، ويحكم أين هي ! فأُخْبِرَ أنّها قامت غَضْبَى ومضتْ إلى حجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريقي[2] : [من الرمل]

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أُخرى خِلْسةً ... فلهـا العُتْبَـى لدينْـا والرِّضا

يـا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً ... فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى

واتركي العـذلَ على من قاله ... وانسُبي جَوْرِي إلى حكم القضا

---

1 أشعار الخليع : 122–123 .

2 أشعار الخليع : 70 .

فلقـد نَبَّهتِنـي مـن رَقْدتي ... وعلى قلبـي كنيـرانِ الغَضا

قال : فلمّا جئته خبَّرني القصّة وقال لي : قُلْ في هذا شيئاً ؛ ففكَّرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعِدْها يا حسين ؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها ، وأمر لي بخمسمائة دينار ، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي .

[شعره في لقاء الواثق جاريته في النوم]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدَّثني الغلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابِق قال قال لي حسين بن الضّحّاك : كان الواثق يتحظَّى جاريةً له فماتت فجزِع عليها وترك الشربَ أيّاماً ثم سَلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتّع بلقائها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت[1] : [من الرمل]

ليتَ عينَ الدَّهر عنّا غَفَلتْ ... ورقيبَ الليل عنّـا رَقَـدا

وأقـام النَّومُ في مدّتـه ... كالـذي كان وكنّـا أبدا

بأبـي زَوْرٌ تَلَفَّـتُّ لـه ... فتنفَّسْتُ إليـه الصُّعَـدا[2]

بينما أضحكُ مسروراً بـه ... إذ تقطَّعـتُ عليـه كَمَدا

قال : فقال لي الواثق : أحسنتَ ، ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ للّيل وإنّما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقَد .

[سرق منه أبو نواس معنى في الخمر]

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : لقيني أبو نُواس ذاتَ يوم عند باب أمّ جعفر من الجانب الغربيّ ، فأنشدته[3] : [من الكامل]

أخَوَيَّ حـيّ على الصَّبوح صباحا ... هُبَّا ولا تَعِـدا الصباحَ رَواحا

هـذا الشَّمِيط كأنّـه متحيـرٌ ... في الأُفْـق سُدّ طريقُـه فألاحا[4]

مـا تأمـرانِ بسكْرة قَرَويّـة ... قَرَنَـتْ إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحْظة . والذي أحفظه :

1 أشعار الخليع : 50 .
2 الزور : الخيال يرى في النوم .
3 أشعار الخليع : 38 وانظر قصيدة أبي نواس : 39 .
4 الشميط : الصبح .

مــا تأمــران بقهوة قَرَويّــة

قال : فلمّا كان بعد أيّام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول : [من الكامل]

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا وأمَلّه ديـكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له : حسنٌ يا ابن الزانية ؛ أفعلتها ؟ فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلاّ نُسِب لي .

[إبراهيم بن المهديّ يعربد عليه]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد قال حدَّثني أبو أمامة الباهليّ عن الحسين بن الضّحّاك ، قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني المغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ : أنّ الحسين بن الضّحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدِّين والمذهب ؛ فدعا له إبراهيمُ بِنطْع وسيف وقد أخذ منه الشّرابُ ؛ فانصرف وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه . فكتب إليه[1] : [من الهزج]

نديمـــي غيــرُ منسوب إلى شيء مــن الحَيْفِ

سقــاني مثلَ مــا يشر ب فعلَ الضَّيفِ بالضيفِ

فلمّـــا دارت الكــأسُ دعـا بالنِّطْــع والسيفِ

كذا مــن يشربُ الخمرَ مـع التِّنِّيـنِ في الصيفِ

قال : ولم يعد إلى منادمته مدّة . ثم إنّ إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته .

[نشأته واتّصاله بالأمين]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كنت أنا وأبو نواس ترْبين ، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة ، وكنّا نحضُر مجالسَ الأدباء متصاحبَيْن ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة ، واتّصل بي ما آل إليه أمرُه ، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له ؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولَقِيتُ الناسَ ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء ، وهذا كلُّه في أيّام الرشيد ، إلاّ أنّي لم أصِل إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنتُ في خدمته . فغنّي يوماً بهذا الصوت : [من الطويل]

أإن زُمّ أجمالٌ وفــارق جيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

فقال لي صالح : قُل أنت في هذا المعنى شيئاً ؛ فقلت[2] : [من الطويل]

---

1 أشعار الخليع : 81 .

2 أشعار الخليع : 26 .

أإِن دَبَّ حُسَّادٌ ومَلَّ حبيب وأورق عودُ الهجر أَنت حبيبُ[1]
لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه هلِ الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ ونحيبُ
كأنّك لم تسمع بفرقة أُلْفةٍ وغَيْبةِ وَصْلٍ لا تراه يؤوبُ

فأمر بأن يُغنَّى فيه . واتّصلتُ بمحمَّد ابن زُبيدة في أَيّام أَبيه وخدمتُه ، ثم اتّصلَتْ خدمتي له في أَيّام خلافته .

[ترضّي صالح بن الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أَبو العَيْناء عن الحسين بن الضّحّاك قال : كنتُ يوماً عند صالح بن الرشيد ، فجرى بيننا كلامٌ على النّبيذ وقد أَخذ منّي الشّرابُ مأْخَذاً قويّاً ، فرَدَدْتُ عليه ردّاً أُنكره وتأَوّله على غير ما أَردتُ ، فهاجَرني ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من الكامل]

صوت

يا ابنَ الإمام تركتني هَمَلا أَبكي الحياةَ وأَندُب الأَملا
ما بالُ عينِك حين تلحَظُني ما إن تُقِلُّ جُفُونَها ثِقَلا
لو كان لي ذنبٌ لبُحْتُ به كي لا يقال هجرتَني مَلَلا
إن كنتُ أَعرف زَلَّةً سَلَفَتْ فرأَيتُ مِيتَةَ واحدي عجَلا[3]

فيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى عبد الله بن العَلاء وإلى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ . قال : فكتب إليّ : قد تلافى لسانُك بشعرك ، ما جناه في وقت سكرك . وقد رَضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً ؛ فصِرْ إليّ على أَتمّ نشاطِك ، وأَكمِلْ بِساطك . فعُدْتُ إلى خدمته فما سكِرتُ عنده بعدها . قال : وكانت في حسين عربدةٌ .

[أنشد ابن البوّاب شعره للمأمون]

وأَخبرني ببعضه محمَّد بن مزيد بن أَبي الأَزهر ومحمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان ، وأَلفاظهما تزيد وتنقص . وأَخبرني ببعضه محمَّد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّةِ وصولِه إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك . قال : وحدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، ولم يقل وَكيع : عن أَبيه ، واللفظ في الخبر لابن أَبي الأَزهر وحديثُه أَتمّ ، قال : كنت بين يديّ المأمون واقفاً ، فأدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أَبيات وقال : إن رأى أَمير المؤمنين أَن يأْذَنَ لي في إنشادها ؛ فظَنّها له

1 حبيب في الديوان : جنيب .
2 أشعار الخليع : 94 .
3 يدعو على ولده الواحد بالموت العاجل إذا كان يعرف له زلّة سلفت .

فقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الطويل]

أجِرْني فإنّي قد ظَمِئْتُ إلى الوعدِ ... متى تُنجزُ الوعدَ المؤكَّـدَ بالعهدِ
أُعِيذُك مـن خُلْف الملوكِ وقد بدا ... تقطُّعُ أنفاسي عليك من الوجدِ[2]
أَيَبْخَلُ فَـرْدُ الحسن عنّي بنائـلٍ ... قليـلٍ وقـد أفردتُـه بهـوىً فردِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللهُ عبـدَ الله خيرَ عبـاده ... فملّكـه واللهُ أعلـمُ بالعبـدِ
ألا إنّمـا المأمـونُ للناس عصمةٌ ... مميِّزةٌ بـين الضّلالـة والرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبد الله ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أحسن قائلُها ؛ قال : ومن هو ؟ فقال : عبدُك حسين بن الضّحّاك ؛ فغضِب ثم قال : لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعَمَ به عيناً ! أليس القائلَ[3] : [من الطويل]

أعينيَّ جُـودا وابكيا لي محمَّدا ... ولا تَذْخَرا دمعـاً عليه وأَسْعِدا
فـلا تَمَّتِ الأشياءُ بعد محمَّد ... ولا زال شملُ الملك فيه مبدَّدا
ولا فـرِح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا

هذا بذاك ؛ ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البوّاب : فأين فضلُ إحسان أمير المؤمنين وسَعَةُ حلمه وعادتُه في العفو ؟ فأمره بإحضاره . فلمّا حضرَ سلّم ، فردَّ عليه السلام ردّاً جافياً ؛ ثم أقبل عليه فقال : أخبِرْني عنك : هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمَّد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت ؟ قال لا . قال : فما معنى قولك[4] : [من الطويل]

وسِرْب ظباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ ... هَتَفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميِّتِ
أَرُدّ يداً منّـي إذا مـا ذكرتُه ... على كبـدٍ حَرَّى وقلبٍ مفتَّتِ
فلا بـات ليلُ الشامتين بغِبْطةٍ ... ولا بلَغتْ آمالُهـم مـا تمنّتِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلَبتني ، وروعةٌ فاجأتني ، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني ، وسيّد فقدتُه فأقلقني . فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك .

---

1 أشعار الخليع : 46 .
2 وقد بدا في ل : وقد ترى .
3 تقدّم هذا الخبر والأبيات برواية أخرى (ص 114) ، وانظر أشعار الخليع : 50 .
4 أشعار الخليع : 32 .

فدَمَعتْ عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك .

[يشفع عمرو بن مسعدة لدى المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : لمّا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مَسْعَدة وكتب إليه[1] : [من الخفيف]

أنتَ طَوْدي من بين هذي الهِضابِ	وشِهابي من دون كلّ شِهابِ
أنتَ يا عمرو قوّتي وحياتي	ولساني وأنت ظُفْري ونابي
أتُراني أنسى أياديَكَ البيـ	ـضَ إذ اسودَّ نائلُ الأصحابِ
أين عطف الكرام في مأقِطِ الحا	جة يَحْمُون حَوْزَةَ الآدابِ[2]
أين أخلاقُك الرضيّة حالت	فيّ أم أين رِقّة الكُتّابِ[3]
أنا في ذمّة السَّحاب وأظما !	إنّ هذا لوصمةٌ في السّحابِ
قُمْ إلى سيِّد البريّة عنّي	قومةً تَسْتَجِرُّ حسنَ خطابِ
فلعلَّ الإلهَ يُطفىء عنّي	بك ناراً عليّ ذاتَ الْتِهابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطُفُ للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ أرزاقَه .

[غضب عليه المعتصم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني الحسين بن الضّحّاك قال : غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأؤدِّبَنّه ؛ وحجَبني أيّاماً . فكتبت إليه[4] : [من الكامل]

غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدَبِهْ	وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ معتصِماً بمعتصِمٍ	أثْنى الإلهُ عليه في كُتُبِهْ
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً	أرجو النجاةَ به سوى سببهْ

1 أشعار الخليع : 27 .
2 المأقط : المضيق في الحرب .
3 حالت : تحوّلت من حال إلى حال .
4 أشعار الخليع : 31 .

مـا لي شفيـعٌ غيرُ حُرْمتِـه ولكلٌ مـن أَشْفـى على عَطَبِهْ

قال : فلمّا قُرِىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثلِ هذا الكلام يُستَعْطَف الكرام ؛ ما هو إلاّ أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوَز عنه . فرضي عنّي وأمر بإحضاري .

[هجا العبّاس بن المأمون]

قال الصُّوليّ فحدَّثني الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنّما كتب بها إلى المعتصم ؛ لأنّه بلَغه عنه أنّه مدَح العبّاسَ بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَي الواثق فأوصلها وشفَع له فرضي عنه وأمَّنه فظهر إليه ، وهجا العبّاسَ بن المأمون فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

خَلِّ اللَّعِينَ ومـا اكتَسَبْ لا زال منقطـعَ السَّبَبْ
يـا عُـرَّةَ الثَّقَلَيْـن لا دِينـاً رَعَيتَ ولا حَسَبْ
حَسَدُ الإمـام مكانَـه جهلاً حَذاكَ على العَطَبْ[2]
وأبـوك قدّمـه لهـا لمـا تخيَّـر وانتخبْ
مـا تستطيع سوى التنـ ـفّس والتجرُّع للكربْ
مـا زلتَ عنـد أبيك مُنْـ ـتَقَصَ المـروءة والأَدَبْ

[شعره في مجلس صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا : كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضّحّاك وذلك في خلافة المأمون ، وكان صالح يهوَى خادماً له ؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه ، وكان جالساً في صَحْنٍ حوله نَرْجِس في قمر طالع حسنٍ ؛ فقال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّي فيها عمرو بن بانة . فقال الحسين[3] : [من الخفيف]

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْـتُ أنّـي ومـا أراكَ أراكا
وإذا مـا تنفّس النـرجسُ الغَـ ـضّ توهَّمتُـه نسيـمَ شَذاكا

---

1 أشعار الخليع : 25 .
2 حذاك على العطب : قادك إليه وأوقعك فيه .
3 أشعار الخليع : 88–89 مع بعض اختلاف .

خُـدَعٌ للمُنى تعلّلني فيـ ـك بإشراق ذا ونفحة ذاكا
لأَدُومنّ يا حبيبي على العـ ـهد لهذا وذاك إذ حَكَياكا

قال عمرو : فقال لي صالح : تغنَّ فيها ، فتغنّيتُ فيها من ساعتي .

لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته .

[شعره في خادم أبي عيسى بن الرشيد]

وقد حدَّثني بهذا الخبر عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدَّثني عُبيد الله بن زكريا الضَّرير قال حدَّثنا الجَمّاز عن أبي نُواس قال : كنت أتعشَّق ابناً للعلاء يقال له محمَّد ، وكان حُسين يتعشَّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر ؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال : قد كاد قلبي أن يسلُوَ عنه وعن حبّه . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليَّ وفي يده نرجسٌ ، فجلسنا نشرب وطلع القمر ؛ فقلت له : يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمَّد ؟ فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه : [من الخفيف]

وصَف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْتُ أنّي وما أراك أراكا
وإذا ما تنفّس النّرجِسُ الغـ ـضّ توهّمتُه نَسِيمَ شَذاكا
وإخال الذي لثَمتَ أنيسي وجليسي ما باشرَتْه يداكا
فإذا ما لثمتُ لَثْمَك فيه فكأنّي بذاك قبّلتُ فاكا
خُـدَعٌ للمُنى تعلّلني فيـ ـك بإشراق ذا ونَفْحة ذاكا
لأُقِيمنَّ ما حَيِيتُ على الشكـ ـر لهذا وذاك إذ حَكَياكا

قال : فقلت له : أحسنتَ واللهِ ما شئتَ ؛ ولكنّك يا كَشْخان[1] هو ذا تَقْدِر أن تقطع الطريق في عملي ؟ فقال : يا كشخان أوَ شعري الذي سمعتَه في حاضرٍ أَمْ بذكر غائبٍ ! واللهِ لَلنَّعْلُ التي يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه .

[مدح المتوكّل شعره]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أحمد بن سعيد بن عَنْبَسَة القُرَشيّ الأُمويّ قال حدَّثني عليّ بن الجَهْم قال : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده[2] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر[3] : [من البسيط]

---

1 كشخان : ديوث .

2 الخلد : قصر بناه المنصور على شاطىء دجلة .

3 أشعار الخليع : 114–115 .

بالشَّطِّ لي سَكَنٌ أُفْدِيه من سَكَنِ · أهْدى من الآس لي غصنين في غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظما إلفين والتَبسا · سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حسنِ
فالآسُ لا شَكَّ آسٍ من تشوّقنا · شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمنِ
أبْشَرتُماني بأسبابٍ ستجمعنا · إن شاء ربِّي ومهما يَقْضِه يَكُنِ

قال : فلمّا فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنْشَقّ حسداً : لِمَن هذا الشعر يا عليّ ؟ فقلت : للحسين بن الضّحّاك يا سيِّدي . فقال لي : هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِم أنفُك ومتَّ حسداً . وكنتُ قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذٍ فلم أفعل ، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخّرتُها إلى وقت آخر .

[مع شفيع خادم المتوكّل]

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ قال حدَّثني أبي قال : أحَبَّ المتوكّل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضّحّاك وأن يرى ما بَقِي من شهوته لما كان عليه ؛ فأحضره وقد كبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سكِر ، وقال لخادمه شَفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيّاه بوردةٍ ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورَّدة ؛ فمدَّ الحسينُ يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكّل : يا حسين ، أتُجَمِّشُ أخصَّ خَدَمي عندي بحَضْرتي ؟ فكيف لو خلوتَ ؟ ما أحوجك إلى أدب ! وقد كان المتوكّل غمَز شفيعاً على العَبَث به . فقال الحسين : يا سيِّدي ، أريد دواةً وقرطاساً ، فأمر له بذلك ، فكتب بخطِّه[1] : [من الطويل]

وكالوردةِ الحَمْراء حيّا بأحمرٍ · من الورد يمشي في قَراطِقَ كالوردِ[2]
له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيّةٍ · بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ
تمنَّيتُ أن أُسقى بكفَّيْه شَرْبَةً · تذكّرني ما قد نَسِيتُ من العهدِ
سقى الله دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً · خَلِيّاً ولكن من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعةَ إلى شفيع وقال له : ادفَعْها إلى مولاك . فلمّا قرأها استملحها وقال : أحسنتَ والله يا حُسين ؛ لو كان شفيع مِمّن تجوز هبتُه لوهبتُه لك ، ولكن بحياتي إلاّ كنتَ ساقيه باقيَ يومه هذا واخدُمْه كما تخدُمني ؛ وأمر له بمال كثير حُمِل معه لّما انصرف . قال

---

1 أشعار الخليع : 43 .
2 في مجموع أشعاره :
وكالدرّة البيضاء حيّا بعنبرٍ · وكالورد يسعى في قراطقَ كالورد

أحمد بن يَزيد فحدَّثني أبي قال : صِرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكّل بأيّام ، فقلت له : وَيْلَك ! أتدري ما صنعتَ ؟! قال : نعم أدري ، وما كنتُ لأدَعَ عادتي بشيء ؛ وقد قلتُ بعدك[1] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لا رأى عَطْفَةَ الأحبّـ ـة مـن لا يُصَرِّحُ
أصغرُ الساقِيَيْنِ أشـ ـكلُ عندي وأمْلَحُ
لو تراه كالظَّبْي يَسـ ـنَح حيناً ويبرَحُ
خِلْتَ غصناً على كَثيـ ـبٍ بنَورٍ يوشَّحُ

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر .

[حيّاه شفيع بتفّاحة عنبر]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ وقال حدَّثني محمَّد بن أبي عَوْن قال : حضرتُ المتوكّل وعنده محمَّد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضّحّاك للمنادمة ، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه ، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر . وقال لحسين : قُل في هذا شيئاً ؛ فقال[2] : [من الطويل]

وكالدُّرّةِ البيضاء حيّا بعنبرٍ وكالورد يَسْعى في قَراطِقَ كالوَرْدِ
له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيّة بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ[3]
تمنّيتُ أن أُسقَى بكفّيه شربةً تُذكّرني ما قد نسيتُ من العهدِ[4]
سقى الله عيشاً لم أبِتْ فيه ليلةً من الدَّهرِ إلاّ من حبيب على وعدِ

فقال المتوكّل : يُحمل إلى حسين لكلِّ بيت مائةُ دينار . فالتفتَ إليه محمَّد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجِّب وقال : لِم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله لقد أجاب فأسرع ، وذكّر فأوجع ، وأطرَب فأمتع ؛ ولولا أنّ يدَ أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد . فخجِل المتوكّل وقال : يُعطى حسين بكلِّ بيت ألفَ دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثنا بِشْر بن محمَّد قال وحدَّثني علي بن الجَهْم : أنّه حضر المتوكّلَ وقد أمر شفيعاً أن يسقيَ حسينَ بن الضّحّاك ؛ وذكر باقيَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره .

---

1 أشعار الخليع : 35 .

2 رواية الأبيات هنا كما وردت في مجموع أشعار الخليع ص 43 وفيه تخريجها .

3 بعينيه في ل : بكفّيه .

4 بكفيه في ل : بعينيه .

[شعره في مقحم خادم ابن شغوف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمّد بن يزيد المبرّد ، وحدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمّد بن مروان عن محمّد بن عمرو الرُّوميّ قال : اجتمع حسين بن الضّحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشّقه ويُسِرّ ذلك من ابن شغوف . فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين : قُل في مُقْحمٍ[1] أبياتاً أُغَنِّ فيها الساعةَ . فقال الحسين[2] : [من المنسرح]

صوت

وابأبـي مُقْحـمٌ لعزّتـه قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِما
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فمـا قـال لا ولا نَعَما

[تعريض إسحاق الموصليّ بعمرو بن بانة]

وغنّى فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصليّ بالباب ؛ فقال له عمرو : أَعْفِنا من دخوله ولا تنغّص علينا ببُغْضِه وصَلَفه وثِقَلِه ففعل ؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلَتهم عند ابن شغوف . فلمّا أصبحوا مضى الحسينُ بن الضّحّاك إلى إسحاق فحدّثه الحديثَ بنصّه . فقال إسحاق : [من المنسرح]

يا ابنَ شغوفٍ أما علمتَ بما قـد صار في الناس كلُّهم عَلَما
دعـوتَ عمـراً فبـات ليلتَه في كلّ مـا يَشتهـي كما زعما
حتـى إذا مـا الظلامُ أَلبسه سَرى دَبِيباً فضاجَـع الخَدَما
ثَمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجِعهم سِرّاً ولكن أَبْدى الذي كتما
ثـم تغنّـى لفـرط صَبْوتـه صوتاً شفى مـن غَليله السَّقَما
«وابأبـي مُقْحـم لعزّتـه قلتُ لـه إذ خلوت مكتتما»
«تحـبّ بالله مـن يخصّك بـالودّ فمـا قـال لا ولا نَعَما»

قال : وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظنّ ؛ فبلغت ابنَ شغوف

---

1 ويروى أيضاً «مفحم» بالفاء .

2 مجموع شعره : 107 .

فحلَف ألاّ يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلّمه ، وقال : فضَحني وشهَرني وعرّضني للسان إسحاق ؛ فمات مهاجراً له . وقال ابن أبي سعد في خبره : إنّ إسحاق غنّى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدَّثه بالحديث ، فضحك وطرِب وصفّق ؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام .

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقْحم من الثقيل الثاني بالوسطى .

[رأي أبي نواس في غزله]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدَّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مَهْدِيَّ بن سابِق يقول : التقى أبو نواس وحسين بن الضّحّاك ، فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ؛ قال : وفي أيّ ذلك ؟ قال : ألا تعلم يا حسين ؟ قال لا ؛ قال : في قولك : [من المنسرح]

وابأبـي مُقْحـم لعزّتـه ... قلت له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله مَن يَخُصّك بالو ... دّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتَيْ خَجِلٍ ... أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغي بحيلته ... بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين : وَيْحَكَ يا أبا نواس ؛ فأنت لا تفارق مذهبَك في الخمر ألبتّةَ ؛ قال : لا والله ، وبذلك فضَلتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً .

[ثعلبٌ يثني على شعره]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال أنشدنا أبو العبّاس ثَعْلَب قال أنشدني حمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضّحّاك قال أنشدني حسين لنفسه[1] : [من مجزوء الخفيف]

لا وحُبّيكَ لا أُصا ... فِح بالدّمْع مَدمَعا
مَن بَكى شَجْوَه استرا ... ح وإن كان مُوجَعا
كَبِدي من هواكَ أسـ ... ـقمُ من أن تَقَطّعا
لم تَدَعْ سَوْرةُ الضّنى ... فيَّ للسُّقْم مَوْضِعا

قال : ثم قال لنا ثَعْلَب : ما بَقي من يُحسن أن يقول مثل هذا .

[رأي ابن الرومي في غزله]

أخبرني عليّ قال حدَّثني محمَّد بن الفَضْل الأهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العبّاس الروميّ

1 شعره : 76–77 .

يقول : حسين بن الضّحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول[1] : [من الكامل]

يا مستعِيرَ سَوالـفِ الخِشْفِ اسْمَعْ لحَلْفـة صـادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أصِحْ ليلي ويـا حَرَبِي مـن وجنتيكَ وفَتْرةِ الطَّرْفِ
فجَحدتُ ربِّـي فضلَ نعمته وعبدتُـه أبـداً عـلى حَرْفِ

[شعره في فتن]

أخبرني عليّ بن العبّاس الرومي قال حدَّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال حدَّثني أبي قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كانت تألفني مغنّية ، وتجيئني دائماً ، وكنت أميل إليها وأستملحها ، وكان يقال لها فِتَنُ . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجْحا ، وكان بغيضاً شَرِسَ الخُلُق ، فإذا جاء معها توقَّيْته ؛ فمرض ، فجاءتني ومعها غيره ، فبلغتُ منها مُرادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي ؛ فقلت[2] : [من مجزوء الخفيف]

لا تَلُمْنـي على فِتَنْ إنّهـا كاسمِها فِتَـنْ
فـإذا لم أهِـمْ بهـا فبمَـن ، لا بمَـن إذَنْ
أيـن ، لا أيـن ، مثلُها في جميع الوَرى سَكَنْ
طِيب نَشْرٍ إذا لثِمْـ ـتَ وغُنْج ومُحتَضَنْ
وَالِ عَشْراً مـن الصَّبُو حِ على وجهِها الحسنْ
وعلى لفظهـا المُنَـوِّ نِ لـلاّمِ بـالغُنَنْ
لست أنسى من الغَرِيـ ـرة إذ بُحت بالشَّجَنْ
قولَهـا إذ سلبتُهـا عن كَثيبٍ وعن عُكَنْ
ليس يُرضيكَ يـا فتى من هوىً دون أن تَهِنْ
فامتزجنـا معـاً مُمـا زَجـةَ الرُّوح للبدنْ
وكُفِينـا مـن أن نرا قِـبَ نُجْحاً إذا فَطَنْ
وأمِنّـاه أن يَنِـ ـمّ ومـا كان مؤتَمَنْ
كلّ مـا كان من حبيـ ـبك مستظْرفٌ حسنْ

1 شعره : 80 .
2 شعره : 108 عن الأغاني .

[مناظرته مخارق في أبي نواس وأبي العتاهية]

حدَّثني جَحْظَة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ مُخارقاً وحسين بن الضّحّاك تَلاحَيا في أبي العتاهية وأبي نُواس أيُّهما أشعر ؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه ، فاختار الحسينُ بن الضّحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قويّاً لمعرفته بذلك ، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغَنّى فيه لا لشيء عرَفه منه إلاّ لأنّه استملحه وغنّى فيه ، فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العَتاهية من المودّة ؛ وتخاطَرا[1] على مالٍ ، وتحاكَما إلى مَن يَرْتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما ؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم ؛ وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكَم لحسين بن الضّحّاك . فتَلَكّأ مخارق وقال : لم أُحْسِنِ الاختيارَ للشعر ولَحُسَيْنٌ أعلم منّي بذلك ، ولأبي العتاهية خيرٌ ممّا اخترتُ ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدَر عليه لأبي نُواس لأنّه أعلم منّي بالشعر ، ولكنّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ ؛ فتحاكما فَحَكَم لأبي نواس ، وقال : هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه . فأمر الواثقُ بدفع الخَطَر إلى حسين ، وانكسر مخارق فما انْتُفِع به بقيَّةَ يومه .

[شعره في الحسن بن سهل]

أخبرني ابنُ أبي طَلْحَة قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدَّثني أبي قال : لمّا اطّرح المأمونُ حسينَ بن الضّحّاك لهواه ، كان ، في أخيه محمَّد وجفاه ، لاذ الحسينُ بن الضّحّاك بالحسن بن سَهْل وطمع أن يُصْلحه له ؛ فقال يمدحه[2] : [من الوافر]

أرى الآمــالَ غيرَ مُعرِّجـاتٍ	على أحدٍ سوى الحسن بن سَهْلِ
يُباري يومَــه غـدُه سَماحاً	كِلا اليومين بـانَ بكلّ فضلِ
أرى حَسَنـاً تقـدّم مستبِدّاً	ببَعْــدٍ مــن رياستــه وقَبْلِ
فإن حضرَتْك مشكلةٌ بشَكٍّ	شفاكَ بحِكْمةٍ وخطابِ فَصْلِ
سليلُ مَرازبٍ بَرَعُـوا حلومـاً	وراع صغيرُهـم بسداد كهلِ
ملوكٌ إن جريتَ بهـم أبرّوا	وعَـزّوا أن تُوازِنَهـم بعِدْلِ
ليَهْنِك أنّ مــا أرجأتَ رشدٌ	وما أمضيتَ من قـول وفعلِ

1 تخاطرا : تراهنا .

2 شعره : 93 .

وأنّك مؤثِـرٌ للحـقّ فينـا أراك الله مـن قطـع ووصلِ
وأنّك للجميـع حَيـا ربيـعٍ يَصُوب على قَرارة كلّ مَحْلِ

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصَله وخلَع عليه ووعَده إصلاحَ المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه وَلِما عاجل الحسنَ من العلّة .

[سؤال الحسن بن سهل وجوابه]

قال عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة وحدَّثني أبو العبّاس أحمد بن الفضل المَرْوَزِيّ قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضّحّاك : ما عنَيْتَ بقولك[1] : [من المديد]

يـا خَلِيّ الذَّرْع من شَجَنِي إنّمـا أشكـو لترحَمَنـي

قال : قد بيّنتُه ؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

منعُك الميسورَ يُـؤْيِسُني وقليـلُ اليأس يقتلنـي

فقال له أبو محمَّد : إنّك لتُضيع بالخلاعة ، ما أُعطِيتَه من البَراعة .

[الحسن بن سهل يهبه غلاماً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدَّثنا أبو هفّان قال : سألت حسينَ بن الضّحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه ، فقلت له : إنّي أشتهي أن أسمعَه منك . فقال لي : دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخَريف وقد جاء وَسْميٌّ من المطر فَرَشّ رَشّاً حسناً ، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبه ، وهو جالس على سرير آبنُوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمة[2] ديباجٍ أصفر وهو يُشْرِف على بستان في داره ، وبين يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدِّينار ؛ فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام ، ونظر إليّ كالمستنطِق ؛ فأنشأتُ أقول[3] : [من المتقارب]

ألستَ تـرى ديمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُـك مُسْتَقبَلُ

فقال : بَلى . فقلت :

وتلك المُدامُ وقـد شاقنا برؤيتـه الشادنُ الأكحـلُ

فقال : صدقت فمَهْ ؛ فقلتُ :

---

1 شعره : 115 .
2 الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبّة ، والمراد هنا ستر رقيق من الديباج كأنّه طارمة .
3 شعره : 91–92 ورواية الخبر والأبيات فيه عن الأغاني .

فعـاد بـه وبنـا سَكْرةٌ   تُهوِّن مكـروهَ مـا نَسأَلُ

فسكت . فقلت :

فإنّي رأيـت لـه نظـرةً   تُخبِّـرني أنّـه يفعـلُ

ثم قال : مَهْ ؛ فقلت :

وقد أُشْكل العيشُ في يومنا   فيـا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ

فقال : العيش مشكِل ، فما ترى ؟ فقلت : مبادَرَةُ القَصْف وتقريبُ الإلْف . قال : على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا . فقلت له : لك الوفاءُ وعليك مثلُه لي من الشرط . قال : وما هو ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشرِبنا أقداحاً . ولَمْ أَرَ الغلامَ ، فسألتُ عنه فقال لي : الساعةَ يَجيء ، فلم نلبث أن وافاني ؛ فسألْتُه أين كان ؟ فقال : كنت في الحَمّام وهو الذي حبسني عنك . فقلتُ لوقتي[1] : [من السريع]

وابأبي أبيضُ في صُفرةٍ   كأنّـه تِبْـرٌ على فضّهْ

جرّده الحمّامُ عن دُرّةٍ   تلوح فيهـا عُكَنٌ بَضّهْ

غصنٌ تبدّى يتثنّى على   مَأكَمة مُثْقَلةِ النَّهْضَهْ[2]

كأنّما الرَّشُّ على خدّه   طَـلٌّ على تُفّاحةٍ غَضّهْ

صفاتُـه فاتنـة كلُّهـا   فبعضُه يُذْكِـرُني بعضَهْ

يـا ليتني زوّدني قُبْلةً   أو لا فمِنْ وَجْنته عَضّهْ[3]

فقال لي الحسن : قد عمِل فيك النبيذُ ؛ فقلتُ : لا وحياتِك ؛ فقال : هذا شرٌّ من ذلك . فقلت[4] : [من مجزوء الخفيف]

اسْقِيـاني وصرِّفـا   بنـتَ حولَـين قَرْقَفا[5]

واسْقِيا المُرْهَـفَ الغَريـ   ـر سقَـى اللهُ مُرْهَفا

---

1 شعره : 180 .

2 المأكمة : العجيزة .

3 يا ليتني ، لعلّها يا ليته ، وكذا هي في شرح المقامات .

4 شعره : 81–82 .

5 القرقف : الخمر لأنّها ترعد شاربها .

لا تقولا نراه أكـ ـلَفَ نِضْواً مخفّفا[1]
نِعْمَ ريحانةُ النديـ ـم وإن كان مُخْطَفا[2]
إن يكن أكلفاً فإ نّي أرى البدرَ أكْلَفا
بأبي ماجنُ السريـ ـرة يُبْدي تَعَفُّفا
حَفَّ أصداغَه وعَقْـ ـربها ثم صفّفا
وحَشا مَدْرَجَ القُصا صِ بمسك ورصّفا[3]
فإذا رُمتَ منه ذا كَ تأبّى وعنّفا
ليس إلاّ بأنْ يُر نّحه السُّكْرُ مُسْعِفا
باكِرا لا تسوِّفا ني عدِمتُ المُسوِّفا
أعْجِلاه وبالفُضا ضةِ في السَّقْي فاعْنُفا[4]
واحمِلا شَغْبَه وإن هو زنّى وأفَّفا[5]
فإذا هَمَّ للمنا مِ فقُوما وخَفِّفا

فتغاضَب الغلامُ وقام فذهب ، ثم عاد فقال لي : أقْبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيان . وناوَلَني قدحاً . وقام أبو محمَّد ليبولَ ، فشربتُ وأعطاني نُقْلا فقلتُ : اجعلْ بدلَه قبلةً ؛ فضحك وقال : أفْعلُ ، هذا وقتُه فبَدا له وقال : لا أفعل ؛ فعاودتُه فانتهرني . فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج : بحياتي يا بنيّ أسْعِفْه بما طلب ؛ فضحك ثم دنا منّي كأنّه يناولني نُقْلا وتغافل فاختلستُ منه قبلةً ؛ فقال لي : هي حرام عليك فقلت[6] : [من الرمل]

وبديع الدَّلّ قَصْرِيّ الغَنَجْ مَرِه العين كَحِيلٍ بالدَّعَجْ[7]
سُمْتُه شيئاً وأصْغيتُ له بعد ما صرَّف كأساً ومَزَجْ
واستخفّتْه على نَشْوتِه نَبَراتٌ من خفيفٍ وهَزَجْ

1 الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .
2 المخطف : قليل لحم الجنب .
3 القصاص : منبت الشعر .
4 الفضاضة : آخر الشيء .
5 زنّى : قذف وسبّ .
6 شعره : 34 .
7 مره العين : لم يكتحل .

فتأبَّـــى وتثنَّـــى خَجَـــلاً ... وذَرا الدَّمـــعَ فنونـــاً ونَشَجْ
لجَّ في «لولا» وفي «سوف تَرى» ... وكـــذا كَفْكَـــفَ عنِّي وخَلَجْ[1]
ذهـــب الليـــلُ ومـــا نَوَّلَني ... دون أن أَسْفَـــرَ صبـــحٌ وانْبَلَجْ
هـــوّن الأَمـــرَ عليـــه فـــرجٌ ... بتأتِّيـــــه فَسقْيـــاً لفَـــرَجْ
خَمِـــرُ النَّكهـــة لا مـــن قهـــوةٍ ... أَرَّجَ الأَصـــداغَ بالمسك أَرِجْ[2]
وبنفسي نفسُ مَن قـــال ، وقـــد ... كان مـــا كان ، حـــرامٌ وحَرَجْ

قال : ثم أَسفر الصبح . فانصرفتُ وعُدْتُ من غدٍ إلى الحسن ؛ فقال لي : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أَأَصِفُ ذلك نثراً أَم نظماً ؟ فقال : بل نظماً فهو أَحسن عندي ، فقلت[3] : [من المتقارب]

تأَلّفتُ طيـفَ غـزال الحَرَم ... فواصَلَني بعـد مـا قـد صَرَمْ
ومـا زلـتُ أَقنَع مـن نَيْله ... بمـا تَجْتنيـه بَنـانُ الحُلُمْ
بنفسي خيـالٌ عـلى رِقْبَـةٍ ... أَلَمّ بـه الشوقُ فيمـا زَعَمْ
أَتـاني يُجـاذب أَردافـه ... من البُهْر تحت كسوف الظُّلَمْ
تمُـجّ سوالفُـه مِسْكـةً ... وعنبـرةً ريقُـه والنَّسَمْ
تضمّخ مـن بعـد تجميره ... فطاب من القَرْن حتى القَدَمْ[4]
يقـول ونازعتُـه ثوبَـه ... على أَن يقـولَ لشيء نعمْ
فغَضّ الجفـونَ عـلى خَجْلَـةٍ ... وأَعـرضَ إعراضـة المُحْتَشِمْ
فشبّكتُ كفِّـي على كفّـه ... وأَصغيـتُ أَلْثِـمُ دُرّاً بفَـمْ
فَنَهْنَهني دَفْـعَ لا مـؤيسٍ ... بجِـدّ ولا مُطْمِـعٍ مُعْتزِمْ
إذا مـا هَممْـتُ فأَدنيتُـه ... تَثَنّـى وقـال لي الوَيْـلُ لِمْ
فمـا زلـتُ أَبسُطه مازحـاً ... وأُفْرِط في اللهـو حتى ابتسمْ
وحكَّمنـي الرِّيـمُ في نفسه ... بشيء ولكنّـه مُـكْتَتَمْ

1 كفكف : كفّ وأَعرض . خلج : جذب وانتزع ، أَي دفعه وانتزع نفسه منه .
2 في رواية : المسك الأَرج أَي الذي تفوح منه رائحة طيّبة .
3 شعره : 94–96 .
4 التجمير : التبخير بالطيب .

فواهـاً لذلك مـن طـارقٍ على أن مـا كان أبقـى سَقَمْ

قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ؛ أظنّ ما ادّعيته على الطَّيْف في النوم كان في اليَقَظَة مع الشَّخص نفسه ، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَض[1] العارَ عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، فخذه لا بُورك لك فيه ؛ فأخذته وانصرفت .

[شعره في غلام للحسن بن سهل]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أبو العَيْناء قال : أنشدني الحسين بن الضّحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام ؛ فقال[2] : [من الوافر]

فديتُك ما لوجهك صدَّ عنّي وأبديـتَ التّنـدُّم بالسَّلامِ

أحينَ خلبتني وقَرَنْتَ قلبـي بطَرْفِـك والصَّبابـةَ في نِظامِ

تَنكَّـر مـا عهِدتُ لِغبِّ يوم فيا قربَ الرَّضاع من الفِطامِ

لأَسْرعَ مـا نهيتَ إلى همومي سروري بالزيـارة واللِّمـامِ

[اختلاط جبتين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك الخليع قال : كنت في المسجد الجامع بالبصرة ، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خَزّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نواس ؟ فلم يخبرني ، فتوهّمت أنّه أخذها من موسى بن عِمْران لأنّه دخل من باب بني تميم ؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خَزّ أخرى ؛ فقلت له[3] : [من الخفيف]

كيف أَصبحتَ يا أَبا عمران

فقال : بخير صبّحك الله به . فقلت :

يـا كريـم الإخاء والإخوان

فقال : أسمعك الله خيراً . فقلت :

إن لي حاجـةً فرأيك فيهـا إنّنـا في قضائهـا سِيّـان

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

---

1 نرحض : نغسل .

2 شعره : 104 .

3 شعره : 111 .

جُبّــةٌ مــن جبابك الخزّ حتى لا يَــراني الشتاءُ حيث يراني

قال : خذها على بركة الله ، ومَدَّ كمَّه فنزعتُها[1] وجئتُ وأبو نواس جالس ؛ فقال : من أين لك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

[المعتصم يجيز محمّد بن عمرو لأنّه جاء مع الحسين]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمَّد بن موسى بن حمّاد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضّحّاك قال : دخلت أنا ومحمَّد بن عمرو الروميّ دارَ المعتصم ، فخرج علينا كالحاً . قال : فتوهّمنا أنّه أراد النّكاح فعجز عنه . قال : وجاء إيتاخُ فقال : مخارِقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب ؛ فقال : اعْزُبْ عنّي ، عليك وعليهم لعنة الله ! . قال : فتبسَّمتُ إلى محمَّد بن عمرو ؛ وفهم المعتصم تبسّمي فقال لي : ممّ تبسّمتَ ؟ فقلت : من شيء حضَرني ؛ فقال : هاتِه ؛ فأنشدتُه[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

انْــفِ عــن قلبك الحَزَنْ بــاقترابٍ مــن السَّكَنْ
وتمتّــعْ بكَــــرٍّ طَـرْ فــك في وجهــه الحَسَنْ
إنّ فيـــه شفــاءَ صـــد رك مــن لاعِـجِ الحَزَنْ

قال : فدعا بألفي دينار : ألفٍ لي وألفٍ لمحمّد ، فقلتُ : الشعر لي ، فما معنى الألف لمحمَّد بن عمرو ؟ قال : لأنّه جاءنا معك . ثم أذِن لمُخارِقٍ وعَلّويه فدخلا ، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا ، فما زال يعيد هذا الشعر ، ولقد قام ليبولَ فسمعتُه يردّده .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعَلّويه وهو من الثقيل الأوّل بالبنصر .

[أحبَّ غلام أبي كامل المهنّد]

أخبرني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال : كان الحسين بن الضّحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر ، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتحبّه ؟ قال : نعم والله ؛ قال : فأعلِمْه ؛ قال : هو أعلم بحبّي له منّي به . ثم قال[3] : [من المقتضب]

---

1 ل : فتدرعتها .

2 شعره : 109 .

3 شعره 123 عن الأغاني .

عالـــمٌ بحُبِّيــهِ مُطْرِقٌ مــن التِّيــهِ
يوسفُ الجمالِ وفـر عــونُ في تَعَدِّيــهِ
لا وحقِّ مـا أَنا مِنْ عَطْفِـــه أُرَجِّيــهِ
مـا الحيــاة نافعةٌ لي عـــلى تأبِّيــهِ
النعيـــمُ يشغَلُـــه والجمـــالُ يُطْغِيــهِ
فهــو غير مُكتــرثٍ للـــذي أُلاقِيـــهِ
تائــــةٌ تُزهِّـــدُه فيَّ رغبتـــي فيــهِ

قال محمَّد بن محمَّد : وغنَّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبٌ وسُلَيمٌ وجماعةٌ من المغنِّين .

[شعره في أمرىء ينتف لحيته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضّحّاك صديق وكان يتعشَّق جاريةً مغنِّيةً ، فزاحمَه فيها غلامٌ كان في مُرُودته حسنَ الوجه ؛ فلمّا خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخْرج منها ؛ ومالت القَيْنَةُ إليه لشَبابه ؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضّحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال[1] : [من البسيط]

خَلِّ الذي عنكَ لا تَسْطيعُ تدفعُه يا مَن يُصارِع من لا شكَّ يَصْرَعُه
جاءت طرائقُ شَعْرٍ أَنت ناتفُها فكيف تَصْنَع لو قد جاء أَجْمعُه[2]
اللهُ أَكبرُ لا أَنْفَـكُّ مــن عَجَبٍ أَأَنت تحصُد ما ذو العرشِ يزرعه
تَبّـاً لسعيك بـل تَبّـاً لأُمِّك إذ تَرْعى حِمىً خالقُ الأَحْماء يَمنعُه

وقال فيه أَيضاً[3] : [من مجزوء الكامل]

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يـا ابن يوسفْ حَتَّامَ وَيْحَـكَ أَنـت تَنْتِفْ
لــو قــد أَتـى الصيفُ الذي فيـه رؤوس النــاس تُكْشَفْ
فكشفــتَ عـــن خدَّيـكَ لي لكشفتَ عن مثـلِ المُفَوَّفْ[4]

1 شعره : 72 .
2 ناتفها في مجموع شعره : تنتفها .
3 شعره : 78 .
4 المفوف : الذي فيه خطوط بيض على الطول .

أو مثـــلِ زَرْعٍ نالــه الــ ـيرَقانُ أو نَكْبـاءُ حَرْجَفْ[1]
فغــــدا عليــــــه الزارعـو نَ ليَحْصُدوه وقــد تقصَّفْ
فظَلِلْــتَ تــأسَف كالأُلـــى أَسِفـوا ولم يُغْــنِ التاسُّفْ

[صالح بن الرشيد يشتري غلاماً]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني عُمَيْر بن أحمد بن نَصْر الكُوفيّ قال حدَّثني زيد بن محمَّد شيخنا قال : قلت لحسين بن الضّحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ : يا أبا عليّ شهَّرتَ نَفسَك وفضحتها في خادم ، فألاّ اشتريتَه ! فقال : فديتُك ؛ إنّ الحبَّ لَجاجٌ كلّه ، وكنتُ أُحببتُ هذا الخادم ووافقني على أن يَسْتبيع لأشتريَه . فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أقدِر على الأنْتصاف منه ، وآثَره الخادمُ واختاره ، وكِلانا يحبُّه إلاّ أنّ صالحاً يُناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل . فضحكتُ من قوله ، ثم سألتُه أن يُنْشدَني شيئاً من شعره ، فأنشدني[2] : [من الخفيف]

إنّ مــن لا أرى وليس يَراني نُصْبَ عينــي مُمَثَّــلٌ بالأماني
بأبي مـــن ضميرُه وضميري أبـــداً بالمَغِيـــبِ يَنتجيــانِ
نحن شخصانِ إن نظرتَ ورُوحا نِ إذا مـا اختبرتَ يمتزجانِ
فإذا مــا همَمتُ بالأمر أو هَمّ بشيء بدأتُـــــه وبَـــــداني
كان وَفْقاً مــا كان منه ومنّي فكأنّــي حَكَيتُــــه وحكاني
خطراتُ الجفون منّــا سَواءٌ وسواءٌ تحــرُّكُ الأبـــدانِ

فسألته أن يحدِّثني بأسرِّ يومٍ مرَّ له معه ، فقال : نعم اجتمعنا يوماً فغنّى مغنٍّ لنا بشعر قلته فيه فاستحسنه كلُّ مَن حضر ، ثم تغنّى بغيره ؛ فقال لي : عارِضْه ؛ فقلتُ : بقُبلةٍ فقال : هي لك ، فقبّلتُه قبلة وقلت[3] : [من المنسرح]

فدّيتُ من قــال لي على خَفَرِهْ وغضَّ مــن جَفْنِه على حَوَرِهْ :
سمِّــع بــي شعرُك المَليحُ فما ينفكُّ شادٍ بــه على وَتَرِهْ
حسبُك بعضُ الذي أذعتَ ولا حَسْبَ لصَبٍّ لم يَقْضِ من وَطَرِهْ

1 النكباء الحرجف : الريح الباردة .
2 شعره : 112 .
3 شعره : 63 من الأغاني .

وقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الخِشْـ ـفِ وحسنِ الفُتُورِ من نَظَرِهْ
لا تُنكِرنّ الحَنِـينَ من طَرِبٍ عـاودَ فيكَ الصِّبا على كِبَرِهْ

[ملاطفة غلام أبي عيسى]

حدَّثني الصُّوليّ وعليّ بن العبّاس قالا حدَّثنا المغيرة بن محمَّد المهلّبيّ قال: كان حسين بن الضحّاك يتعشَّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به[1] ويكذّبه؛ ثم سكَن نِفارُه وضحك إليه وتحدّثا ساعة. فأنشدنا حسين قولَه فيه[2]: [من البسيط]

سائلْ بطَيْفِكَ عن ليلي وعن سَهَري وعن تَتابُع أنفاسي وعن فِكَري
لم يَخْلُ قلبي من ذِكراكَ إذ نظرتْ عيني إليكَ على صَحْوي ولا سَكَرِي
سَقْياً ليـوم سروري إذ تُنازِعني صفوَ المدامةِ بـين الأُنْسِ والخَفَرِ
وفضـلُ كأسك يأتينـي فأشربُه جَهْراً وتشربُ كأسي غيرَ مستترِ
وكيف أُشْمِلُـه لَثمـي وأُلْزِمـه نحري وترفَعـه كفِّي إلى بصري
فليتَ مدّةَ يومي إذ مضى سلَفـاً كانت ومـدّةَ أيّامي عـلى قَدَرِ
حتى إذا مـا انطوتْ عنّا بشاشتُه صِرْنا جميعاً كذا جارَيْن في الحُفَرِ

[صالح بن الرشيد وغلام أخيه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال: كان صالح بن الرشيد يتعشَّق غلاماً يسمَّى يُسْراً خادمَ أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفي له. فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالحٍ أخيه في السَّحَر يقول له: يا أخي إنّي قد اشتهيتُ أن أصْطَبِحَ اليوم، فبحياتي لَما ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً. فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَّحَر وهو مُنْتَشٍ قد شرب في السَّحَر، فأبلغه الرسالةَ؛ فقال: نعم وكَرامة، اجلسْ أوّلاً فجلس؛ فقال: يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسْر دَعْني من مواعيدك ومَطْلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقْضِ حاجتي، وإلاّ فليس هاهنا إلاّ الغَصْب؛ فقال له: يا سيِّدي؛ إنّي أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوَعه، فقضى حاجتَه، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين:

1 لعلّها: له.
2 شعره: 62–63 عن الأغاني.

ثم خرج إليّ صالح من خَلْوته فقال : يا حسين ، قد رأيتَ ما كنّا فيه ، فإن حضرك شيءٌ فقُل ؛ فقلت[1] : [من الهزج]

صوت

أيا مَـــنْ طَرْفُـــه سِحْرٌ ومَـــنْ ريقتُـــه خمـــرُ
تجاســـرتُ فكاشفتُـــ ـــك لمّـــا غُلِب الصبرُ
ومـــا أحْسنَ في مثلـــ ـــك أن يَنْهتِكَ السِّتْرُ
وإنْ لامنـــيَ النّـــاسُ ففـــي وجهك لي عذرُ
فدَعْني مـــن مَواعِيـــدِ ك إذ حيَّنـــك الدَّهرُ
فـــلا واللهِ لا تبـــر حُ أو ينقضـــيَ الأمرُ
فإمّـــا الغصْبُ والـــذمّ وإمّـــا البـــذلُ والشكرُ
ولـــو شئـــتَ تيسَّرتَ كما سُمِّيتَ يـــا يُسْرُ
وكن كاسمـــك لا تَمْنـ ـعُكَ النَّخْـــوةُ والكِبْرُ
فـــلا فُـــزْتُ بحَظِّـــي منـ ـــك إن ذاع لـــه ذكرُ

قال الحسين : فضحك ثم قال : قد لعَمْري تيسَّر يُسْرٌ كما ذكرتَ . فقلت : نعم ومَنْ لا يتيسَّر بعد أخذه الدِّيَةَ ؟ لو أردتَني أيضاً بهذا لتيسَّرتُ . فضحك ثم قال : نُعطيك يا حسين الدِّيَةَ لحضورك ومساعدتِك ، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْراً ، فبئسَتِ المطيّةُ أنت ؛ وأمر لي بها . ثم أمر عَرِيبَ بعد ذلك فغنَّتْ في بعض هذا الشعر .

[شعره في غلام عبد الله بن العبّاس الربيعيّ]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مَرْوان قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مصطبِحٌ وخادمٌ له يَسْقِيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْيَ هذا الغلام ، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلتُ[2] : [من المنسرح]

أحْيَتْ صَبُوحي فُكاهةُ اللاَّهي وطاب يومـــي لقرب أشباهي

---

1 شعره : 54–55 عن الأغاني وتنسب هذه الأبيات مع بعض اختلاف وزيادات إلى أبي نواس ، ديوانه (الغزالي) : 336 .

2 شعره : 122–123 وسترِد هذه الأبيات فيما بعد من الأغاني في قصّة مع الواثق ثم في ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ .

فاستَثِر اللهـوَ مـن مَكامِنه ... مـن قبـل يـومٍ منغِّصٍ ناهي

بابنـةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِق ... مؤتـزرٍ بالمُجُـون تَيَّـاهِ[1]

يَسْقيكَ مـن طَرْفِه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مجـرِّب داهي

كأساً فكأساً كأنّ شاربَهـا ... حيرانُ بـين الذُّكُور والساهي

قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنّى فيه لحناً مليحاً ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا .

[سكر فجمش يسراً فهدّده بخنجره فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض المَخْزوميّ قال حدَّثني أبي قال : خرج حسين بن الضّحّاك إلى القُفْص[2] متنزِّهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاءُ . وبلَغ يُسْراً الخادمَ خروجُه ، فشدَّ في وسَطه خِنْجَراً وخرج إليه فجاءه وهو على شرابه على غَفْلة ؛ فسُرَّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلمّا سكِرا جمَّشَه حسين ؛ فأخرج خَنجَره عليه وعَرْبَد ؛ فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه ، وقال في ذلك[3] : [من المنسرح]

جَمّشتُ يُسْراً على تسكُّـرِه ... وقـد دَهـاني بحُسْن منظَرِه

فهَـمَّ بالفَتْـك بـي فناشَده ... فيَّ كريـمٌ مـن خيرِ مَعْشَرِه

يا مَنْ رأى مثـلَ شادنٍ خَنِثٍ ... يَصُـول في خِـدْره بـزُوَّرِه

يسحَب ذيلَ القميص صَعْتَرَه ... وواردات مـن هُدْب مِئْزَرِه[4]

ولا يُعاطـي نديمَـه قدحـاً ... إلاّ بإبهامِـه وخِنْصَـرِه

أخـاف مـن كِبْره بوادرَه ... أدالنـي اللّهُ مـن تَكَبُّرِه

قد قلتُ للشَّرْب إذ بَدا فُضُلا ... في رَيْطَتَيْـه وفي مُمَصَّرِه[5]

وَيْـلي على شادنٍ توعَّـدني ... بسَـلِّ سِكِّينِـهِ وخَنْجَـرِه

أما كفاه مـا حَزَّ في كبدي ... بسِحْـر أجفانِـه ومَحْجِرِه

إذا نسيـمُ الرِّيـاح قابَلَنـا ... بالطِّيبِ مـن مسكه وعنبرِه

هَـزَّ قَوامـاً كأنّـه غُصُنٌ ... وارتَجَّ مـا انحطَّ من مُخَصَّرِه

1 بالمجون في ل : بالسكون .

2 القفص : إحدى قرى بغداد .

3 شعره : 63–64 عن الأغاني .

4 صعتره : زينته . واردات : متدلّيات .

5 الريطة : الملاءة . الممصر : مصبوغ بحمرة خفيفة .

[شعر له في يسر مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدَّثني أَبي قال : حضرتُ حسينَ بن الضّحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأَخذنا نتحدَّث مَلِيّاً ثم غازله حسينٌ ، فقال له يسر : إيّاك والتعرّضَ لي ، واربَحْ نفسَك ؛ فقال حسين[1] : [من المديد]

صوت

أَيُّها النَّفَّــاثُ في العُقَدِ ... أَنــا مَطْــوِيٌّ على الكَمَدِ

إنّما زَخْرَفْــتَ لي خُدَعاً ... قدَحتْ في الرُّوحِ والجَسَدِ

هاتِ يــا خَدَّاعُ واحدةً ... مِــن كثيرٍ قلتَــه وقَدِي[2]

ليت شِعري بعد حَلْفك لي ... بوفـاء العهـد بعــد غـدِ

مــا الذي بــالله صيَّره ... بعـد قربٍ في مَدى الأَبدِ

مــا لأُنْسٍ كان مُبْتـذَلاً ... منـك لي بالأمس لم يَعُدِ

إيهِ قُــلْ لي غيرَ مُحتَشِمٍ ... هل دَهاني فيك مــن أَحدِ

حبَّــذا والكـأسُ دائـرةٌ ... لَهْوُنــا والصَّيْـدُ بالطَّرَدِ

وحديــثٌ في القلوب لــه ... أُخَــذٌ يَصْدَعْنَ في الكبدِ[3]

يــومَ تُعْطِيني وتأخذهــا ... دون نَدْمـاني يـــداً بيدِ

فــإذا أُلويــت هيَّجنــي ... تَـلَـعٌ مــن ظبيــة البلـدِ

وإذا أُصغيـــتُ ذكَّــرني ... نَشْرَ كافــورٍ عـلى بَـرَدِ

ذاك يــومٌ كان حاسدُنـا ... فيــه معذوراً على الحَسَدِ

[المعتصم يسكر على شعره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمرو بن بانة قال : خرجنا مع المعتصم إلى الشام لمّا غزا ؛ فنزلنا في طريقنا بدَيْر مُران[4] ، وهو دير على تَلْعةٍ مُشْرِفة عالية تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة ، فنزل فيه المعتصم فأَكل ونشِط للشرب ودعا بنا ؛ فلمّا شربنا أَقداحاً قال لحسين بن الضّحّاك : أَين هذا المكان من ظهر بغداد ؟ فقال : لا أَين يا أَمير المؤمنين ؛ والله

1 شعره : 48–49 .

2 قدي : حسبي .

3 أخذ : جمع أخذه وهي الرقية .

4 دير مران : قرب دمشق .

لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ واللهِ ، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنِّ فيها عمرٌو ؛ فقال : أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطِق به ، ولكنّي أقول متشوِّقاً إلى بغداد ، فضحك وقال قلْ ما شئتَ[1] : [من البسيط]

صوت

يا دَيْرَ مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ هيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيْرَ مِدْيانا[2]

هــل عند قَسِّك من علم فيخبرَنا أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر من بانا

حُثَّ المُدامَ فإنّ الكأسَ مُتْرَعةً ممّــا يَهيجُ دَواعي الشوقِ أحيانا

سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايــا وساكِنِها وللجُنينة بالرَّوْحــاء مَــنْ كانا[3]

فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارِقاً فغنّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر ، وأمر للجماعة بجوائز .

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل ، ولحن مُخارِق هَزَجٌ ، ويقال : إنّه لغيره .

[مع خادم أبي عيسى]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد قال : كان حسين بن الضّحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد ؛ فعبِث به يوماً على سكر ؛ فأخذ قِنينةً فضرب بها رأسه فشَجَّه شَجَّةً مُنْكَرَةً ؛ وشاع خبرُه وتوجَّع له إخوانه وعُولج منها مدّةً ، فجفا الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعْرِض له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبِث به الخادمُ وغازَله . فلمّا أكثر ذلك قال له الحسين[4] : [من الطويل]

صوت

تَعَزَّ بيــأسٍ عن هــواي فإنَّني إذا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدّي

إذا خُنتُمُ بالغيب ودِّي فما لكم تُدِلُّــون إدْلالَ المُقِيم على العهدِ

ولي منك بُــدٌّ فاجتنبْني مُذَمَّماً وإن خلتَ أنّي ليس لي منك من بُدٍّ

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة ، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل .

---

1 شعره : 185–186 مع أبيات أخرى لم ترد هنا .

2 مديان في ل : مران . سكن في ل : سقم . وإن قرأت «سقم» كان الخطاب منصرفاً إلى دير مران ، وإلاّ فإنّ الخطاب تشوق إلى دير مديان قرب بغداد على نهر كرخايا الذي كان يصبّ في دجلة قبل جفافه .

3 الروحاء : من قرى بغداد .

4 شعره : 45–46 وهي قصيدة طويلة (عن الموشى) اجتزأ منها أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة .

[هنّأ الواثق بالخلافة فأجازه]

حدَّثني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثني عبد الله بن المؤمّل العسكريّ قال : لمّا وليَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل إليه المهنّئون والشُّعراءُ فمدحوه وهنّأوه ؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد ، وكان[1] من الجُلَساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذِن له ؛ فأنشده قوله[2] : [من المتقارب]

أُكاتِم وَجْدِي فما يَنْكَتِمْ ... بِمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنّي على حسن ظنّي به ... لأَحْذَر إن بُحْتُ أن يَحْتَشِمْ
ولي عند لَحْظته رَوْعةٌ ... تُحقّق ما ظنّه المُتّهِمْ
وقد عِلم الناسُ أنّي له ... مُحِبٌّ وأحسَبه قد عَلِمْ

وفي هذا رَمَلٌ لعبد الله بن العبّاس بن الرَّبيع .

وإنّي لُمغْضٍ على لوعةٍ ... من الشَّوقِ في كَبِدي تضْطَرِمْ
عشيّةَ ودَّعتُ عن مقلةٍ ... سَفُوحٍ وزفرةِ قلبٍ سَدِمْ[3]
فما كان عند النّوى مُسْعِدٌ ... سوى العينِ تمزُج دمعاً بدَمْ[4]
سيذكر مَنْ بان أوطانَه ... ويَبْكي المقيمين من لم يُقِمْ

وقال فيها يصف السفينة :

إلى خازنِ الله في خَلْقه ... سراج النَّهار وبَدْرِ الظُّلَمْ
رحلنا غَرابيبَ زفّافةً ... بدِجْلةَ في مَوْجها المُلْتَطِمْ[5]
إذا ما قصدْنا لقاطُولِها ... ودُهْمُ قَراقِيرِها تَصْطَدِمْ[6]
سكناً إلى خير مسكونةٍ ... تيمَّمها راغبٌ من أَمَمْ[7]

---

1 ل : وكأنّه .
2 شعره : 96–98 وانظر معجم الأدباء (عباس) 3 : 1068–1069 .
3 السدم : الندم والحزن .
4 شعره : «سوى الدمع يغسل طرفاً قد كلم» وكذا في معجم الأُدباء .
5 الغرابيب : نوع من القوارب السوداء . زفافة : مسرعة .
6 القراقير : السفن الطويلة .
7 من أمم : من قرب . وفي معجم الأُدباء «يتممها راغب أو ملمّ» .

مباركـــةٌ شاد بنيانَهـــا بخير المواطـــنِ خيرُ الأُمَمْ
كأنّ بهــا نَشْرَ كافـــورةٍ لبَرْد نَداهــا وطِيـــبِ النَّسَمْ
كظهر الأديم إذا مـا السحا بُ صاب على مَتْنِها وانسَجَمْ
مُبَرَّأة مـــن وُحُـول الشتـاء إذا مـا طَمى وحلُـه وارتَكَمْ
فمـا إنْ يـزال بهـا راجـلٌ يمـرّ الهُوَيْنـى ولا يلتطِـمْ
ويَمشي عـلى رِسْلـه آمنـاً سليـمَ الشِّراك نقـيَّ القدمْ
ولِلنُّـــون والضَّبّ في بطنها مراتــعُ مسكونـــةٌ والنَّعَـمْ[1]
غـدوتُ على الوَحْش مغترّةً رواتــعَ في نَوْرهـــا المنتظمْ
ورُحــتُ عليهـا وأسرابُهـا تَحُــوم بأكنافهـا تَبْتَسِمْ

ثم قال يمدح الواثق :

يَضيق الفضاءُ بـــه إن غدا بطَوْدَيْ أعاريبـــه والعجمْ
تـــرى النصرَ يقـدُم راياتِـه إذا مـا خفقْن أمـام العلمْ
وفي الله دوخ أعـــــداءه وجـرّد فيهـم سيوفَ النِّقَمْ
وفي الله يكظِم مـــن غيظـه وفي الله يصفَح عمَّن جَرَمْ[2]
رأى شِيَمَ الجـودِ محمودةً ومـا شِيَمُ الجود إلاّ قِسَمْ
فـراح على «نَعَمٍ» واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعـمْ

قـال : فأمـر لـه الواثـق بثلاثين ألف درهم ، واتّصلت أيّامُه بعد ذلك ، ولم يزل من نُدَمائـه .

[أرتج عليه عند الواثق ثم قال]

حدَّثني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابق قال : قال الواثق لحسين بن الضّحّاك : قُل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أهَبَ لك شيئاً مليحاً ؛ فقال : في أيّ معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : امْدُدْ طَرْفك وقُل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه . فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق في نُور الصبح ؛ فأُرْتِج عَليّ ساعةً حتى خجِلْتُ وضِقْتُ ذَرْعاً . فقال لي الواثقُ : ما لك وَيْحَك ! ألستَ ترى نُورَ صَباح ، ونَوْر

1 النون والضب : كناية عن حاصلات البحر والبرّ .
2 معجم الأدباء : عمن ظلم .

أَقاح ! فانفتح القولُ فقلت[1] : [من المتقارب]

ألستَ ترى الصبحَ قد أَسْفرا ومُبْتكِرَ الغيث قد أَمْطرا
وأسفرتِ الأَرضُ عن حُلّة تُضاحِك بالأَحمر الأَصفرا
ووافاكَ نَيْسانُ في ورده وحَثّك في الشُّرْب كي تَسْكَرا
وتُعْمِل كأسين في فِتْيةٍ تُطارِد بالأَصغر الأَكبرا
يَحُثُّ كؤوسَهم مُخْطَفٌ تُجاذِبُ أَردافُه المِئْزَرا
ترجَّل بالبانِ حتى إذا أَدار غدائرَه وفَّرا[2]
وفضَّضَ في الجُلّنارِ البَهارَ والآبنُوسةَ والعَبْهرا
فلمّا تمازَج ما شَذَّرتْ مَقارِيضُ أَطرافِه شذّرا
فكلٌّ يُنافِس في بِرِّه ليفعل في ذاتِه المُنْكَرا

قال : فضحك الواثقُ وقال : سنستعمل كلَّ ما قلتَ يا حُسَين إلاّ الفِسقَ الذي ذكرتَه فلا ولا كرامةَ . ثم أَمر بإحضار الطعام فأَكل وأَكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانَة الشَّطّ فقاموا إليها ، فشرب وطرِب ، وما ترك يومئذٍ أَحداً من الجلساء والمغنّين والحَشَم إلاّ أَمر له بصلة . وكانت من الأَيّام التي سارت أَخبارها وذُكرت في الآفاق .

[شعره في حانة الشط]

قال حسين : فلمّا كان من الغد غدوتُ إليه ؛ فقال : أَنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا الماضي ، فقد كان حسناً ؛ فأَنشدته[3] : [من البسيط]

صوت

يا حانةَ الشَّطِّ قد أَكرَمْتِ مَثْوانا عُودِي بيومٍ سرورٍ كالذي كانا
لا تُفْقِدينا دُعاباتِ الإمام ولا طِيبَ البَطالةِ إسراراً وإعلانا
ولا تَخالُعَنا في غير فاحشةٍ إذا يطرِّبنا الطُّنْبورُ أَحيانا
وهاج زَمْرُ زُنامٍ بين ذاك لنا شَجْواً فأَهْدى لنا رَوْحاً ورَيْحانا[4]

---

1 شعره : 65–66 .
2 ترجل : تمشط . وفّر : أرسل شعره على أُذنيه .
3 شعره : 167 .
4 زنام : اسم زمار حاذق خدم كلاًّ من الرشيد والمعتصم والواثق .

وسَلْسَلَ الرّطلَ عمرٌو ثم عمَّ به السُّقْيَا فألْحَقَ أُولانا بأُخرانا
سَقْياً لشكلِكَ من شكلٍ خُصِصتِ به دون الدَّساكر من لَذّات دنيانا
حَفَّتْ رياضَك جَنّاتٌ مجاوِرةٌ في كلِّ مُخْتَرَقٍ نهراً وبستانا
لا زلتِ آهلةَ الأوطان عامرةً بأكرم الناس أعْراقاً وأغصانا

قال : فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدَّدَة ، واستحسن الصوتَ ، وأمر فَغُنّي في عدّة أبيات منها . غنَّت فَريدة في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات ، ولحنُها هَزَج مطلَقٌ .

[مخاصمته أبا شهاب]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : اجتمعتُ أنا وحسين بن الضّحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول : [من المتقارب]

لقد كنتُ ريحانةً في النَّدِيّ وتُفّاحةً في يد الكاعِبِ

وعمرو بن بانة يُغنّيها . فتذاكرْنا الدَّوابَّ ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما ، فتسابقا فسبقَه أبو شهاب . فقال حسين في ذلك[1] : [من المديد]

كُلُوا واشربوا هُنِّئتُم وتمتَّعوا وعيشوا وذُمّوا الكَودَنين جميعاً
فأُقسم ما كان الذي نال منهما مَدى السبق إذ جَدَّ الجِراءُ سريعا

وهي قصيدة معروفة في شعره . فقال أبو شهاب يجيبه : [من المديد]

أيا شاعر الخُصْيانِ حاولتَ خُطَّةً سُبِقْتَ إليها وانكفأتَ سريعا
تُحاول سبقي بالقَريض سَفاهةً لقد رمتَ ، جهلاً ، من حِمايَ مَنيعا

وهي أيضاً قصيدة . فكان ذلك سبَب التباعد بينهما . وكنّا إذا أردنا العبثَ بحسين نقول له : أيا شاعر الخُصْيان ، فيُجَنّ ويشتُمنا .

[يفسد بين أحد جند الشام وعشيقته]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كان يألفني إنسانٌ من جُنْد الشام عجيب الخِلْقة والزّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظّي التعجّبَ به ، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشْكَلَ من معانيها ، ويسألني أن أُجيبَ عنها ؛

1 شعره : 77 وفيه أيضاً بيتا أبي شهاب عن الأغاني .

فأُجْهَد نفسي في الجوابات وأُصرفُ عنايتي إليها على علمي بأنّ الشاميَّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلمّا طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ إلى إفساد حاله عندها . فسألتُه عن اسمها فقال : «بَصبَّص» . فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به[1] : [من السريع]

أرْقَصني حبُّـك يـا بَصْبَصُ والحـبُّ يـا سيِّدتي يُرْقِصُ
أرْمَصْتِ أجفاني بطول البكـا فمـا لأجفانـك لا تَرْمَصُ[2]
وابأبـي وجهُـك ذاك الذي كأنّـه مـن حسنه عُصْعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي : يا أبا عليّ ، جعلني الله فداءك ، ما كان ذنبي إليك وما أردتَ بما صنعتَ بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلاّ أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثتْ إليّ : إنّي مشتاقة إليك ، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية ، فتعالَ إلى الرَّوْشن[3] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أراك ؛ فتزيّنتُ بأحسن ما قدَرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إليَّ إذا شيءٍ قد صُبَّ عليّ فملأني من قَرْني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسَرْجي وصيّرني وجميعَ ما عليّ ودابّتي في نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر ، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[4] ، فانصرفتُ بخِزي . وكان ما مرَّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[5] والصّياح بي أغلظَ ممّا مرَّ بي ؛ ولحقني من أهلي ومَنْ في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجعُ . وأعظَمُ من ذلك أنّ رُسُلَها انقطعتْ عنّي جملةً . قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إنّ الآفةَ أنّها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأُسِرُّ الشَّماتةَ به .

[يفضّل الذهاب إلى ابن بسخنر على الحسن بن رجاء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضّحّاك قال : كتب إليَّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار ، فقال : [من الوافر]

هَزَزْتك للصَّبوح وقـد نهاني أميرُ المؤمنـين عـن الصّيـامِ

1 شعره : 69 .
2 أرمص العين : جعل فيها قذى أبيض .
3 الروشن : النافذة .
4 السرجين : الزبل .
5 الطنز : السخرية .

وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ تَطِيب بهنّ عاتقةُ المُدامِ
ومن أمثالهنّ إذا انتشينا تَرانا نجتني ثمرَ الغرامِ
فكُن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من حذف الكلامِ

قال : فوردت عليَّ رقعتُه وقد سبقه إليَّ محمَّد بن الحارث بن بُسْخُنّر ووجَّه إليَّ بغلام نظيف الوجه كان يَتحظّاه ، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكْتب المناشير ، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول[1] : [من مجزوء الرمل]

سِرْ على اسم الله يا أشـ ـكلَ من غصن لُجَينِ
في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسينِ
فاشْخِصِ الكهلَ إلى مو لاك يا قُرّةَ عيني
أرِه العُنْفَ إذا استعـ ـصى وطالِبْه بدَيْنِ
ودَعِ اللفظَ وخاطِبْـ ـه بغمز الحاجبَيْنِ
واحْذَرِ الرَّجعة من وجـ ـهك في خُفَّيْ حُنَيْنِ

قال : فمضيت معهم ، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجاء جواب رقعته[2] : [من الوافر]

دعوتَ إلى مماحكة الصّيامِ وإعمالِ المَلاهي والمُدامِ
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي إليكَ ينوب عن طول الكلامِ
وما شوْقي إليك بدون شوقي إلى ثَمر التّصابي والغرامِ
ولكن حلَّ في نفر عَسُوفٌ بمنشورٍ محلَّ المستهامِ
حسينٍ ، فاستباحَ له حريماً بطَرْف باعثٍ سبَب الحِمامِ
وأظهر نخوةً وسَطاً وأبْدى فَظاظتَه بتركٍ للسلامِ
وأزعجني بألفاظ غِلاظٍ وقد أعطيتُه طَرَفَيْ زِمامي
ولو خالفتُه لم يَخْشَ قتلي وقنّعني سريعاً بالحُسامِ

[لاعب الواثق بالنّرد وغازل خاقان خادمه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني أبي قال : كان الواثق يلاعب حسين بن الضّحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه ،

1 انظر شعره : 102-103 .
2 شعره : 103 .

وكان الواثق يتحظّاه ، فجعل يلعبُ وينظر إليه . ثم قال للحسين بن الضّحّاك : إن قلتَ الساعةَ شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرَح به . فقال الحسين[1] : [من الطويل]

صوت

أحبُّـك حبّـاً شابه بنصيحةٍ أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقُ
وأُقسم مـا بيني وبينك قُرْبةٌ ولكـنّ قلبـي بالحسان عَلُوقُ

فضحك الواثق وقال : أصبتَ ما في نفسي وأحسنت . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأمر لحسين بألفَي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى .

[فضل نفسه على أبي نواس]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن خَلاّد قال : أنشدني حسين بن الضّحّاك لنفسه[2] : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نفحـات الورد بالآء ومن صَبُوحك دَرَّ الإبلِ والشاء[3]

حتى أتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أحد من المُحْدَثين مثلَها . فقلت : أنت تحوم حول أبي نُواس في قوله : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراءُ وداوِني بالتـي كانت هي الدّاءُ[4]

وهي أشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : ألي تقول هذا ! عليَّ وعليَّ إن لم أكن نِكتُ أبا نواسٍ ! فقلت له : دعِ ذا عنك ، فإنّه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب ، لو نِكتَ أبا نواس وأمَّه وأباه لم تكن أشعَر منه . وأُحِبّ أن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك : [من البسيط]

فُضّت خَواتِمُها في نعـت واصفها عن مثل رَقْراقـةٍ في عين مَرْهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها : [من البسيط]

دارتْ على فِتْيةٍ ذَلّ الزمـانُ لهم فمـا أصابهـمُ إلاّ بمـا شاءوا

1 شعره : 83 .
2 انظر القصيدة في شعره : 19–23 وفيه تخريج لها .
3 الآء : نبات .
4 القصيدة في ديوانه .

صفراءُ لا تَنْزِل الأحزانُ ساحتَها ... لــو مَسَّها حَجَــرٌ مسَّتــه سَرَّاءُ
فأُرسِلتْ من فــم الإبريق صافيةً ... كأنّمــا أخذُهــا بالعقــل إغفاءُ

والله ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه ؛ فقام وهو مغضَب كالمُقِرّ بقولي .

[ابن مناذر يحكم له على أبي نواس]

حدَّثني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدَّثني أحمد بن المعتصم قال : حجَّ أبو نواس وحسين بن الضّحّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيدتيهما : قولَ أبي نواس : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللّومَ إغراءُ ... وداوِنــي بالتي كانت هــي الدَّاءُ

وقصيدةَ حسين : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآءِ

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته ؛ فقال أبو نواس : هذا ابن مُناذر حاضرٌ الموسمَ وهو بيني وبينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن مناذر : ما أحسب أنّ أحداً يجيء بمثل هذه وهَمَّ بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لا تَعْجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛ فأنشده قوله : [من البسيط]

بُدِّلتَ مــن نَفَحات الورد بالآءِ ... ومــن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاءِ

حتى انتهى إلى قوله :

فُضَّتْ خواتمُها في نعت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ في عــين مَرْهاءِ

فقال له ابن مناذر : حَسْبُك ، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً ، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأنت أشعر وقصيدتُك أفضلُ . فحكم له وقام أبو نواس منكسِراً .

[كثير بن إسماعيل يسترضي المعتصم بشعره]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد قال حدَّثني كثير بن إسماعيل التّحتكار قال : لمّا قدِم المعتصم بغداد ، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو الواسع وقِنِّينة وحسين بن الضّحّاك وحاتم الرِّيش وأنا ، فأُدخلنا عليه . فلشُؤْمي وشقائي كتبت بين عينيّ : «سيِّدي هَبْ لي شيئاً» . فلمّا رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال حمدون بن إسماعيل : يا سيّدي تطايَبَ بأن كتب على جبينه : «سيِّدي هب لي شيئاً» ! . فلم يَسْتطِبْ لي ذلك ولا استملحه ، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدْعُ بي . ففزِعتُ إلى حسين بن

الضّحّاك ؛ فقال لي : إنّي لم أَحْلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أَشفع إليه فيك ، ولكنّي أَقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإنّ ذلك أَبلغ . فقلتُ : أَفْعَلُ . فقال حسين[1] : [من الرمل]

قُلْ لدنيا أُصبحتْ تلعب بي سلّط الله عليك الآخرهْ

إن أَكن أَبردَ من قِنّينةٍ ومنْ الرِّيش فأُمّي فاجرهْ

قال : فأَخذتهما وعرَّفتُ حمدون أَنّهما لي وسأَلته إيصالَهما ففعل ؛ فضحك المعتصم وأَمر لي بأَلفيْ دينار واستحضرني وأَلحقني بأَصحابي .

[ابن بسخنر والصبوح]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال قال لي أَحمد بن حمدون : كان محمَّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر لا يرى الصَّبُوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً ، ويحتجّ بأَن من خدم الخلفاء كان اصطباحُه استخفافاً بالخدمة ، لأَنّه لا يأمن أَن يُدعى على غفلة والغبوقُ يُؤمِّنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبُّ الصبوح ؛ فكان يُلقِّب ابنَ بُسْخُنَّر الغَبُوقيَّ . فإذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنِّين منعه الصَّبُوح وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظاً عليه ؛ فيَضِجُّ من ذلك ويَسأَل أَن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين بنِ الضّحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرَّاط وكان من المضحكين[2] : [من المتقارب]

حُبّ أَبي جعفر للغَبُوق كقُبْحِك يا حاتِمٌ مُقْبِلا

فلا ذاك يُعْذَر في فعله وحقُّك في الناس أَن تُقتلا

وأَشبه شيء بما اختاره ضُراطُك دونَ الخَلا في المَلا

[يستعطف أبا أحمد بن الرشيد]

حدَّثني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا محمَّد بن عليّ بن حمزة قال : مزَح أَبو أَحمد بن الرشيد مع حسين بن الضّحّاك مُزاحاً أَغضبه ، فجاوبَه حسين جواباً غضِب منه أَبو أَحمد أَيضاً . فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف ؛ فأَظهر له قبولاً لعذره . ورأَى ثِقَلاً في طَرْفه وانقباضاً عمّا كان يعهده منه ؛ فقال في ذلك[3] : [من الكامل]

---

1 شعره : 68 .

2 شعره : 94 عن الأَغاني .

3 شعره : 57 .

لا تَعْجَبَنَّ لِمَلّةٍ صرَفتْ وجهَ الأمير فإنّه بشرُ
وإذا نبا بك في سَريرته عَقْدُ الضمير نبا بك البصرُ

[صحبته للأمين وإكرامه له]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو محمَّد بن النشار قال : كان أَبي صديقاً للحسين بن الضّحّاك وكان يعاشره ؛ فحمَلني معه يوماً إليه ، وجعل أَبي يحادثه إلى أَن قال له : يا أَبا عليّ ، قد تأخّرتْ أَرزاقُك ، وانقطعت موادّك ونفقتُك كثيرة ، فكيف يمشي أَمرك ؟ فقال له : بلى والله يا أَخي ، ما قِوامُ أَمري إلاّ ببقايا هِباتِ الأَمين محمَّد بن زُبَيدة وذخائرِه وهِباتِ جاريةٍ له ، لم يُسمِّها ، أَغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمُّد ؛ وذلك أَنّ الأَمين دعاني يوماً فقال لي : يا حسين ، إنّ جليسَ الرجل عشيرُه وثقتُه وموضعُ سرّه وأَمْنِه ، وإنّ جاريتي فلانةَ أَحسنُ الناس وجهاً وغناء ، وهيِ منّي بمحل نفسي ، وقد كدّرتْ عليّ صفوَها ونغّصت عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنيها عليَّ وإدلالِها بما تعلم من حبِّي إيّاها . وإنِّي مُحْضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها . فإذا غنَّتْ وأَومأَتُ لك إليها ، على أَنّ أَمرها أَبينُ من أَن يخفى عليك ، فلا تَسْتحسِنِ الغناءَ ولا تشرب عليه ؛ وإذا غنّت الأُخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك ، وعليّ مكانَ كلّ ثوب مائةُ ثوب . فقلت : السمعُ والطاعة . فجلس في حُجْرة الخَلْوة وأَحضرني وسقاني وخلع عليّ ، وغنّت المحسنةُ وقد أَخذ الشرابُ منّي ، فما تمالكتُ أَن استحسنتُ وطرِبتُ وشربتُ ، فأَومأَ إليّ وقطَّب في وجهي . ثم غنَّتِ الأُخرى فجعلتُ أَتكلّف ما أَقوله وأَفعله . ثم غنَّتِ المحسنةُ ثانيةً فأَتت بما لم أَسمع مثلَه قطّ حُسْناً ، فما ملكتُ نفسي أَن صِحتُ وشربت وطرِبت ، وهو ينظر إليّ ويَعَضُّ شفتَيْه غيظاً ، وقد زال عقلي فما أُفكّر فيه ، حتى فعلتُ ذلك مراراً ؛ وكلّما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره ؛ فغضِب فأَمضّني وأَمر بجرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ ، فأَمر بأَن أُحْجَب . وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسأَلونني عن قصّتي فأَقول لهم : حمل عليّ النبيذُ فأَسأتُ أَدبي ، فقوَّمني أَمير المؤمنين بصَرْفي وعاقبَني بمنعي من الوصول إليه . ومضى لِما أَنا فيه شهرٌ ، ثم جاءتني البِشارةُ أَنّه قد رضي عنّي ، وأَمر بإحضاري فحضَرتُ وأَنا خائف . فلمّا وصلتُ أَعطاني الأَمين يدَه فقبّلتُها ، وضحك إليّ وقام وقال : اتبعني ، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري . وغنَّتِ المحسنةُ التي نالني من أَجلها ما نالني فسكتُّ فقال لي : قُلْ ما شئتَ ولا تَخَفْ ؛ فشربتُ واستحسنتُ . ثم قال لي : يا حسين ، لقد خار اللهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما تحبّ فيه . إنّ هذه الجاريةَ عادت إلى الحال التي أُريد منها ورضيتُ كلَّ أَفعالها ؛ فأَذكرتْني بك وسأَلتني الرّضا عنك والاختصاص لك ؛ وقد فعلتُ

ووصلتُك بعشرة آلاف دينـار ، ووصلَتْك هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقِدَ ذلك عليك فتسألني ألاّ تَصِلَ إليّ لأَجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه ، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصِلاتُها وأَلطافُها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأَمين ؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلاّ سأَلته أن يصلَني . فكلُّ شيء أَنفقتُه بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخَرتُ من صِلاتها . قال ابن النشّار : فقال له أَبي : ما سمعتُ بأَحسن من هذا الحديث ولا أَعجب ممّا وفّقه الله لك فيه .

[هنّأ الأَمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أَبي قال : دخل حسين بن الضّحّاك على محمّد الأَمين بعَقِبِ وقعةٍ أَوقعها أَهلُ بغداد بأَصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم ؛ فهنّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد ، فأَذِن له فأَنشده[1] : [من الهزج]

أَمينَ اللهِ ثِقْ باللـ ـهِ تُعْطَ العزَّ والنُّصْرَهْ
كِلِ الأَمرَ إلى اللهِ كَلاكَ اللهُ ذو القُدْرَهْ
لنا النصرُ بإذنِ اللـ ـهِ والكَرَّةُ لا الفرّهْ
وللمُرّاق أَعدائـ ـك يومُ السَّوْءِ والدَّبْرَهْ[2]
وكأسٌ تُورِدُ الموت كريهٌ طعمُها مُرّهْ
سَقَوْنا وسَقيناهم فكانت بهمُ الحَرّهْ[3]
كذاك الحربُ أَحياناً علينا ولنا مَرّهْ

فأَمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يزل يتبسّم وهو يُنشِده .

[عابثه الأَمين وركب ظهره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى أَبو الحمار قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك : شربنا يوماً مع الأَمين في بستانٍ ، فسقانا على الرِّيق ، وجدّ بنا في الشرب ، وتحرَّزَ من أَن نذوقَ شيئاً . فاشتدّ الأَمرُ عليّ ، وقمتُ لأبول ، فأَعطيتُ خادماً من الخدم أَلفَ درهم على أَن يجعلَ لي تحت شجرةٍ أَومأتُ إليها رُقاقةً فيها لحمٌ ، فأَخذ الأَلف وفعل ذلك . ووثب محمَّد فقال : من

1 شعره : 66–67 .

2 الدبرة : الهزيمة .

3 الحرة : العذاب الموجع . وبكسر الحاء : العطش .

يكون منكم حِماري ؟ فكلٌّ واحد منهم قال له : أنا ، لأنّه كان يركب الواحدَ منّا عَبَثاً ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أضْلَعُ[1] القوم . فركِبني وجعل يطوف وأنا أعْدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها ، فرأى الرُّقاقةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلْني كعادتي ، ما أنا إلاّ كما قال الشاعر : [من البسيط]

ومُطْعِمِ الصيدِ يومَ الصيد مَطْعَمَه أنّى توجّـه والمحرومُ محرومُ

[يستوهب جارية لأمّ جعفر]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمَّد بن يزيد النحويّ المبرِّد قال : كان حسين بن الضّحّاك الأشقر ، وهو الخليع ، يهوى جاريةً لأمّ جعفر ، وكانت من أجمل الجواري ، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْرَبان ، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنْشِدنا منه شيئاً ؛ فيُخرج إليها الصحيفةَ ، فتقول له : اقرأ معي ، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ . فشكا ذلك إلى عاصم الغَسّانيّ الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مَكِيناً عند أمّ جعفر ، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها ، فأبتْ عليه أمّ جعفر ؛ فوجَّه إلى الخليع بألف دينار وقال : خُذْ هذا الألفَ ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلَّه فيها فلم تُمكنِّي حيلة . فقال الحسين في ذلك[2] : [من الطويل]

رمَتْك غَداةَ السبت شمسٌ من الخُلْدِ بسهم الهوى عَمْداً وموتُك في العَمْدِ[3]
مـؤزَّرةُ السِّربـالِ مهضومةُ الحَشا غُلامِيّـةُ التقطيـع شاطـرة القَدّ[4]
مُحَنّـأة الأطـراف رُؤْدٌ شَبابُها مُعَقْرَبـةُ الصُّدْغيـن كاذبـة الوعدِ
أقـولُ ونفسي بـين شَوْقٍ وزَفْـرةٍ وقد شخَصتْ عيني ودمعي على الخدِّ
أجيزي على مَـن قـد تركتِ فؤادَه بلحظتـه بـين التـأسُّف والجهدِ
فقالت عـذابٌ بالهـوى مع قربكم وموتٌ إذا أقرحـتُ قلبـكَ بالبعدِ
لقـد فَطِنَـت للجوْر فطنـةَ عاصمٍ لصُنْع الأيادي الغُـرّ في طلب الحمدِ

1 أضلع القوم : أشدّهم .
2 شعره : 44 .
3 الخلد : قصر للمنصور على دجلة .
4 الشاطر : هو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً .

سأشكوك في الأشعـــار غيرَ مُقَصِّرٍ إلى عاصمٍ ذي المَكْرُمات وذي المجدِ
لعـلّ فتـــى غَسّان يَجمـع بيننـا فيأمـنَ قلبـي منكُـم رَوْعـة الصَّدِّ

[يستقطع المعتصم داراً]

حدَّثني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني هارون بن مُخارِق قال : أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها ، ولم يُقْطِع الحسين بن الضّحّاك شيئاً . فدخل عليه فأنشده قوله[1] : [من الرمل]

يـا أمـينَ الله لا خِطَّـةَ لي ولقـد أفردتَ صَحْبي بخِطَطْ
أنا في دَهْيـاءَ مـن مُظْلِمـةٍ تحمِـل الشيخَ على كلّ غلَطْ
صعبــةِ المَسْلَك يرتاع لهـا كلُّ من أُصْعَد فيهـا وهَبطْ
بَوِّئنـــي منـك كما بوَّأتَـهم عَرْصةً تبسُط طَرْفِي ما انبسطْ
أبتنـي فيهـا لنفسي موطِناً ولعَقْبِـي فَرَطـاً بعـد فَرَطْ
لم يـزَل منكَ قريباً مسكني فأعِدْ لي عـادةَ القربِ فقطْ
كلُّ مَـن قرّبتَـه مُغْتَبِـطٌ ولمن أبعـدتَ خِـزْيٌ وسَخَطْ

قال : فأقطعهُ داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها .

[أجاز شعراً لأبي العتاهية]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال أخبرني عمِّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال : كنتُ أمشي مع أبي العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شَجٍ على ابنٍ لها . فقال أبو العتاهية[2] : [من الوافر]

أمـا تنفَـكّ باكيـةً بعـين غَزِيـرٌ دمعُهـا كَمِـدٌ حشاها

أجزْ يا حسين ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تُنـادي حفـرةً أعْيَتْ جواباً فقد وَلِهَتْ وصَمَّ بها صَداها[4]

[نصحه أبو العتاهية بألاّ يرثي الأمين]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال حدَّثني الحسين بن الضّحّاك قال :

1 شعره : 71 عن الأغاني .
2 ديوان أبو العتاهية : 67 عن الأغاني .
3 شعره : 124 .
4 صم الصدى : كناية عن الهلاك .

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كلّه وأشفي لوعتي . فلقيني أبو العتاهية فقال لي : يا حسين ، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ ، وقد علمتُ مكانك من الأمين ، وإنّه لحقيقٌ بأن ترثيه ، إلاّ أنّك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ؛ فأبْقِ على نفسك ؛ يا وَيْحَك ؛ أتجسُر على أن تقول[1] : [من الكامل]

تركــوا حريــمَ أبيهمُ نَفَــلاً والمُحْصَنــاتُ صــوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعــدَك أن يدومَ لهــم عــزٌّ وأن يبقى لهــم شَرَفُ

أكْفُفْ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرَط منك . فعلِمتُ أنّه قد نَصحني فجزيتُه الخيرَ ، وقطعتُ القولَ فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو .

[شعره في فتى جميل أعرض عنه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أبو العَيْناء قال : وقف علينا حسين بن الضّحّاك ومعنا فتىً جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه ، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعْرِضٌ عنه حتى طال ذلك ؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال[2] : [من الطويل]

تَتِيــه علينا أن رُزِقْتَ ملاحةً فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بدرُ
لقد طالما كنّا مِلاحــاً وربّما صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرنا الدَّهرُ

وقام فانصرف .

[عربدته في مجلس الأمين]

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفيّ[3] قال حدَّثني ابن عَجْلان قال : غنَّى بعضُ المغنِّين في مجلس محمَّدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضّحّاك ، وهو : [من المتقارب]

صوت

ألستَ تَرى دِيمــةً تَهْطِلُ وهــذا صباحُك مُسْتقبَلُ
وهذي العُقار وقــد راعنا بطلعتــه الشادنُ الأكحــلُ

1 البيتان من قصيدة طويلة في رثاء الأمين . انظر مجموع شعره : 78–80 وفيه ثبت بمصادر القصيدة . وفي البيت الثاني : «لنا» بدلاً من «لهم» .
2 شعره : 53 وينسب البيتان أيضاً لأبي نواس .
3 لعلّ المقصود الحسين بن القاسم الكوكبيّ الذي يروي عنه أبو الفرج كثيراً .

فعـــادَ بـــه وبنـــا سكرةٌ تُهـوِّن مكروهَ مـــا نسألُ
فإنِّـــي رأيـــتُ لـــه نظرةً تخبِّرنـــا أنّـــه يفعـــلُ

قال : فأمر بإحضار حسين فأُحْضِر ، وقد كان محمَّد شرِب أرطالاً . فلمّا مَثل بين يديه أمر فسُقي ثلاثةَ أرطالٍ ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقَذَف ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل . فلمّا أفاق كتَب إليه[1] : [من المتقارب]

إذا كنـــتُ في عُصْبـــةٍ مـــن المَعْشرِ الأَخْيَـبِ
ولم يَـــكُ لي مُسْعِـــدٌ نديـــمٌ سوى جُعْـدُبِ
فأَشْرَبُ مـــن رَمْلَـــةٍ وأَسهـــرُ مـــن قُطْرُبِ[2]
ولّمـــا حبـــاني الزمـــا ن من حيث لم أَحسبِ
ونادمـــتُ بـــدرَ السما ءِ في فَلَـــكِ الكوكبِ
أبـــتْ لي غُضُوضيَّتي ولـــؤمٌ مـــن المَنْصِبِ[3]
فأسكـــرني مسرعـــاً قـــويٌّ مـــن المَشْرَبِ
كذا النـــذلُ يَنْبو بـــه منادمـــةُ المُنْجِـــبِ

قال : فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلَته .

[شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر عن خالد بن حَمْدون : أنّ الحسين بن الضحّاك أنشده ، وقد عاتبه خادم من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشَّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة ؛ فقال حسين فيه[4] : [من المنسرح]

صوت

فَدّيـــتُ مَن قـــال لي على خَفَرِهْ وغَضَّ جفنـــاً لـــه عـــلى حَوَرِهْ
سَمَّـــع بـــي شعرُكَ المليـــح فمـــا ينفـــكّ شادٍ بـــه عـــلى وَتَـــرِهْ

---

1 شعره : 30 عن الأغاني .

2 المثل : أشرب من عقد الرمل : الميداني 1 : 391 والزمخشري 1 : 195 والعسكري 1 : 538 . المثل : أسهر من قطرب : الميداني 1 : 355 والزمخشريّ 1 : 175 والعسكريّ 1 : 509 . وقُطربُ : طائر يجول الليل كلّه لا ينام .

3 الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته والمقصود هنا طيش الشباب .

4 شعره : 63 عن الأغاني .

فقلتُ يـا مستعيرَ سالفـةِ الـ ـخِشفِ وحسنِ الفتور من نَظَرهْ
لا تُنْكـرنّ الحنـينَ مـن طَرِبٍ عـاود فيـك الصِّبـا على كِبَرِهْ

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

[شعره على قبر أبي نواس]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت عن عمرو بن بانة قال : لمّا مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره[1] : [من المنسرح]

كابَرَنيكَ الزمـانُ يـا حسنُ فخـاب سَهْمي وأفلَح الزمنُ
ليتك إذ لم تكن بقيـتَ لنـا لم تَبْقَ روحٌ يَحُوطُها بدنُ

[هجا جراحاً مخنّثاً اسمه نصير]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : كان في جوار الحسين بن الضّحّاك طبيب يُداوي الجِراحات يقال له نُصَير ، وكان مُخنَّثاً ؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المخنَّثين ، وإذا لم تكن عالج الجِراحاتِ . فقال فيه الحسين بن الضّحّاك[2] : [من السريع]

نُصَيرُ ليس المُـرْدُ مـن شأنه نصيـرُ طَـبٌّ بـالنَّكارِيش[3]
يقـول للنِّكْرِيش في خَلوة مقـالَ ذي لُطْف وتَجْمِيش
هـل لك أن نلعبَ في فرشنا تقلُّـبَ الطيـرِ المَـراعِيش[4]

يعني المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : «يا نصير نلعب تقلُّبَ الطير المراعيش» فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة .

[عبث ابن مناذر بشعر له]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : أُنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها :

لفَقْـدِك ريحانـةَ العسكر

وكانت من أوّل ما قلته من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقّاه برجله وجعل

1 شعره : 109 عن الأغاني .
2 شعره : 68–69 عن الأغاني .
3 النكاريش : جمع نكريش وهو الملتحي .
4 المراعيش : نوع من الحمام .

يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا ؛ فقلنا : فإنّما فعله طَنْزاً بك ؛ فشتَمه وشتمنا . وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه .

[اجتماع اللؤم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : مررتُ بباب حسين بن الضّحّاك ، وإذا أبو يزيد السَّلُوليّ وأبو حَرْزَةَ الغَنَويّ وهما ينتظرانِ المُحاربيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضّحّاك ؛ فقلت لهما : لِمَ لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد : ننتظر اللؤم أن يجتمع ، فليس في الدنيا أعجبُ ممّا اجتمع منّا ، الغَنَويّ والسَّلُوليّ ينتظران المُحارِبيّ ليدخلوا على باهليّ .

[دعوة الفتح بن خاقان للصبوح]

أخبرني محمَّد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجِيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنَس به وهو يومئذٍ غلام ، وكان الفتح ذكيّاً جيِّد[1] الطبع والفِطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج : يا فتح أيّما أحسن : داري أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقّفٍ وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبي إذا كنتَ فيها ؛ فعجِب منه وتبنّاه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكّل عليهما . فاعتلّ الفتح في أيّام الواثق علّةً صعبة ثم أفاق وعُوفي ، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح ، فقال لي : يا حسين ، اكتب بأبيات عنّي إلى الفتح تدعوه إلى الصَّبوح ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من البسيط]

لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني	قـد لاح لي باكراً في ثوب بِذْلَتِهِ
ناديتُ فتحـاً وبَشَّرتُ المدامَ به	لمّـا تخلَّص مـن مكـروه عِلَّتِهِ
ذبُّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ	إذا رآه امـرؤٌ ضِـدّاً لِنِحْلَتِهِ
فاعْجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا	وخالِس الدَّهـر في أوقات غَفْلَتِهِ

فلمّا قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه .

[غزله في غلام عبد الله بن العبّاس بن الربيعي]

أخبرني عمّي[3] قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدَّثنا محمَّد بن محمَّد

---

1 ل : حاد .

2 شعره : 33 .

3 تقدّم هذا الخبر بنصّه في هذه الترجمة .

الأنباريّ قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مُصْطَبِحٌ وخادم له يسقيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم ؛ فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلت : [من المنسرح]

أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي ... وطاب يومي بقــرب أشباهي
فاستَثِر اللهــوَ مــن مكامِنه ... من قبـل يــوم منغِّص ناهي
بابنةِ كَــرْم من كفِّ مُنْتَطِقٍ ... مؤتَــزِر بالُمجــون تيّــاهِ
يَسْقِيك من طَرْفه ومــن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مُجــرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربَهــا ... حيرانُ بين الذّكُور والسَّاهي

قال : فاستحسنه عبد الله وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّةَ يومنا .

[يستنجز وعداً بالسكر قبل رمضان]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادة بن الفَيْض عن أبيه قال : اتّفق حسين بن الضحّاك ويُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان . فقال حسين لِيُسْرٍ : يا سيِّدي ، قد هجم الصوْمُ علينا ، فتفضَّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ؛ فقال له : قد سكرتَ وأخشى أن يبدوَ لك ؛ فحلَف له يسرٌ أنّه يَفِي . فلمّا كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء ، فجحَد الوعدَ وأنكره . فكتب إليه يقول[1] : [من الهزج]

تجاسرتَ عـلى الغــدر ... كعاداتـك في الهجـرِ
فأخلفتَ وما استخلفــ ... ـتَ من إخوانك الزُّهْرِ
لئـن خِسْتَ لَمَا ذلــ ... ـكَ مــن فعلك بالنُّكْرِ
ومــا أقنعنـــي فعلُــ ... ـك يــا مختلِقَ العذرِ
بنفسي أنت إن سُؤْتَ ... فـلا بُـدَّ مــن الصبرِ
وإن جرّعنـــي الغيــظَ ... وإن خَشّن بــالصدرِ
ولــولا فَرَقـي منــك ... لسمَّيتُــك في الشعرِ
وعنّفتُــك لا آلُـــو ... وإن جُزْتُ مدى العُذْرِ
أمَا تخرج مِن إخلاف ... ميعــادك في العَشْرِ

1 شعره : 60-61 عن الأغاني .

غــداً يفطِمنــا الصومُ عــن الــرّاح إلى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحّاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب ؛ فقال : كان أحسنَ جواب وأجملَ فعل ، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه ، وتَمَّمْنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل ، وقلتُ في ذلك[1] : [من الطويل]

سقى اللهُ بطنَ الدَّيْرِ من مستوى السَّفْحِ إلى ملتقــى النَّهريــن فالأَثْلِ فالطَّلْحِ
مَلاعِبُ قُدْنَ القلبَ قَسْراً إلى الهوى ويَسَّرْنَ مــا أَمّلتُ مــن دَرَك النُجْحِ
أتنْسى فــلا أنسى عتابَــك بينهــا حبيبَك حتــى انقاد عفواً إلى الصلحِ
سمحتُ لَمــن أهْــوى بصفو مودَّتــي ولكنّ مــن أهواه صيــغ على الشُّحّ

[يصف أيّامه مع يسر في البصرة والقنص]

قال عليّ بن العبّاس : وأنشدني سَوادةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضّحّاك يصف أيّاماً مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص ومجيء يُسْرٍ إليه ، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً[2] : [من المنسرح]

تَيَسَّري للِّمــام مــن أَمَــمِ ولا تُراعِــي حمامــةَ الحَــرَمِ
قــد غــاب لا آب من يُراقبنا ونــام لا قــام سامــرُ الخَدَمِ
فاستَصْحِبــي مُسْعِــداً يفاوضُنا إذا خَلَوْنـــا في كلِّ مُكْتَتَــمِ
تَبَدَّلي بِذْلــةً تَقَــرُّ بهــا الــ ـعينُ ولا تَخْصَري وتحتشمي
ليــت نجومَ السماء راكــدةٌ عــلى دُجــى ليلِنــا فلم تَرِمِ
مــا لسروري بالشكِّ ممتزجاً حتــى كأنّــي أراه في حُلُمِ
فَرِحْتُ حتى استخفّني فرحي وشُبْتُ عــين اليقــين بالتُهَمِ
أمسحُ عيني مُسْتَثبتاً نظــري أخالُنـــي نائمــاً ولم أَنَمِ
سَقْيــاً لليــلٍ أفنيتُ مدّتَــه ببــارد الرِّيــق طيِّــبِ النَّسَمِ
أبيضَ مُرْتَجَّـــةٍ روادفُـــه مــا عِيب من قَرنه إلى القدمِ
إذ قَصَبــاتُ العَريش تجمعنا حتى تجلَّــت أواخــرُ الظُّلَمِ

---

1 شعره : 35 عن الأغاني .
2 شعره : 104–105 .

وليلـــةٍ بتّهـــــا محسَّدَةٍ محفوفــةٍ بالظنــون والتُّهَــمِ
أَبَــثُّ عَبْراتـــه على غَصَصٍ يَــرُدّ أنفــاسَه إلى الكَظَمِ[1]
سَقْيــاً لقَيْطُونهـــا ومُخْدَعِها كم مِــن لِمام بــه ومن لَمَمِ[2]
لا أَكفُــر السَّيْلَحِيــن أَزْمِنَــةً مطيعــةً بالنَّعيــم والنِّعــمِ[3]
وليلة القُفْص إن سألتَ بهـــا كانت شفاءً لعلّـــة السَّقَــمِ
بــات أُنيسي صريــعَ خمرتِه وتلك إحدى مصارع الكرم
وبتّ عــن مَوْعِدٍ سبقتُ بــه ألثَــمِ دُرّاً مُفَلَّجــاً بفَــمِ
وابأَبي مـــن بدا بروْعةِ «لا» وعاد مــن بعدها إلى «نَعَمِ»
أَباحنـــي نفسَه ووسَّـــدني يُمْنى يديــه وبات مُلْتَزِمي
حتى إذا اهتاجت النوافسُ في سُحْرةٍ أَحْـوى أَحَمّ كالحُمَمِ
وقلتُ هُبَّــا يا صاحبيَّ ونَبَّـ ــهتُ أَبانــاً فهَــبَّ كالزَّلَمِ
فاستنّها كالشّهـــاب ضاحكةً عن بارقٍ في الإنـــاء مُبْتَسِمِ
صفــراءَ زيتيّــةً موشَّحــةً بأُرْجــوانٍ مُلَمَّــع ضَــرِمِ
أَخَـــذتُ ريحانـــةً أَراحُ لهــا دبَّ سروري بها دبيبَ دَمي[4]
فراجعِ العذرَ إن بدا لك في الـ ـعُذر وإن عُــدْتَ لائماً فَلُمِ

[احتجاب يسر]

أَخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدَّثني المُعْتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك وهو على شراب له : ويحكم أُحدّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة ؟ قلنا : هات . قال : بلغ مولاه أنّه جَرى له مع أُخيه سببٌ ، فحجَبه كما تُحْجَب النساء ، وأَمر بالحَجْر عليه ، وأَمره ألاّ يخرجَ عن داره إلاّ ومعه حافظٌ له موكّل بـه . فقلتُ في ذلك[5] : [من مجزوء الرمل]

1 الكظم : مخرج النفس من الحلق .
2 القيطون : البيت أو المخدع .
3 السيلحين : موضع قرب الحيرة .
4 دب سروري في ل : دب فنومي .
5 شعره : 122 .

ظنّ مَـن لا كان ظنّاً بحبيبـــي فحَمَـــاهُ
أرْصَد البـابَ رقِيبيـــ ـــن لــه فــاكتَنَفاهُ
فإذا مـا اشتاق قربي ولقائـــي مَنَعـــاهُ
جعـــل الله رقيبيـــ ـــه مـن السوء فِداهْ
والذي أقرح في الشا دن قلبـــي ولَـــواهْ
كلُّ مشتـاق إليـــه فمـــن السوء فِـــداهْ
سِيَّما من حالت الأحـ ـــراسُ من دون مُناهْ

[سأل أبا نواس إصلاح أمره مع يسر]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثنا أحمد بن العبّاس الكاتب قـال حدَّثني عبد الله بن زكريّا الضَّرير قال : قال أبو نواس : قال لي حسين بن الضّحّاك يوماً : يا أبا عليّ ، أما ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ ؟ فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالٌ أردتُها منه فمنَعنِيها فغضِبتُ ؛ فأسألك أن تُصلِحَ بيني وبينه . فقلت : وما تحبّ أن أبْلِغه عنك ؟ قال : تقول له[1] : [من السريع]

بحُرْمــة السُّكْرِ ومــا كانا عزَمْتَ أن تقتل إنسانا !
أخاف أن تهجُرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
إنّ بقلبــي روعــةً كلّمــا أضمر لي قلبُــك هِجرانا
يــا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ فإنّــــه يصــدُق أحيــانا

قال : فقلت له : وَيْحَك ! أتجتنبه وتريد أن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أنا أعْرَف به ، وهو كثير التبذّل ، فأبْلِغه ما سألتُك ؛ فأبلغتُه فرضي عنه وأصلحتُ بينهما .

[زائرة على غفلة]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : جاءَني يوماً حسين بن الضّحّاك ، فقلت له : أيّ شيء كان خبرُك أمسِ ؟ فقال لي : اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن ؛ فقلت : هات يا سيّدي ؛ فقال[2] : [من السريع]

زائـــرةٌ زارت عـــلى غفلــةٍ يــا حبّــذا الزَّوْرةُ والزائرهْ
فلـــم أزَلْ أخدَعُهـــا ليلتي خديعــــةَ السَّاحــرِ للسَّاحِرهْ

1 شعره : 116 عن الأغاني .
2 شعره : 67 .

حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرِّضا وأنعَمَتْ دارتْ بها الدائرهْ
بتُّ إلى الصُّبح بها ساهراً وباتت الجوزاءُ بي ساهرهْ
أفعل ما شئتُ بها ليلتي وملءُ عيني نعمةٌ ظاهرهْ
فلم ننم إلاّ على تسعة من غُلْمة بي وبها ثائرهْ
سَقْياً لها لا لأخي شِعْرة شِعْرتُه كالشّعرة الوافِرهْ
وبين رجليه له حَرْبةٌ مشهورةٌ في حَقْوه شاهرهْ
وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ تُلحقه بالكَرَّة الخاسرهْ

قال: فقلت له: زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً. فقال: قُل أنت ما شئتَ.

[أغرى الواثق بالصبوح]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أبو العَيْناء قال: دخل حسين بن الضّحّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب، فحثّه على الصَّبُوح فلم ينشَط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده[1]: [من المنسرح]

إسْتثِرِ اللهوَ من مكامنه من قبل يومٍ منغّصٍ ناهي
بابنة كرْم من كفّ مُنْتطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بالمُجون تيّاهِ
يَسقيك من لحظه ومن يده سقيَ لطيفٍ مجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها حيرانُ بين الذّكور والسّاهي

قال: فنشِط الواثق وقال: إنّ فرصةَ العيش لحقيقةٌ أن تُنْتهز؛ واصطبح ووصَل الحسين.

[ضيعة الاثنين]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبو الشِّبْل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُميّ قال: حجّ الحسين بن الضّحّاك، فمرَّ في مُنْصَرفه على موضع يعرف بالقَرْيَتيْن، فإذا جارية تَطَّلع في ثيابها وتنظُر في حرِها ثم تضربه بيدها وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول[2]: [من المنسرح]

مررتُ بالقريتين مُنصرِفاً من حيث يقضي ذوو النُّهَى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأنّها قمرٌ للتَّمّ لمّا توسَّط الفَلَكا

---

1 تقدّمت هذه الأبيات في خبر مختلف مع الواثق مرّتين.

2 شعره: 91 عن الأغاني.

واضعــةٌ كفَّهــا عــلى حِرِهــا تقــول يــا ضَيْعتــي وضَيْعَتكا

قال : فلمّا سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطّتْ وجهَها وقالتْ : وافضيحتاه ! أَوَقد سمعتَ ما قلتُ ؟ .

[في شفيع خادم المتوكّل]

حدَّثني محمَّد الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان الحسين بن الضّحّاك صديقاً لأبي ، وكنت أَلقاه معه كثيراً ، وكانت نفسه قد تتبّعتْ شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكّل ؛ فأَنشَدنا لنفسه فيه[1] : [من الطويل]

وأَبيض في حُمْــر الثيــاب كأنّه إذا مــا بــدا نِسْرينَةٌ في شقائقِ

سقاني بكفَّيْــه رحيقــاً وسامَني فسُوقاً بعينيــه ولستُ بِفاسقِ

وأُقسم لولا خشيةُ الله وحــدَه ومــن لا أُسمِّي كنتُ أَوّلَ عاشقِ

وإنِّــي لمعــذورٌ عــلى وَجَناته وإن وسَمَتْنــي شيبةٌ في المَفارقِ

ولا عِشْقَ لي أَو يُحْدِثَ الدَّهرُ شِرّةً تعــود بعاداتِ الشبــاب المُفارقِ

ولــو كنتُ شكلاً للصِّبا لاتّبعتُه ولكن سنّــي بالصِّبــا غيرُ لائقِ

[طلب من المتوكّل إجراء أرزاق ابنه على زوجته وأولاده]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضّحّاك ابن يسمَّى محمَّداً ، له أَرزاق ، فمات فقُطِعتْ أَرزاقه . فقال يخاطب المتوكِّل ويسأله أَن يجعلَ أَرزاقَ ابنه المتوفَّى لزوجته وأَولاده[2] : [من مجزوء الكامل]

إنِّــي أَتيتُــك شافعــاً بــوليِّ عهــد المسلمينا

وشبيهِــك المعتــزّ أَو جــهِ شافــع في العالَمينا

يا ابن الخَلائـف الأَوّليـ ـن ويــا أَبــا المتأخّرينا

إنّ ابن عبدك مــات والأ يّــامُ تختَــرِم القَرينا

ومضــى وخلَّــف صبيةً بعِراصِــه مُتَلَــدّدينا[3]

ومُهَيْرةً عَبْــرى خِــلا فَ أَقــاربٍ مُسْتَعْبِرينا

---

1 شعره : 85- 86 .

2 شعره : 120 .

3 المتلدّد : المتحيّر .

أصبحنَ في رَيـب الحوا دث يُحسنون بك الظُّنونا
قطَـع الـوُلاةُ جِرايـةً كانـوا بهـا مُسْتَمْسِكينا
فامنُنْ بـردّ جميع مـا قطعـوه غيـرَ مـراقِبينا
أعطاك أفضلَ مـا تؤمِّـ ـل أفضـلُ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكّل له بما سأل . فقال يشكره[1] : [من البسيط]

يا خيرَ مُسْتَخْلَفٍ من آلِ عبّاسِ اسْلَمْ وليس على الأيّام مـن باسِ
أَحييْتَ مـن أمـلي نِضْواً تَعاوَرَه تَعاقُبُ اليأسِ حتى مـات بالياسِ

[هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّحّاك ونحن على نبيذ ؛ فعبِث بالمغنّية وجَمَّشها ؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به . فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الوافر]

لهـا في وجهِها عُكَـنُ وثُلْثَـا وجههـا ذَقَـنُ
وأسنـانٌ كريشِ البَـ ـطّ بين أصولهـا عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ ؛ وما انتفعنا بها بقيَّة يومنا . وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلهما . وكانت إذا حضرتْ في موضع أُنشدوا البيتين فتُجَنّ . ثم هربتْ من سُرَّ من رأى ، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .

قال جعفر وحدَّثنا أبو العَيْناء أنّه حضر هذا المجلس ، وحكى مثلَ ما حكاه محمَّد .

[سنّه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ قال : سألتُ حسين بن الضّحّاك ونحن في مجلس المتوكّل عن سنّه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدتُ فيها بعينها ، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَة بن الحجّاج سنة ستّين ومائة .

[اعتذاره للمتوكّل بكبر السنّ]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال : أمر المتوكّل أن يُنادمه حسين بن الضّحّاك ويلازمَه ؛ فلم يُطِقْ ذلك لكِبَر

1 شعره : 68 .
2 شعره : 109 عن الأغاني .

سنّه . فقال للمتوكّل بعضُ مَن حضر عنده : هو يُطيق الذّهابَ إلى القُرَى والمَواخيرِ والسكرَ فيها ويعجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتُها إلى المتوكّل ، وهي[1] : [من المتقارب]

أمَا في ثمانين وفّيتُها ... عَذِيرٌ وإن أنا لم أعْتَذِرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً ... مع الصّاعدين بتِسْع أُخَرْ
وقد رفع الله أقلامَه ... عن ابن ثمانين دون البشرْ
سوى من أصرّ على فتنةٍ ... وألْحَد في دينه أو كفرْ
وإنّي لَمن أُسَراء الإلـ ... ـه في الأرض نُصْبَ صروفِ القدرْ
فإن يَقْضِ لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يَقضِ شرّاً غَفَرْ
فلا تَلْحَ في كِبَرٍ هدَّني ... فلا ذنبَ لي أنْ بَلَغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب ... فأعقبني خَوَراً من أشَرْ
وقد بسَط اللهُ لي عذرَه ... فمن ذا يلوم إذا ما عذَرْ
وإنّي لَفي كَنَفٍ مُغْدِقٍ ... وعزّ بنصر أبي المنتصِرْ
يُباري الرياحَ بفضل السما ... ح حتى تَبَلَّدَ أو تَنْحسِرْ
له أكّد الوحيُ ميراثَه ... ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَرْ
وما للحسود وأشياعِه ... ومَنْ كذّب الحقَّ إلاّ الحَجَرْ

قال ابن حمدون : فلمّا أوصلتُها شيّعتُها بكلامي أعذِره ، وقلت : لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكّل : صدَقتَ ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملْها إليه ؛ فأخذتُها فحملتُها إليه .

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي عن حسين بن الضّحّاك قال : ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبتي ولدَه ، ثم ضربني الأمينُ لُممايَلة ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمَّد ، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل ، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكّل وأمَر شفيعاً بالوَلَع بي ، فتغاضب المتوكّل عليّ . فقلت له :

1 شعره : 52–53 .

يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك ، فاعلم أنّ آخر ضَرْب ضُرِبتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأُكرمك .

[حاله في أواخر أيّامه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان الأبزاريّ[1] قال : دخلت على حسين بن الضّحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟ جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

أَصبحتُ من أُسَراء الله مُحتَبَساً ... في الأَرض نحو قضاء الله والقَدَرِ

إنّ الثمانين إذ وفّيْتُ عِدّتها ... لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ

---

1 نسبة إلى الأبزار وهي قرية قريبة من نيسابور وقد تقدّم «الأنباري» .

2 شعره : 62 .

[107] ـ أخبار أبي زكّار الأعمى[1]

[مغنٍّ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك]

قال أبو الفرج : أبو زكّار هذا رجلٌ من أهل بغداد من قدماء المُغنِّين ، وكان منقطِعاً إلى آل برمك ، وكانوا يُؤْثِرونه ويُفْضِلون عليه إفضالاً .

[قتل جعفر البرمكيّ وهو يغنّيه]

فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت مسروراً يحدِّث أبي قال : لمّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله : [من الوافر]

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادي[2]

وكلّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً ... وإن بَقِيَتْ تصير إلى نَفادِ

ولو يُفْدَى من الحدثان شيءٌ ... فديتُك بالطَّريف وبالتِّلادِ

فقلت له : في هذا والله أتيتُك ! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه .

[طلب أن يقتل مع جعفر]

فقال لي أبو زكّار : نَشَدتُك اللهَ إلاّ ألحقتَني به . فقلتُ : وما رغبتُك في ذلك ؟ قال : إنّه أغناني عمّن سواه بإحسانه ، فما أُحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أسْتأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك . فلمّا أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكّار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضْمُمْه إليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتممْه له .

[صوت معرق في العمى]

حدَّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال : غنَّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت مُعْرِقٌ في العَمَى . الشِّعر لبشّار الأعمى ، والغناء لأبي زكّار الأعمى ، وأوّلُ الصوت «عميت أمري» .

---

1 يذكر أبو زكار الأعمى في جميع كتب التاريخ التي تتحدّث عن نكبة البرامكة . أنظر الطبري (أبو الفضل إبراهيم 8 : 295) ، ووفيات الأعيان 1 : 338 .

2 فلا تبعد : هذا دعاء .

صوت
من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه[1]

[من الخفيف]

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب منّي فيكِ إلاّ استَتَرْتُ عن أُصحابي
من دموعٍ تجري ، فإن كنتُ وحدي خالياً أُسعدتْ دموعي انتحابي
إن حبّي إيّاكِ قد سَلّ جسمي ورماني بالشيب قبل الشبابِ
لو مَنَحْتِ اللقا شَفى بك صبّاً هائمَ القلب قد ثَوى في الترابِ

الشعر في الأبيات للسيّد الحِمْيَريّ . والغناء لمحمَّد نَعْجة الكوفيّ ، مُغَنّ غير مشهور ولا ممّن خدم الخلفاء وليس له خبر . ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلَق في مجرى البنصر . وذكر حبش أنّ لمحمَّد نعجة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر .

1 ديوانه : 118–119 عن الأغاني .

[108] ـ أَخبار السيّد الحِمْيَرِيّ[1]

[نسبه]

السيّد لقبُه . واسمه إسماعيل بن محمَّد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ . ويكنى أَبا هاشم . وأُمّه امرأة من الأَزْد ثم من بني الحُدّان . وجدُّه يزيد بن رَبيعة ، شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً[2] وبنيه ونفاهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبَيْد الله بن زياد لذلك وعذَّبه ، ثم أَطلقه معاوية . وخبرُه في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أَخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أَخبارِ السيّد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال : سمعتُ ابن عائشة والقَحْذَميّ يقولان : هو يزيد بن مُفَرِّغ ، ومَن قال : إنّه يزيد بن معاوية فقد أَخطأ . ومفرِّغ لقب ربيعة ؛ لأَنّه راهن أَن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرَّغه ؛ فلُقِّب مفرِّغاً . وكان شَعَّاباً بسَيالة[3] ، ثم صار إلى البصرة .

[ترك شعره لذمّه الصحابة]

وكان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً . يقال : إنّ أَكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار ، وأَبو العتاهية ، والسيِّد ؛ فإنّه لا يُعْلم أَنّ أَحداً قدر على تحصيل شعر أَحد منهم أَجمع .

وإنّما مات ذكرُه وهجَر الناسُ شعرَه لما كان يُفْرِط فيه من سَبّ أَصحاب رسول الله ﷺ وأَزواجِه في شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم ، فتُحُومي شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك ، وهجره الناس تخوُّفاً وتراقُباً . وله طِراز من الشعر ومذهبٌ قلَّما يُلْحَقُ فيه أَو يُقَاربه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أَو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم . ولولا أَنّ أَخباره كلّها تجري هذا المَجْرى ولا تَخرج عنه لوجب أَلاّ نذكر منها شيئاً ؛ ولكنّا شَرَطنا أَن نأتي بأَخبار مَنْ نذكره من الشعراء ؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أَسلمِ ما وجدناه له وأَخلاها من سيِّىء اختياره على قلّة ذلك .

1 للسيد الحميري ترجمة في طبقات ابن المعتز : 32 وابن خلكان 6 : 343 وفوات الوفيات 1 : 188–193 والوافي 9 رقم 5003 وقد جمع ديوانه شاكر هادي شكر (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت) .

2 المقصود زياد بن أَبيه والي معاوية على العراق .

3 الشعاب : الذي يصلح شعب الإناء أَي صدعه . والسيالة : أَوّل مرحلة بعد المدينة في طريق الذاهب إلى مكّة .

[كان أبواه إباضيين ولمّا تشيّع همّا بقتله]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيِّد ، قال ابن عمَّار وحدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيْخ عن أبيه : أنّ أبَوَي السيّد كانا إباضيّين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضَبّة ، وكان السيّد يقول : طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة . فإذا سُئِلَ عن التشيُّع من أين وقع له ، قال : غاصَتْ عليّ الرحمةُ غَوْصاً .

ورُوي عن السيِّد أنّ أبويه لمّا علِما بمذهبه همَّا بقتله ؛ فأتى عُقْبَةَ بن سَلْم الهُنائيّ فأخبره بذلك ، فأجاره وبَوّأه منزلاً وهَبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما .

[على مذهب الكيسانية]

وقد أخبرني الحسن بن علي البُزّيّ عن محمَّد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالخنزق راوية السيّد الحِمْيَريّ قال : ما مضى والله إلاّ على مذهب الكَيسانية . وهذه القصائدُ التي يقولها[1] الناس مثل : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ
و تجعفرتُ باسم الله فيمَن تجعفرا

وقوله[2] : [من الطويل]

أيــا راكبــاً نحو المدينة جَسْرةً عُذافِرةً تهوِي بها كلَّ سَبْسَبِ[3]
إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفراً فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذَّبِ[4]

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط ، قالها ونَحَلها للسيّد ، وجازت على كثير من الناس ممّن لم يعرف خبرَها ، بمحل قاسم منه وخدمتِه إيّاه .

[أوصافه ومواهبه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوفليّ قال حدَّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار قال : كان السيِّدُ أسمَر ، تامَّ القامة ، أشنَب[5] ، ذا وَفْرةٍ ،

---

1 ل : ينشدها .
2 ديوانه : 114–117 ولم يشر إلى كونها لغلامه قاسم الخيّاط .
3 تهوي في الديوان : يطوي .
4 رواية هذا البيت في الديوان :
إذا ما هداك الله عاينت جعفراً فقـل لـولي الله وابن المهذّب
5 الشنب : بياض الأسنان وبريقها .

حسنَ الألفاظ ، جميلَ الخطاب ، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه .

[رأي الفرزدق فيه وفي عمران بن حطّان]

أخبرني أحمد قال حدَّثني محمَّد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن لَبْطة بن الفرزدق قال : تذاكرنا الشعراءَ عند أبي ، فقال : إنّ هاهنا لرجلين لو أخَذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء . فسألناه من هما ؟ فقال : السيِّد الحميريّ وعِمْران بن حِطّان السَّدوسيّ ، ولكنّ الله عزّ وجلّ قد شغَل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيّد أسمر ، تامَّ الخلقة ، أشْنَب ، ذا وَفْرة ، حسنَ الألفاظ ، وكان مع ذلك أنْتن الناس إبطين ، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما .

[رأي الأصمعيّ]

قال حدَّثني التَّوَّزِيّ قال : رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيِّد ، فقال : لَمن هذا ؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه ؛ فأقسم عليّ أن أخبِره فأخبرتُه ؛ فقال : أنْشِدْني قصيدةً منه ؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يَسْتزيدني ، ثم قال : قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته .

[رأي أبي عبيدة]

أخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم قال : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أشعر المُحْدَثين السيّد الحميريّ وبشّار .

[مذهبه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ عن أبي شُراعة القَيْسيّ عن مسعود بن بِشر : أنّ جماعةً تذاكروا أمرَ السيّد ، وأنّه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنَفيّة وقال بإمامة جعفر بن محمَّد[1] . فقال ابنُ الساحر راوِيتُه : والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعْفريّات إلاّ منحولةٌ له قيلتْ بعده . وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمِع رجلاً يروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام : «إنّه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحلتُه اسمي وكُنْيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها[2] : [من الوافر]

1 أي أنّه تحول عن الكيسانية إلى مذهب الإمامية .

2 ديوانه : 181–184 .

أشاقَتْـكَ المنازلُ بعـد هند ... وتِرْبيهـا وذاتِ الـدَّلّ دَعْدِ
منـازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ ... معالُمهـنّ مـن سَبَلٍ ورَعْدِ[1]
وريح حَرْجَـفٍ تَسْتَنُّ فيهـا ... بسافي التُّرْب تُلْحِم ما تُسَدِّي[2]
أَلَـم يَبْلُغك والأنباءُ تَنْمِي ... مقـالُ محمَّـدٍ فيمـا يؤدِّي
إلى ذي علمـه الهـادي علي ... وخَوْلَةُ خادمٌ في البيت تَرْدِي[3]
أَلَمْ تَـرَ أنّ خولَةَ سوف تأتي ... بوارِي الزّند صافي الخِيم نَجْدِ[4]
يفـوز بكنيتي واسمـي لأنّي ... نَحَلْتُهمـاهُ والمهـديّ بعدي
يُغَيّب عنهـمُ حتـى يقولوا ... تضمَّنـه بطَيْبـةَ بطـنُ لَحْدِ
سنينَ وأشهراً ويُرى برَضْوى ... بشِعْـب بـين أنْمـار وأُسْدِ
مقيـم بـين آرامٍ وعِـينٍ ... وحَفَّانٍ تروح خِـلالَ رُبْدِ[5]
تُراعيهـا السِّباع وليس منها ... ملاقيهـنّ مفتـرساً بحَـدِّ
أَمِنّ بـه الرَّدى فرتَعْن طوراً ... بلا خوف لدى مَرْعىً ووِرْدِ
حلَفْتُ بربّ مكّـةَ والمُصَلَّى ... وبيتٍ طاهـرِ الأركان فَرْدِ
يطوفُ بـه الحَجيجُ وكلَّ عامٍ ... يَحُلّ لديه وفـدٌ بعـد وفدِ[6]
لقد كان ابنُ خَوْلَةَ غيرَ شكٍّ ... صَفاءَ ولايتي وخُلُوصَ وُدِّي
فمـا أَحـدٌ أحبّ إليّ فيما ... أُسِرّ ومـا أُبوح بـه وأُبدي
سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ... ولا أزكى وأَطيب منه عندي
ومن ذا يا ابنَ خولة إذ رمتني ... باسْهُمها المنيّةُ حـين وعدي
يُذَبِّـبُ عنكـمُ ويَسُدّ ممّـا ... تَثَلّم مـن حصونكم كسَدِّي
وما لي أن أُمـرَّ بـه ولكن ... أؤمِّل أن يؤخَّـر يـومُ فقدي

---

1 محّت : عفت . السبل : المطر .
2 الريح الحرجف : الريح الباردة . تستن : تسرع . بسافي في ل : بهاري .
3 تردي : تلعب .
4 الخيم : الطبيعة والسجية .
5 حفان : صغار النعام .
6 يطوف في ل : يطيف .

فأُدرك دولةً لك لستَ فيها | بجبَّار فتُوصَفَ بالتَّعدِّي
على قوم بَغَوْا فيكم علينا | لتُعْدِي منكم يا خيرَ مُعْدِ[1]
لِتَعْلُ بنا عليهم حيث كانوا | بغَوْرٍ من تِهامة أو بنجدِ
إذا ما سِرتَ من بلد حرامٍ | إلى مَن بالمدينة من مَعَدٍّ
وماذا غرَّهم والخيرُ منهم | بأشْوَسَ أعْصَلِ الأنيابِ وَرْدِ[2]
وأنت لِمَن بغى وعَدا وأذكى | عليك الحربَ واستدراك مُرْدِ

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء ؛ نسبته : [من الوافر]

صوت

أشاقتك المنازلُ بعد هندِ | وترْبَيْها وذاتِ الدَّلّ دعدِ
منازلُ أقفرت منهنّ مَحَّتْ | معالمهُنّ من سَبَل ورعدِ

عروضُه من الوافر . الشعر للسيّد الحِميريّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكّيّ . وذكر الهشاميّ أنّه لكَرْدَم . وذكر عمرو بن بانة أنّ اللّحن لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد : كنتُ عنده يوماً في جَناح له ، فأجال بصرَه فيه ثم قال : يا إسماعيل ، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح . قلت : ومَن كان يفعل ؟ قال : أبواي . وكان يذهب مذهبَ الكَيْسانيّة ويقول بإمامة محمَّد بن الحنفيّة ، وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ مَن لم تَصِحَّ روايتُه أنّه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة ، وله في ذلك[3] : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر | وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفرُ

وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصِّل ، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ، لأنّ هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه ، وشعرُه في قصائده الكيسانيّة مُباينٌ لهذا جزالةً ومتانةً ،

---

1 المعدي : الناصر .
2 أعصل الأنياب : معوجها .
3 هكذا رواية البيت في طبقات ابن المعتزّ وفي الديوان :

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا | تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
وناديتُ باسم الله والله أكبرُ | وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفر

ولم يُشر جامعه إلى الأغاني مع أنّه من مصادره .

وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره .

[رأي الأصمعيّ مرّة أُخرى]

أخبرني[1] عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد الثُّماليّ قال حدَّثني التَّوَّزيّ قال قال لي الأصمعيّ : أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميريّ فَعَل الله به وفعل ؛ فأتيتُه بشيء منه ؛ فقرأه فقال : قاتَله الله ! ما أطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سبّ السَّلَف لَما تقدّمه من طبقته أحد .

[رأي أبي عبيدة مرّة أُخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : أتيتُ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلمّا رآني أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إنّ أبا زيد ليس ممّن يُحْتَشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه ، فإذا هو شعر السيّد . فجعل أبو عبيدة يَعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يَرويه . قال : وسمعتُ محمَّد بن أبي بكر المُقَدَّميّ يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ يُنشد شعر السيّد .

أخبرني ابن دُرَيْد قال : سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدِين ؟ قال : السيّد وبشّار .

[عدم الإحاطة بشعره]

وقال الموصليّ حدّثني عمّي قال : جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة ؛ فخِلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعرَه ، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثَّةٍ ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي . فقلت في نفسي : لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً ، فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حَضَره ؛ وعرفتُ حينئذٍ أنّ شعره ليس ممّا يُدرك ولا يُمكن جمعُه كلّه .

[رأي بشّار فيه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال : وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر ؛ فأقبل عليه وقال[2] : [من الخفيف]

أيّها المادحُ العبادَ ليُعْطى ... إنّ لله ما بأيدي العبادِ
فاسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المُنزِّل العوّادِ

---

1 تقدّم الكلام على رأي الأصمعيّ وأبي عبيدة في شعره .

2 ديوان السيّد الحميري : 180 وسترِد هذه الأبيات في ترجمة عمران بن حطّان مع الفرزدق ، وانظر ديوان شعر الخوارج ، القطعة (203) .

لا تَقُلْ في الجَواد ما ليس فيه وتُسَمِّي البخيـلَ باسم الجَوادِ

قال بَشَّار : مَن هذا ؟ فعُرِّفَه ؛ فقال : لولا أَنّ هذا الرجلَ قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا . ورُوي في هذا الخبر أَنّ عِمران بن حطّان الشَّارِي[1] خاطب الفرزدَق بهذه المخاطبة وأَجابه بهذا الجواب .

[سبه السلف]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش عن سعيد بن المسيّب عن أَبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسيّ قال : إذا رأيتَ في شعر السيّد «دَعْ ذا» فدعه ؛ فإنّه لا يأتي بعده إلاّ سَبُّ السّلف أَو بَلِيَّةٌ من بَلاياه .

[تفسير ابن سيرين لرؤياه]

وروى الحسن بن علي بن المعتزّ الكوفيّ عن أَبيه عن السيّد قال : رأَيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وكأَنّه في حديقةٍ سَبِخةٍ فيها نخل طِوالٌ وإلى جانبها أَرض كأَنّها الكافورُ ليس فيها شيء ؛ فقال : أَتَدْري لِمَن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله ؛ قال : لامرىء القيس بن حُجْر ، فاقلَعْها واغرِسها في هذه الأَرض ففعلتُ . وأَتيْتُ ابنَ سِيرينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه ؛ فقال : أَتقول الشعر ؟ قلت : لا ؛ قال : أَما إنّك ستقول شعراً مثلَ شعر امرىء القيس إلاّ أَنّك تقوله في قوم بَرَرة أَطهار . قال : فما انصرفتُ إلاّ وأَنا أَقولُ الشعر .

[شهد جماعة بأَنّه مطبوع]

قال الحسن وحدَّثني غانم الورّاق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصِرتُ إلى عمرو بن تميم ، فأَثبتني بعضُهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا إليّ وأَنِسوا بي ، وأَنشدتُهم ، وبدأتُ بشعر ذي الرمّة فعَرفوه ، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أَنشدتُهم للسيّد[2] : [من الطويل]

أَتعرِف رسمـاً بالسّوَيّيْن قـد دَثَـرْ عَفَتْـه أَهاضِيبُ السحائب والمطـرْ[3]

وجرَّتْ بـه الأَذيالَ ريحـان خِلْفةً صَبـاً ودَبُـورٌ بالعَشِيَّاتِ والبُكَرْ

منازلُ قـد كانـت تكونُ بجوّها هضيمُ الحشا ريّا الشّوى سِحرُها النظرْ

---

1 الشاري : أحد الشُراة وهم طائفة من الخوارج باعوا أنفسهم لله . إشارة إلى الآية ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنّة﴾ .

2 ديوانه : 253 .

3 السّوَيّين في بعض المصادر ونسخ الأغاني : الثويين . أَهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .

قَطُوفُ الخُطَا خَمْصانَةٌ بَخْتَرِيّةٌ كأنّ مُحيّاها سَنا دارة القمرْ
رمَتْني بِبُعْد بعد قرب بها النَّوى فبانت ولَمّا أَقْضِ من عَبْدَةَ الوَطَرْ
ولَمّا رأتني خشيةَ البين مُوجَعاً أُكَفْكِف منّي أدمُعاً فَيْضُها دِرَرْ
أشارتْ بأطرافٍ إليّ ودمعُها كنَظْم جُمانٍ خانه السِّلكُ فانتثرْ
وقد كنتُ ممّا أحدث البينُ حاذِراً فلم يُغْنِ عنّي منه خوفيَ والحذرْ

قال : فجعلوا يُمرِّقون[1] لإنشادي ويطرَبون ، وقالوا : لَمن هذا ؟ فأعلمتهم ؛ فقالوا : هو والله أحدُ المطبوعين ، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثلُه .

[شعر تجوز قراءته على المنابر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : سمعتُ عمِّي يقول : لو أنّ قصيدةَ السيّد التي يقول فيها[2] : [من الخفيف]

إنَّ يومَ التطهيرِ يومٌ عظيم خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكِساءِ[3]

قُرِئَتْ على مِنبر ما كان فيها بأسٌ ، ولو أنّ شعره كلَّه كان مثْلَه لرويناه وما عيَّبناه .

وأخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في : [من الخفيف]

إنّ يوم التّطْهير يوم عظيم

[أعرابيّ يفضّله على جرير]

قال : ولم يكن التوَّزيّ متشيّعاً . قال عليّ بن المغيرة حدَّثني الحسين بن ثابت قال : قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناسِ لجرير ، فكان يُنشدني الشيءَ من شعره ، فأُنْشِد في معناه للسيّد حتى أكثرتُ . فقال لي : ويحك ؛ مَن هذا ؟ هو والله أشعر من صاحبنا .

[مدح السفاح]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العنَزيّ عن ابن عائشة قال : لَمّا استقام الأمر لبني العبّاس قام السيِّد إلى أبي العبّاس السفّاح حين نزل عن المِنبر فقال[4] : [من السريع]

دُونَكُموها يا بني هاشمٍ فجَدِّدوا من عهدها الدّارسا

---

1 يمرقون : يغنون .
2 لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع .
3 أهل الكساء : هم علي وفاطمة والحسن والحسين كما في بعض الروايات .
4 ديوانه : 258–259 مع بعض اختلاف في بعض الأبيات .

دُونَكُموها لا عـلا كعبُ مَنْ كان عليكـم مُلكَهـا نافسا
دونَكُموهـا فالْبَسوا تاجَها لا تَعْدَمـوا منكم لـه لابسا
لـو خُيِّـر المِنبـرُ فُرسانَـه مـا اختار إلاّ منكُـم فارسا
قـد ساسها قبلكُـم ساسةٌ لم يتركـوا رَطْبـاً ولا يابسا
ولستُ من أن تَمْلِكوهـا إلى مَهْبِـط عيسى فيكـمُ آيسا

فسُرّ أبو العبّاس بذلك ، وقال له : أحسنتَ يا إسماعيل ! سَلْني حاجتَك ؛ قال : تُوَلِّي سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

[جعفر بن محمَّد يبكي لسماع شعره]

وذكر التَّميميّ ، وهو علي بن إسماعيل ، عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمَّد إذ استأذن آذِنُه للسيّد ، فأمره بإيصاله ، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ . ودخل فسلّم وجلس . فاستنشده فأنشده قولَه[1] : [من مجزوء الكامل]

أُمْرُرْ على جَدَثِ الحسيـ ـن فَقُل لأَعْظُمِه الزكيّهْ[2]
آأَعْظُما لا زِلْـتِ مـن وَطْفـاءَ ساكبـةٍ رَوِيّـهْ[3]
وإذا مـررتَ بقبـره فأَطِلْ بـه وَقْـفَ المطِيّهْ
وابْـكِ المُطَهَّـرَ للمطهَّـ ـر والمطهَّـرة النَّقيّـهْ[4]
كبُكـاءِ مُعْوِلـةٍ أتـت يومـاً لواحدهـا المنيّـهْ[5]

قال : فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمَّد تتحدّر على خدّيه ، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت ؛ فقال لي : ويلي على الكَيْسانيّ الفاعل ابن الفاعل ! يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا مـررتَ بقبـره فأَطِل بـه وقْـفَ المطيَّهْ

فقلت : يا أبتِ ، وماذا يصنع ؟ قال : أوَلا يَنْحر ! أوَلا يقتُل نفسَه ! فثكِلَتْه أُمُّه ! .

---

1 ديوانه : 470 .
2 فَقُل في الديوان : وقل .
3 آأعظما في الديوان : يا أعظماً . وطفاء : ثقيلة لكثرة مائها .
4 النقية في الديوان : الزكيّة .
5 أتت في الديوان : غدت .

[من أفضل الناس بعد النبيّ !]

حدّثني أبو جعفر الأعرج ، وهو ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار ، عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيّد ، وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده[1] : [من الوافر]

وإسماعيلُ يَبْرُز من فلانٍ ويزعمُ أنّه للنّارِ صالي

قال : تلاحى رجلانِ من بني عبد الله بن دارمٍ في المُفاضلة بعد رسول الله ﷺ وآله ؛ فرضيا بحكم أوّل من يطلُع . فطلع السيّدُ ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما : إنّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : عليّ بن أبي طالب . فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال : وأيَّ شيء قال هذا الآخرُ ابنُ الزانية ؟ فضحك مَنْ حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً .

[ما يغفره الله لحبّ علي !]

وقال التَّميميّ وحدَّثني أبي قال قال لي فُضَيل الرسان : أُنْشِد جعفرُ بن محمَّد قصيدةَ السيِّد[2] : [من السريع]

لأُمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ دارسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره . فسأَلني لَمن هي ، فأَخبرتُه أنّها للسيِّد ، وسأَلني عنه فعرَّفته وفاتَه ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إنّي رأيته يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق[3] ؛ قال : أَتعني الخمر ؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنبٍ عند الله أَن يغفِره لُمحِبٍّ عليٍّ ! .

[قوله بالرجعة]

وأَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السيِّد فقال : بلغني أَنّك تقول بالرَّجْعة[4] ؛ فقال : صدق الذي أَخبرك ، وهذا دِيني . قال : أَفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السيِّد : نعم وأَكثر من ذلك إن وثَّقْتَ لي بأَنّك تَرْجع إنساناً . قال : وأَيَّ شيء أَرجع ؟ قال : أَخشى أَن ترجع كلباً أَو خِنْزِيراً فيذهب مالي ؛ فأَفحمه .

[جعفر بن عفان الطائي ومهره]

أَخبرني[5] الحسن بن عليّ قال حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائيّ

---

1 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

2 ديوانه : 261 .

3 الرستاق : كلّ موضع فيه مزدرع وقرى .

4 الرجعة : مذهب من يقول بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

5 هذه حكاية مقحمة على ترجمة السيّد الحميري . ولعلّ الذي دعا أَبا الفرج إلى إدراجها هنا هو النيل من عمر في الأَبيات الأَربعة الأَخيرة من الشعر جرياً على طريقة الحميري في سبّ السلف .

الشاعر : أهدى إليّ سليمان بن عليّ مُهْراً أعجبني وعزَمْتُ تربيتَه . فلمّا مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ ، ففكّرت في صديق لي أودِعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفْص ، فصِرْتُ إليه فسألته أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي ؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك ؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به ، ومضيتُ إلى الحجّ . ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق به ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر ، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلّة القيام عليه . فقلت له : يا أبا حفص ، أهكذا أوصيتُك في هذا المهر ! فقال : وما ذنبي ! لم يَنْجَع فيه العَلَفُ . فانصرفتُ به وقلت : [من البسيط]

مَنْ عاذري من أبي حفص وثِقْتُ به ... وكان عندي لـه في نفسه خطرُ
فلـم يكن عند ظنّـي في أمانته ... والظنّ يُخْلَـف والإنسانُ يُختَبَرُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايتَه ... حتى تبيّن فيـه الجَهْدُ والضَّررُ
عاتبتُه فيـه في رفق فقلتُ لـه ... يا صاحِ هل لكَ من عذر فتعتذِرُ
فقال داءٌ بـه قِدْمـاً أضَرّ بـه ... وداؤه الجوعُ والإتعابُ والسفرُ
قد كان لي في اسمه عنـه وكُنْيتِـه ... لـو كنـتُ مُعْتَبِراً نـاهٍ ومُعْتَبَرُ
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غِبتُ عنـه واسمه عمرُ
لـو كان لي وَلَدٌ شتّى لهم عددٌ ... فيهم سميُّوه إن قَلُّوا وإن كثُروا
لم ينصحوا لي ولم يُبْقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهمُ الحَصْباءُ والشجرُ

[هجاء بني عدي وبني تيم]

قال وحدَّثني أبو سليمان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليُّ عهدٍ ، فبدأ ببني هاشمٍ ثم بسائر قُرَيش . فجاء السيّد فرفع إلى الرَّبيع[1] رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحة للأمير فأوْصِلْها إليه ، فأوصلها ، فإذا فيها[2] : [من الكامل]

قُـل لابـن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمَّدٍ ... لا تُعْطِيَنَّ بني عَـدِيّ درهما[3]
احْرِمْ بني تَيْم بـن مُـرّة إنّهم ... شرُّ البريّـة آخـراً ومُقَدَّما[4]

---

1 هو الربيع بن يونس حاجب المنصور .
2 ديوانه : 377–378 .
3 بنو عدي : رهط عمر بن الخطّاب .
4 بنو تيم : رهط أبي بكر الصديق .

إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشْتما
وإن ائتمنتهمُ أو استعملتَهم خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما
ولئن منعتَهمُ لقد بَدءوكُم بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراثَ محمّدٍ أعمامَه وابْنَيْهِ وابنتَه عَدِيلةَ مَرْيما
وتأمّروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما
لم يشكروا لمحمّد إنعامَه أفيشكرون لغيره إن أَنْعَما
واللهُ منّ عليهمُ بمحمّد وهداهمُ وكَسا الجُنوبَ وأَطْعما
ثم انبرَوْا لوصيِّه ووليّه بالمُنْكَرات فجرَّعوه العلْقَما

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عُبيد الله[1] ثم قال : اقطع العطاءَ فقطَعه ؛ وانصرف الناس ؛ ودخل السيّد إليه ، فلمّا رآه ضحك وقال : قد قبِلنا نصيحتَك يا إسماعيل ، ولم يُعطهم شيئاً . أخبرني به عمّي عن محمّد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعيّ عن أبي سليمان الرِّياحيّ مثلَه .

[مناظرة شيطان الطاق له في الإمامة]

أخبرني الحسن بن محمّد بن الجمهور القُمّيّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيّد : أنّه حضر يوماً وقد ناظره محمّد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطّاق في الإمامة ، فغلبَه محمّد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة ؛ فقال السيّد[2] : [من الوافر]

ألا يا أيّها الجَدِل المعنّي لنا ، ما نحن وَيْحَك والعَناءُ[3]
أتُبْصِر ما تقول وأنت كهلٌ تُراك عليك من وَرَع رِداءُ
ألا إنّ الأئمّةَ من قريشٍ ولاةُ الحقّ أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه همُ أسْباطُه والأوصياءُ
فأنّى في وصيّته إليهم يكونُ الشكّ منّا والمِراءُ
بهم أوصاهم ودعا إليه جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاءُ
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ وسبطٌ غيّبتْه كَربْلاءُ

1 هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري كاتب المهدي .
2 ديوانه : 50-51 وانظر أبيات منسوبة لكثير في ديوانه (جمع إحسان عباس) : 521-522 .
3 الجدل : الشديد الخصومة .

سقـى جَدَثـاً تضمّنه مُلِثٌّ هَتُوفُ الرَّعْـدِ مُرْتَجِزٌ رِواءُ[1]
تَظَـلُّ مُظِلَّـةً منهـا عَـزالٍ عليه وتَغْتَدي أُخـرى مِلاءُ[2]
وسِبْط لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يَقْدُمها اللواءُ
مـن البيت المحجَّبِ في سَراةٍ شُراةٍ لَـفَّ بينهـمُ الإخاءُ
عصائبُ ليس دونَ أغرَّ أَجلى بمكّـةَ قائـمٍ لهـمُ انتهاءُ

[رؤيا العبديّ]

وهذه الأَبيات بعينها تُروى لكثيِّر ، ذكر ذلك ابنُ أَبي سعد فقال وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفَليُّ قال حدَّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال : رأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد[3] : [من الوافر]

أجَدّ بآل فاطمـةَ البُكورُ فدمـعُ العين مُنْهَمِرٌ غزيرُ

حتى أَنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع . قال : فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتْني وإيّاه طُوسُ عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا ، فقال لي : والله لقد كنتُ على خلافٍ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه رجل يُنشد : [من الوافر]

أَجَـدّ بـآل فاطمـة البُكورُ

إلى آخرها ؛ فاستيقظتُ من نومي وقد رسَخ في قلبي من حبّ عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ما كنتُ أَعتقِدُه .

أَخبرني وَكيع قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد قال حدَّثنا أَبو سليمان النَّاجي ومحمَّد بن حَليم الأَعرج قالا : كان السيّد إذا استُنْشِد شيئاً من شعره لم يَبْدأ بشيء إلاّ بقوله : [من الوافر]

أَجَدّ بآل فاطمـةَ البُكُورُ فدمعُ العين مُنْهمـر غزيرُ

[رأي العتبيّ في شعره]

قال إسحاق : وسمعتُ العُتْبيُّ يقول : ليس في عصرنا هنا أَحسنُ مذهباً في شعره ولا أَنقى أَلفاظاً من السيّد ، ثم قال لبعض مَن حضر : أَنْشِدْنا قصيدتَه اللاّميّة التي أَنْشَدْتَناها اليوم ؛ فأَنشدَه قولَه[4] : [من السريع]

---

1 الملث : المطر الذي يدوم أيّاماً . ارتجاز الرعد : تتابع صوته . رواء : كثير يروي .

2 العزالي : مصبّ الماء من القربة . ويعني هنا المطر الكثير .

3 ديوانه : 197 .

4 ديوانه : 321–322 .

هــل عنــد مَن أحببتَ تَنْوِيلُ ... أم لا فــإنّ اللّــومَ تَضْليلُ
أم في الحشى منك جوىً باطِنٌ ... ليس تُداويـــــه الأبــاطيلُ
عُلِّقتَ يــا مغرورُ خَدّاعــةً ... بالوعــد منهــا لــك تَخْيِيلُ
رَيَّــا رَداح النوم خَمْصانــة ... كأنّهــا أدْمــاءُ عُطْبــولُ[1]
يَشفيك منهــا حينَ تخلو بها ... ضــمٌّ إلى النحــر وتَقْبيــلُ
وذَوْقُ ريــقٍ طيِّبٍ طعمُــه ... كأنّــه بــالمسك مَعْلــولُ
في نِسوةٍ مثــلِ المَهَـا خُــرَّدٍ ... تَضِيــقُ عنهــنّ الخــلاخيلُ

يقول فيها :

أُقسم بـــالله وآلائِـــه ... والمرءُ عمّــا قــال مسؤولُ
إنّ عــليّ بــن أبــي طالب ... على التُّقــى والبِــرِّ مَجْبــولُ

فقال العتبيّ : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعرُ الذي يهجُم على القلب بلا حجاب .

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لُمخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر حَبَش أنّه للغَريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنّس .

[لا يستعمل الغريب في شعره]

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال : كنّا كثيراً ما نقول للسيّد : ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّه مَنْ سمِعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقِّداً تَضِلّ فيه الأوهام .

[سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود]

أخبرني أحمد بن عَمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ راويةُ الشعراء[2] بالكوفة قال حدَّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّباح ومحمَّد بن سَلَمة ، يزيد بعضُهم على بعض : أنّ السيّد لمّا قَدِم الكوفةَ أتاه محمَّد بن سهل راويةُ الكميت ؛ فأقبل عليه السيّد فقال : مَن الذي يقول : [من الوافر]

يَعِيــبُ عــليَّ أقــوامٌ سَفاهاً ... بأن أُرْجِــي أبا حسن عليّا

---

1 الأدماء : كالظبية . العطبول : الطويلة العنق .

2 ل : الشعر .

وإرجائي أَبـا حسن صوابٌ عن العُمَرَيْنِ بَـرّاً أو شَقِيّا[1]
فإن قدَّستُ قوماً قـال قومٌ أسأتَ وكنتَ كذّابـاً رَدِيّا
إذا أيقنـتُ أنّ الله ربِّـي وأَرْسل أحمـداً حقّـاً نَبيّا
وأنّ الرُّسْلَ قـد بُعِثوا بحقٍّ وأنّ الله كان لهـم وليّـا
فليس عـليّ في الإرجاء بأسٌ ولا لَبْسٌ ولست أُخاف شيّا ؟

فقال محمَّد بن سهل : هذا يقوله مُحارِب بن دِثار الذُّهْليّ . فقال السيّد : لا كان الله وليّـاً للعاضٍّ بَظْرَ أُمّه ! مَن يُنشدنا قصيدة أبي الأسود : [من الوافر]

أُحِبّ محمَّـداً حبّـاً شديـداً وعبّـاساً وحمـزَةَ والوصيّـا

فأنشده القصيدة بعض مَن كان حاضراً ؛ فطفِق يَسُبّ محارب بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود . فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمريّ فقال : ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته ، ثم قال : [من الوافر]

يَوَدُّ محارِبٌ لـو قـد رآها وأبصرهـم حَوالَيْهـا جُثِيّا
وأنّ لسانَه مـن ناب أفعـى ومـا أرْجا أبـا حسن عليّا
وأنَّ عَجُوزَه مَصَعَتْ بكلب وكان دمـاءُ ساقَيْها جَرِيّا[2]
متـى تُرْجِيء أبا حسن عليّاً فقـد أرجَيْـتَ يا لُكَـعٌ نبيًّا

[كان جعفر بن سليمان ينشد شعره]

أخبرني محمَّد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم ، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد ، فمن أنكره عليه لم يحدّثه ؛ فسمعتُه يُنشدهم[3] : [من الكامل]

مـا تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها من حوض أحمدَ شَرْبةً من ماءِ

ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالوا : السيّد الحميريّ .

---

1 الإرجاء : التأخير . وهو هنا تأخير الإمام علي إلى الدرجة الرابعة .
2 مصعت : رمت .
3 ديوانه : 52 .

[هجاء زبيرية]

حدَّثني عمِّي والكُرانيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن الحارث بن صَفْوان ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ السيّد كان بالأهواز ؛ فمرَّت به امرأة من آل الزُّبَير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبد الله بن العبّاس ، وسمِع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

أتتنا تُـزَفّ على بغلة وفوق رحالتهـا قُبّـهْ

زُبَيْريّةٌ من بنـات الذي أحلَّ الحرامَ مـن الكعبهْ

تُزَفّ إلى ملك ماجـد فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ[2]

روى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه : فدخلتْ في طريقها إلى خَرِبَةٍ للخَلاء ، فنَهشَتْها أفعى فماتت ؛ فكان السيّد يقول : لَحِقَتْها دعوتي .

[يدعو على الذين خرجوا للاستسقاء]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجَعْفَريّ ، وهو محمَّد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر ، قال أخبرني أبي قال : خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزّ وجُبّةٌ ومِطْرَفٌ وعِمامة ؛ فجعل يَجُرّ مِطْرَفَه ويقول[3] : [من السريع]

اهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمداً ثـم ارْمِهم يـا مُزْنُ بالجَلْمَدِ

لا تَسْقِهم مـن سَبَلٍ قطـرةً فإنّهـم حَـرْبُ بنـي أحمـدِ

[تعريضه برواة الحديث]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدَّثنا الحِرْمازِيّ قال حدَّثني رجل قال : كنت أختلفُ إلى ابني قيس ، وكانا يرويان عن الحسن ؛ فلقيني السيّد يوماً وأنا منصرِف من عندهما ، فقال : أرِني ألواحَك أكتب فيها شيئاً وإلاّ أخذتُها فمحوت ما فيها . فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها[4] : [من البسيط]

لَشَرْبَـةٌ من سَوِيقٍ عند مَسْغَبـةٍ وأَكْلَةٌ من ثَريـدٍ لحمُـه واري

1 ديوانه : 137 .

2 الوجبة : الوقعة أو صوت السقوط . وفي المثل : بجنبه فلتكن الوجبة .

3 ديوانه : 180 .

4 ديوانه : 234 .

أَشَدُّ مِمّــا روى حُبّــاً إليّ بنــو قيس ومِمّا رَوى صَلْتُ بن دِينارِ[1]
مِمّـــا رواه فــلانٌ عــن فلانِهمُ ذاك الذي كان يدعوهم إلى النارِ

[إنشاده في النبي شعراً في المنام مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَباطَبا قال : سمعت زيدَ بن موسى بن جعفر يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فنظرتُ إليه فلم أَعْرِفْه ، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا سيّد ، أنشدني قولَك : [من السريع]

لأُمِّ عمــرو في اللِّــوَى مَرْبَــعُ

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتاً واحداً ، فحفظتُها عنه كلَّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحَّانَةً رديءِ الإنشاد ، فكان إذا أُنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَعْ فيها ولم يَلْحَن .

[تزل قدم وتثبت أُخرى]

وقال[2] محمَّد بن داود بن الجرّاح في روايته عن إسحاق النَّخَعيّ حدَّثني عبد الرحمن بن محمَّد الكُوفيّ عن عليّ بن إسماعيل الهَيْثَميّ عن فُضَيْل الرسان قال : دخلت على جعفر بن محمَّدٍ أُعَزّيه عن عَمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أُنشِدُك شعرَ السيّد ؟ فقال : أَنْشِد ؛ فأَنشدتُه قصيدةً يقول فيها : [من السريع]

فالناسُ يـومَ البعْث راياتُهم خمسٌ فمنهـا هالكٌ أَرْبَعُ
قائدُهـا العجل وفِرعَونهم وسامِــريّ الأُمّــةِ المُفْظِعُ
ومـارِقٌ مـن دينــه مُخْرَج أسودُ عبــدٌ لُكَعٌ أَوْكَعُ[3]
ورايـــةٌ قائدُهـــا وجهُـه كأنّــه الشمسُ إذا تطلُـعُ

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جُعِلت فِداك ! إنّي رأيتُه يشرب الخمر . فقال : رحمه الله ؛ فما ذنبٌ على الله أن يغفِره لآل عليّ ! إنّ محبَّ عليّ لا تَزِلّ له قَدَمٌ إلاّ تَثْبُتُ له أُخرى .

حدَّثني الأَخْفَش عن أبي العَيْناء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن

1 كان ضعيف ، متهم الرواية وينتقص الإمام علي .
2 تقدّم بمثل هذا الخبر عن فضيل الرسان .
3 أوكع : لئيم .

محمَّد أنّه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال : إن زلَّتْ له قَدَمٌ فقد ثَبَتَتِ الأُخرى .

[غرّق رجلاً ماراه في تفضيل علي]

نسختُ من كتاب الشَّاهِيني حدَّثني محمَّد بن سهل الحِمْيَريّ عن أَبيه قال : انحدر السيّد الحميريّ في سفينة إلى الأَهواز ، فماراه رجلٌ في تفضيل عليّ وباهلَه[1] على ذلك . فلمّا كان الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة ، فدفَعه السيّد فغرَّقه ؛ فصاح الملاّحون : غرِق والله الرجلُ ؛ فقال السيّد : دعوه فإنّه باهلني .

[هجا قوماً لم ينصتوا لشعره]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش قال حدَّثني محمَّد بن يزيد المبرّد قال حدَّثني التّوَّزيّ قال : جلس السيّدُ يوماً إلى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُون ؛ فقال[2] : [من البسيط]

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أَدب ... بين الحَمير وبين الشَّاء والبقرِ

لا يَسمعون إلى قول أَجيءُ به ... وكيف تَستَمِعُ الأَنعامُ للبَشَرِ

أَقول ما سكتوا إِنْسٌ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجرِ

[اغتابه رجل فهجاه]

أَخبرني محمَّد بن جعفر النّحويّ قال حدَّثنا أَحمد بن القاسم البَزِّيّ قال حدَّثنا إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن محمَّد بن الرَّبيع عن سُوَيد بن حَمْدان بن الحُصَيْن قال : كان السيّدُ يختلفُ إلينا ويَغْشانا ، فقام من عندنا ذاتَ يومٍ ، فخلفه[3] رجل وقال : لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتمِ السلف . فبلغ ذلك السيّدَ فكتب إليه[4] : [من المتقارب]

وصَفْتُ لك الحوضَ يا ابنَ الحُصَيْن ... على صِفَةِ الحارث الأَعْورِ[5]

فإن تُسْقَ منه غداً شَرْبَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأَوفرِ

فما ليَ ذنبٌ سوى أَنّني ... ذكرتُ الذي فرَّ عن خيبرِ[6]

---

1 باهله : لاعنه .

2 ديوانه : 237 .

3 ل : فتخلّفه .

4 ديوانه : 229 .

5 الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أُصحاب الإمام علي مات بالكوفة سنة 65هـ .

6 إشارة إلى عمر بن الخطّاب الذي تقول الرواية إنّه لم يستطع فتح خيبر وفتحها علي .

ذكرتُ امْـرءاً فـرَّ عـن مِرْحَبٍ فِـرارَ الحمـار مـن القَسْوَرِ[1]
فأنكـر ذاك جليسٌ لكـم زَنيـمٌ أخـو خُلُـقٍ أعـورِ
لَحـاني بحـبِّ إمـام الهـدى وفـاروقِ أُمَّتنـا الأكبـرِ
سأحلِـق لحيتَـه إنّهـا شهـودٌ على الـزّور والمُنْكـرِ

قال : فهجر والله مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزموا محبّة السيّد ومجالستَه .

[ردّ سوّار بن عبد الله شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثنا مهديّ بن سابق . أنّ السيّد تقدّم إلى سَوّار القاضي ليشهدَ عنده ، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال : أعفني من الشهادة عند سوّار ، وبذَل له مالاً فلم يُعْفِه . فلمّا تقدّم إلى سوّار فشهد قال : ألستَ المعروفَ بالسيّد ؟ قال : بلى ؛ قال : استغفر اللهَ من ذنب تجرَّأتَ بـه على الشهادة عندي ، قُمْ لا أرضى بك . فقام مُغْضَباً من مجلسه وكتب إلى سوّار رقعةً فيها يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّ سوّار بن عبد الله من شرِّ القضاة

فلمّا قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذٍ نازل بالجسر ، فسبقه السيّد إليه فأنشده[3] : [من البسيط]

قُـل للإمام الذي يُنْجي بطاعته يومَ القيامة مـن بُحْبُوحة النارِ[4]
لا تَسْتَعِينَنْ جـزاك الله صالحـةً يـا خيرَ من دَبَّ في حكمٍ بسَوّارِ
لا تَسْتَعِنْ بخبيث الرأي ذي صَلَفٍ جَمّ العيوب عظيـمِ الكِبْر جبّارِ
تُضْحِي الخصومُ لديه من تجبّره لا يَرفعـون إليـه لحـظَ أبصارِ
تِيهـاً وكِبْراً ولـولا ما رفعتَ لـه من ضَبْعه كان عينَ الجائع العاري[5]

ودخل سوّارٌ ؛ فلمّا رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغكَ خبرُ إيّاس بن معاوية حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود[6] ! فما أحوجكَ للتعريض للسيّد ولسانه ؟ ثم أمر السيّدَ بمصالحته .

---

1 مرحب هو اليهودي صاحب حصن خيبر قتله محمّد بن مسلمة في رواية أو علي بن أبي طالب في رواية أخرى . القسور : الأسد . وهنا إشارة إلى الآية : ﴿كأنّهم حُمرٌ مستنفرة . فرّتْ مِن قسْورةٍ﴾ (المدثر : 50–51) .
2 ديوانه : 139 وهي فيه مقطوعة من 13 بيتاً .
3 ديوانه : 232–233 .
4 بحبوحة المكان : وسطه .
5 الضبع : وسط العضد ويُطلق أيضاً على الإبط .
6 سيرد خبر إياس مع الفرزدق في ترجمة الثاني .

[مدح المنصور لمّا ولّى ابنيه العهد]

وقال إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ حدَّثني عبد الله بن محمَّد الجَعْفَريّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الحِمْيَريّ قال[1] : دخل السيّد على المهديّ لمّا بايع لابنَيْه موسى وهارون، فأنشأ يقول : [من السريع]

ما بالُ مَجْرَى دمْعِكَ الساجِمِ — أمِنْ قَـذىً بـات بهـا لازِمِ
أَمْ مِن هوىً أنتَ لـه ساهر — صبابـةً مـن قلبـك الهائمِ
آليتُ لا أمـدحُ ذا نائـلٍ — مـن مَعْشرٍ غيرَ بنـي هاشمِ
أَوْلَتْهُمُ عنـدي يـدُ المصطفى — ذي الفضلِ والمَنّ أبي القاسمِ
فإنّهـا بيضـاءُ محمـودةٌ — جزاؤهـا الشّكرُ على العالَمِ
جزاؤهـا حفـظُ أبـي جعفرٍ — خليفـةِ الرحمـن والقائمِ
وطاعةُ المهـديّ ثـم ابنِـه — موسى على ذي الإرْبَةِ الحازمِ
وللرشيـد الرّابـع المُرْتَضـى — مُفْتَرَضٌ مـن حقّـه اللاّزمِ
ملكُهـمُ خمسون معـدودةً — برَغْـم أنـف الحاسدِ الرّاغمِ
ليس علينا مـا بَقُـوا غيرَهم — في هـذه الأمّـة مـن حاكمِ
حتـى يَرُدّوهـا إلى هابـط — عليـه عيسى منهـمُ ناجمِ

[الأعمش يكتب عنه فضائل عليّ بن أبي طالب]

وقال عليّ بن المُغيرة حدَّثني عليّ بن عبد الله السَّدُوسيّ عن المَدائنيّ قال : كان السيّد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائلَ عليٍّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً. فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمَله على فرس وخلَع عليه؛ فوقف بالكُنَاسة ثم قال : يا معشرَ الكوفيّين، مَن جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقُل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عَلَيّ. فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب؛ فلبِس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبِس أحدَ خُفَّيْه، ثم أهوى إلى الآخَر ليأخذه فانقضّ عُقَابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْودُ[2] وانساب فدخل جُحْراً؛ فلبس عليٌّ رضي الله عنه الخُفّ. قال : ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكّر هنيهةً ثم قال[3] : [من الوافر]

---

1 ديوانه : 406–407 عن الأغاني .
2 الأسود : العظيم من الحيّات .
3 من قصيدة في ديوانه : 120– 127 تتألّف من 27 بيتاً .

أَلا يـا قومِ للعَجَبِ العُجابِ ... لخُفِّ أَبي الحسين وللحُبابِ[1]
أَتـى خُفّـاً لـه وآنساب فيــه ... لِيَنْهشَ رِجلَـه منــه بنـابِ
فخَـرَّ مـن السماء لـه عُقابٌ ... من العِقْبـان أَو شِبْهُ العُقابِ
فطار بـــه فحلّق ثـم أَهْوى ... به للأَرض من دون السَّحابِ
إلى جُحْـرٍ لــه فانساب فيـه ... بعيـدِ القَعْرِ لم يُرْتَـجْ ببابِ
كريهُ الوجه أسودُ ذو بَصيصٍ ... حديدُ النَّـابِ أَزْرقُ ذو لُعابِ
ودُوفِعَ عــن أَبي حسن عليٍّ ... نَقيعُ سِمامــه بعــد آنسيابِ

ثم حرّك فرسَه ومضى وجعل تَشْبيبها بعد ذلك : [من الوافر]

صبوتُ إلى سُلَيْمى والرَّبـاب ... وما لأَخي المَشيبِ وللتَّصابي

أَخبرني أَحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني عبد الله بن أَحمد بن مُسْتورد قال : وقف السيّد يوماً بالكوفة ، فقال : مَن أَتاني بفضيلة لعليّ بن أَبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ ، وذكر باقي الحديث . فأَمّا العُقاب الذي انقضّ على خفّ عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه فحدَّثني بخبره أَحمد بن محمَّد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثني جعفر بن عليّ بن نجيح قال حدَّثنا أَبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أَبي داود الطَّهَويّ عن أَبي الزِّعْل المُراديّ قال : قام عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة ، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أَفعى ، فلمّا عاد لَيلْبسَه انقضّتْ عقابٌ فأَخذته فحلّقت به ثم أَلقته فخرج الأَفعى منه . وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ .

حدَّثني به أَحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني محمَّد بن عبيد بن عُقْبة قال حدَّثنا محمَّد بن الصَّلْت قال حدَّثنا حيّان بن عليّ عن أَبي سعيد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال : كان النبيّ ﷺ إذا أَراد حاجةً تَباعَد حتى لا يَراه أَحدٌ ، فنَزَع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أَسودُ سالخ . فكان النبيّ ﷺ يقول : «اللهمّ إنّي أَعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أَربع ومن شرّ الجنّ والإنس» .

قال أَبو سعيد وحدَّثنا محمَّد بن إسماعيل الرَّاشِديّ قال حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حَيّان بن عليّ عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عبّاس مثلَه .

[نعم المطي والراكبان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا حاتم بن قَبيصة قال : سمِع السيّد محدِّثاً يحدِّث أَنّ النبيّ ﷺ كان ساجداً ، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره ؛

1 الحباب : الحيّة .

فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعْمَ المطيُّ مطيُّكُما ! فقال النبيّ ﷺ : «ونِعْمَ الراكبانِ هما» .
فانصرف السيّد من فَوره فقال في ذلك[1] : [من المتقارب]

أتـــى حسناً والحسينَ النبيُّ   وقــد جلسا حَجْـرةً يلعبانِ
ففَدّاهمـــا ثـــم حَيّاهمـا   وكانا لديــه بــذاك المكانِ
فرَاحَـــا وتحتَهمـا عاتِقـاه   فنعــم المَطِيَّـــةُ والــراكبانِ
وليــدان أمُّهمـــا بَـــرّةٌ   حَصانٌ مُطَهَّـــرةٌ للحَصانِ
وشيخُهما ابــنُ أبي طالــب   فنِعْــمَ الوَليــدانِ والــوالدانِ
خليــليّ لا تُرْجِيـا واعلمـا   بأنّ الهُـدى غيرُ مـا تزعُمانِ
وأنّ عَمى الشكِّ بعـدَ اليقين   وضَعْفَ البَصيرة بعــد العِيانِ
ضلالٌ فــلا تَلْجَجا فيهمـا   فبئستْ لعَمْــرُكُما الخَصْلتانِ
أيُرْجَـــى عــليٌّ إمــامُ الهُدَى   وعثمانُ مــا أعنــد المُرْجِيانِ
ويُرْجى ابنُ حَـرْبٍ وأشياعُه   وهُــوجُ الخَوارج بالنَّهْروانِ
يكــون إمامَهــمُ في المَعــاد   خبيثُ الهوى مؤمن الشَّيْصَبانِ[2]

[مدح المنصور وعنده سوّار فعارضه فهجاه]

وذكر إسماعيل بن السّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ قال حدَّثني محمَّد عن أبيه قال حدَّثني أبي وعمّي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدَّثنا الحارث بن عبد المطَّلب قال : كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجْلة بالبصرة وسَوّار بن عبد الله العَنْبَريّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيّد بن محمّد بين يديه يُنْشد قولَه[3] : [من البسيط]

إنّ الإلــه الذي لا شيءَ يُشْبهه   أعطاكم الملــكَ للدّنيــا وللدِّينِ
أعطاكم اللهُ مُلكــاً لا زوالَ لــه   حتى يُقادَ إليكم صاحبُ الصِّينِ
وصاحــبُ الهنــد مأخوذاً برُمَّته   وصاحبُ التُّرْك محبوساً على هُونِ

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشده ؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّارٍ يتربَّد غيظاً

1 ديوانه : 451–452 .
2 الشيصبان : الشيطان .
3 ديوانه : 444 .

ويَسْوَدّ حَنَقاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق ؛ فقال له المنصور : ما لك ؟ أرابَك شيءٌ ؟ قال : نعم ، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، واللهِ يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه ، وإنّ الذين يواليهم لغَيرُكم . فقال المنصور : مهلاً ! هذا شاعرُنا ووليُّنا ، وما عرفتُ منه إلاّ صدقَ محبّة وإخلاصَ نيّة . فقال له السيّد : يا أمير المؤمنين ، والله ما تحمَّلتُ غَضَّكم لأَحد ، وما وجدتُ أَبَوَيّ عليه فافتتنتُ بهما ، وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيّام عدوّكم . فقال له : صدقت . قال : ولكن هذا وأَهْلوه أعداءُ الله ورسولِه قديماً والذين نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات[1] ، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون﴾ (الحجرات : 4) . وجرى بينهما خطابٌ طويل . فقال السيّدُ قصيدتَه التي أوّلُها : [من مجزوء الرمل]

قِفْ بنا يا صاحِ واربَعْ بالمَغـاني المُـوحِشاتِ

أَنشدها أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن النَّوْفليّ . وأَخبرنا محمَّد بخبره مع سَوّار بالقصّة من هاهنا إلى آخرها ؛ وقال فيها : [من مجزوء الرمل]

يـا أَمينَ اللهِ يـا منـ ـصورُ يـا خيرَ الوُلاةِ
إنّ سوّار بـن عبد الله مـن شرّ القُضـاةِ
نَعْثَـلِيٌّ جَمَـلِيٌّ لكـمُ غيرُ مُـواتِ[2]
جَـدُّه سارقُ عَنْزٍ فَجْرَةً مـن فَجَراتِ
لـرسول الله والقـا ذِفـه بالمُنْكَـراتِ
وابنُ مَـن كان ينادي مـن وراء الحُجُـراتِ
يـا هَناةُ اخرُج إلينا إنّنـا أَهـلُ هَنـاتِ
مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ مِ يُصَـبْ بالزَّفَـراتِ
فاكْفِنِيـه لا كفـاه الـ ـله شَرَّ الطارِقـاتِ[3]

[اعتذر إلى سوّار فلم يعذره]

فشكـاه سَوّار إلى أَبي جعفـر ، فأَمرَه بـأَن يصير إليـه معتذراً ؛ ففعل فلم يَعْذِره ؛ فقال[4] : [من المتقارب]

---

1 يعني وفد بني تميم المعني في سورة الحجرات .

2 نعثلي : يهودي من أهل المدينة وقيل رجل من مصر كان يشبه به عثمان من قبيل النيل منه . جملي : نسبة إلى وقعة الجمل .

3 فاكفنيه في ل : فاكفناه .

4 ديوانه : 233–234 .

أَتيتُ دعِيَّ بني العَنْبر أروم اعتذاراً فلم أُعْذَرِ
فقلتُ لنفسي وعاتبتُها على اللؤم في فعلها أَقْصِري
أَيَعْتذر الحرُّ ممّا أتى إلى رجل من بَني العَنْبرِ
أبوك ابنُ سارق عَنْز النبيّ وأُمُّك بنت أَبي جَحْدَرِ
ونحن على رَغْمِك الرّافضو ن لأهل الضّلالة والمُنْكَرِ

[شكا سوّاراً إلى المنصور]

قال : وبلغ السيّدَ أنّ سَوّاراً قد أعدَّ[1] جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسوّارٍ وقال له : قد عزلتُك عن الحكم للسيّد أو عليه . فما تعرّض له بسوء حتى مات .

[بينه وبين أبي الخلال]

ورَوى عبد الله بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخَلاّل العَتَكيّ دخل على عُقْبة بن سَلْم والسيّدُ عنده وقد أمر له بجائزة ، وكان أبو الخَلاّل شيخَ العَشيرة وكبيرَها ، فقال له : أيّها الأمير ، أتُعْطي هذه العطايا رجلاً ما يَفْتُرُ عن سَبّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عُقْبة : ما علمتُ ذاك ولا أعطيته إلاّ على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قومٍ يَلْزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم . فقال له أبو الخَلاّل : فمُرْه إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمرَ حتى نعرفَ براءتَه ممّا يُنْسَب إليه من الرَّفْض . فقال : قد سمِعك ، فإن شاء فعل . فقال السيّد[2] : [من الطويل]

إذا أنا لم أحفَظ وَصاةَ محمَّدٍ ولا عهدَه يومَ الغديرِ المؤكّدا
فإنّي كمن يَشْرِي الضّلالةَ بالهُدَى تنصَّر من بعد التُّقى وتَهَوّدا[3]
وما لي وتَيْمَ أو عَدِيَّ وإنّما أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا[4]
تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ وليستْ صلاتي بعد أن أتشهّدا
بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ وأَدْعُ لهم ربّاً كريماً ممجَّدا
بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي مدى الدّهر ما سُمِّيتُ يا صاح سيّدا

---

1 ل : لقن .
2 ديوانه : 164–165 .
3 عجز البيت في الديوان : من بعد الهدى أو تهودا .
4 وتيمَ أو عديَّ في الديوان : تيماً أو عدياً .

وإنّ امرءاً يَلْحى على صدق وُدّهم … أحقُّ وأولَى فيهمُ أن يُفنَّدا
فإن شئتَ فاخْتَرْ عاجلَ الغَمّ ضِلَّةً … وإلاّ فأَمْسِكْ كي تُصانَ وتُحْمَدا

ثم نهض مُغْضَباً . فقام أبو الخَلاّل إلى عُقْبة فقال : أَعِذْني من شرِّه أَعاذك الله من السوء أيّها الأمير ؛ قال : قد فعلتُ على ألاّ تَعْرِضَ له بعدها .

[تزوّج تميميّة إباضيّة]

وممّا يحكى أنّه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضيّة ، فأعجبها وقالت : أُريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق . قال : يكون كنِكاح أُمِّ خارجةَ[1] قبل حضور وَليٍّ وشهودٍ . فاستَضْحَكتْ وقالت : ننظر في هذا ؛ وعلى ذلك فمَن أنت ؟ فقال[2] : [من البسيط]

إن تَسأليني بقومي تسألي رجلاً … في ذِرْوة العزّ من أَحياء ذي يمنِ
حَولي بها ذو كَلاعٍ في منازلها … وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٌ وذو يَزَنِ
والأَزْدُ أَزْدُ عُمَانَ الأكْرَمون إذا … عُدَّت مآثِرُهم في سالف الزمنِ
بانت كريمتُهم عنّي فدارُهمُ … داري وفي الرَّحْب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلَحْجٍ منزلٌ وَسَطٌ … منها ولي منزلٌ للعزّ في عدنِ
ثمَّ الوَلاء الذي أَرجو النجاة به … من كَبَّة النار للهادي أبي حسنِ

فقالت : قد عرفناك ، ولا شيءَ أعجبُ من هذا : يمانٍ وتميميّةٌ ، ورافِضيٌّ وإباضيّة ، فكيف يجتمعان ؟ . فقال : بحسن رأيك فيّ تسخو نفسُك ، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً . قالت : أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معه المستور ، وظهرت خَفيّاتُ الأُمور ؟ . قال : فأنا أَعْرِضُ عليك أُخرى . قالت : ما هي ؟ قال : المُتعة التي لا يعلم بها أَحد . قالت : تلك أُختُ الزِّنا . قال : أُعيذك بالله أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان ! . قالت : فكيف ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿فما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾ . فقالت : أَستخِير اللهَ وأُقلِّدك أن كنتَ صاحبَ قِياس . ففعلت . فانْصَرفتْ معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أهلَها من الخوارج أَمرُها ، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوّجتِ بكافر ! فجَحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتعة . فكانت مدّةً تختلف إليه على هذه السبيل من المُتْعة وتُواصِله حتى افترقا .

---

1 المثل : أسرع من نكاح أُمّ خارجة في الميداني 1 : 348 والدرة الفاخرة 1 : 224 وفصل المقال : 500 والضبي : 58 .

2 ديوانه : 439–440 .

[بينه وبين ابن لسليمان بن علي]

وقال الحسن بن عليّ بن المُغيرة حدَّثني أَبي قال : كنتُ مع السيّد على باب عُقْبة بن سَلْم ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ[1] ننتظره وقد أُسْرِج له ليَرْكَبَ ، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيّد : أشعرُ الناسِ واللهِ الذي يقول : [من البسيط]

محمَّدٌ خيرُ مَن يمشي على قَدمٍ وصاحِباه وعثمانُ بن عفَّانا

فوثَب السيّد وقال : أَشعرُ والله منه الذي يقول[2] : [من البسيط]

سائِلْ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ مَنْ كان أثبتَها في الدِّين أوتادا
مَن كان أعلَمها عِلماً وأحلَمها حلماً وأُصدقَها قَولاً ومِيعادا
إن يَصْدُقُوك فلن يَعْدُوا أَبا حسنٍ إنْ أَنتَ لم تَلْقَ للأَبرار حُسّادا

ثم أَقبل علىٰ الهاشميّ فقال : يا فتى ، نعمَ الخَلَفُ أَنت لشرف سَلَفِك ! أَراك تَهْدِم شرفَك ، وتَثْلِب سَلَفك ، وتَسعى بالعداوة على أَهلك ، وتُفَضِّل من ليس أَصلُك من أَصله على مَنْ فضلُك من فضله ؛ وسأُخبر أَميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك . فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقْبَةَ بن سَلْم . وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكُوبةِ حتى خرجت الجائزةُ للسيّد .

[يكره إطالة الجلوس إذا لم يمدح آل محمَّد]

أَخبرني محمَّد بن جعفر النَّحويّ قال حدَّثنا ابن القاسم البَزِّيّ عن إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أَبي حرب بن أَبي الأسود الدُّؤَلِيّ قال : كنّا جلوساً عند أَبي عمرو بن العلاء ، فتذاكرنا السيّدَ ، فجاء فجلس ، وخُضْنا في ذكر الزرع والنخلِ ساعةً فنَهض . فقلنا : يا أَبا هاشم ، مِمّ القيامُ ؟ فقال[3] : [من الكامل]

إنِّـي لأَكـره أَن أُطيل بمجلس لا ذكـرَ فيـه لفضل آل محمَّد
لا ذكـرَ فيـه لأَحمـد ووصيّه وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردِي[4]
إنّ الذي ينساهُـمُ في مجلس حتّـى يفارقَـه لغيـرُ مسَدَّد

---

1 عم أَبي جعفر المنصور .

2 من أَبيات في ديوانه : 160–162 والبيت الثاني فيه :

مَن كان أقدمها سلماً وأَكثرها علماً وأَطهرها أَهـلاً وأَولادا

3 ديوانه : 177–178 .

4 النطف : السيّىء الفاسد والمتّهم بريبة .

[سكره بالأهواز وحبسه]

وروى أبو سليمان النَّاجي : أنّ السيّد قدِم الأهوازَ وأبو بُجير بن سِماك الأسديّ يتولاّهما ، وكان له صديقاً . وكان لأبي بجير مولىً يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيّد يُنشده أبا بجير ، وكان أبو بجير يتشيَّع . فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرِب عندهم ؛ فلمّا أمسى انصرف ، فأخذه العَسَس فحُبِس . فكتب مِن غده بهذه الأبيات وبَعث بها إلى يزيد بن مَذعور . فدخل على أبي بُجير وقال : قد جَنى عليك صاحبُ عَسَسك ما لا قِوامَ لك به . قال : وما ذلك ؟ قال : اسمع هذه الأبيات ، كتبها السيّدُ من الحبس ؛ فأنشده يقول[1] : [من الكامل]

قِف بالدِّيـار وحيِّهـا يا مَرْبَعُ ... واسأل وكيف يُجيبُ من لا يَسمعُ
إنّ الدِّيـارَ خَلَتْ وليس بجوِّها ... إلاّ الضَّوابـحُ والحَمـامُ الوُقَّعُ[2]
ولقد تكونُ بهـا أوانسُ كالدُّمى ... جُمْلٌ وعَـزَّةُ والرَّبـابُ وبَوْزَعُ
حورٌ نواعـمُ لا تُـرى في مثلها ... أمثالُهـنّ مـن الصيانـة أرْبَـعُ
فَعَرِيـنَ بعـد تألُّفٍ وتَجمُّـع ... والدَّهْرُ ، صاحِ ، مُشَتِّتٌ ما تَجمعُ
فاسلَم فإنّك قـد نزلتَ بمنزل ... عنـد الأمير تَضرُّ فيـه وتَنْفَعُ
تُؤْتى هـواك إذا نطقتَ بحاجـةٍ ... فيـه وتَشْفَـع عنـده فيُشَفَّعُ
قُـلْ للأمير إذا ظفِرتَ بخَلْوة ... منـه ولم يكُ عنـده مَن يَسمعُ
هَـبْ لي الذي أحببته في أحمـد ... وبَنِيه إنّـك حاصدٌ مـا تَزْرَعُ
يَخْتَـصّ آلَ محمَّـد بمحبّـة ... في الصَّدر قد طُوِيَتْ عليها الأضْلُعُ

في هذا الغناءِ لسعيد[3] .

[يهجو سوار القاضي بعد موته]

وحَكى ابن الساحر : أنّ السيّد دُعِي لشهادة عند سَوّار القاضي ؛ فقال لصاحب الدَّعوى : أعْفِني من الشهادة عند سوّارٍ ؛ فلم يُعْفِه صاحبُها منها وطالبَه بإقامتها عند سَوّار . فلمّا حضر عنده وشهِد قال له : ألَمْ أعْرِفك وتعرِفني ؟ وكيف مع معرفتك بي تُقْدِم على الشهادة عندي ؟

1 ديوانه : 268–272 وقد ضمّ إليها الأبيات العينية التي سترد فيما بعد .
2 الضوابح : الثعالب .
3 يبدو أنّ الخبر لم يتمّ ، وسيأتي تمامه مع بقيّة القصيدة بعد قليل . وقوله «في هذا الغناء لسعيد» ناقص أيضاً ولم يكمله .

فقال له : إنّي تخوّفتُ إكراهَه ، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منّي فأقمتُها ؛ فلا يَقْبَل الله لك صَرْفاً ولا عَدْلاً إن قبِلْتَها ، وقام من عنده ؛ ولم يقدِر سوّارٌ له على شيء لِما تقدَّم به المنصورُ إليه في أمره ، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يَقض يومئذٍ بين اثنين . ثم إنّ سوّاراً اعتلّ علّته التي مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه في حياته لِنَهْي المنصور إيّاه عن ذلك . ومات سوّار فأُخْرِج عَشيّاً وحُفِر له . فوقع الحفر في موضع كَنِيف . وكان بين الأَزْد وبين تَمِيم عداوةٌ ، فمات عَقِب موته عبّادُ بن حبيب بن المهلّب ؛ فهجا السيّدُ سوّاراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها إلى نوائح الأَزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحْنَ بها ، وأوّلُها[1] : [من البسيط]

يا مَـنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوّارِ ... من داره ظاعنـاً منهـا إلى النارِ
لا قدّس اللهُ رُوحـاً كان هيكلَها ... فقد مضتْ بعظيم الخِزْيِ والعارِ
حتى هوَتْ قَعْرَ بُرْهُوتٍ مُعَذَّبَةً ... وجسمُه في كنيف بـين أَقذارِ[2]
لقـد رأيـتُ مـن الرحمن مُعْجِبَةً ... فيـه وأَحكامُـه تجـري بمقدارِ
فاذهَبْ عليك مـن الرحمن بَهْلَتُه ... يا شرَّ حـيٍّ براه الخالقُ الباري[3]

[مازح صديقاً زنجيّاً]

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد البقّال قال حدَّثنا شَيْبان بن محمَّد الحَرَّانيّ ، وكان يُلَقَّب بَعُوضةَ وصار من سادات الأَزد . قال : كان السيّد جاري ، وكان أَدْلَم[4] ، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتىً مثلُه أَدْلَمُ غليظُ الأَنف والشَّفتين مُزَنَّج الخلْقة . وكان السيّد من أَنتَن الناسِ إبطين . وكانا يتمازحان ، فيقول له السيّد : أَنت زِنجيّ الأَنفِ والشّفتين ، ويقول الفتى للسيّد : أَنت زَنجيّ اللون والإبطين . فقال السيّد[5] : [من الوافر]

أَعـارِكَ يـومَ بِعْنـاه رَبـاحٌ ... مشافـرَه وأَنفَـك ذا القبيحا[6]

1 ديوانه : 230–232 مع بعض اختلاف وخمسة أبيات أُخرى .
2 برهوت : بئر في حضرموت قيل إنّ فيها أرواح الكافرين .
3 البهلة : اللعنة .
4 أدلم : شديد السواد .
5 ديوانه : 148 .
6 رباح : من أسماء العبيد .

وكانت حِصّتي إبطَـيَّ منـه ... ولونـاً حالكاً أمسى فَضُوحا
فهـل لك في مُبادَلَتِيكَ إِبْطِي ... بأنفـك تَحمـدُ البيعَ الرَّبيحا
فإنّـك أقبـحُ الفتيانِ أنْفاً ... وإبطـي أنتـنُ الآبـاط رِيحا

[هجا امرأة صديقه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني شَيْبان قال : مات منّا رجلٌ موسِرٌ وخلَف ابناً له فورِث مالَه وأتلفه بالإسراف ، وأقبل على الفَساد واللهو ، وقد تزوّج امرأةً تسمَّى ليلى ، واجتمع على السيّد وكان من أظرف الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالاً كثيراً ؛ وكانت ليلى تعذِلُه على إسرافه وتقول له : كأنّي بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً . فهجاها السيّد . وكان ممّا قال فيها[1] : [من البسيط]

أقولُ يا ليتَ ليلى في يَدَيْ حَنِقٍ ... من العداوة منْ أعـدى أعاديها
يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يَحْدِرها ... في هُـوّة فَتَدهْدى يومَهـا فيها
أوْ ليتَها في عِمار البحر قد عصفت ... فيه الرِّياح فهاجت مـن أواذِيها[2]
أوْ ليتَها قُرِنَت يومـاً إلى فرسي ... قـد شُدَّ منها إلى هادِيـه هادِيها
حتى يُرى لحمُها من حُضْرِه زِيَماً ... وقد أتى القومَ بعد الموتِ ناعيها[3]
فمَنْ بكاها فـلا جفَّتْ مدامعُه ... لا أسْخن اللهُ إلاّ عـينَ باكيها

[يشكر والي الكوفة على رداء أهداه له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدَّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمَّد بن كُناسة قال : أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنيّاً ؛ فكتب إليه السيّد فقال[4] : [من البسيط]

وقـد أتانـا رداءٌ مـن هَدِيّتكم ... فلا عَدِمتُك طولَ الدَّهر مِنْ والِ
هـو الجمالُ جزاكَ اللهُ صالحـةً ... لـو أنّه كان موصولاً بسِرْبالِ

فبعث إليه بخِلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال : يُقطع عتابُ أبي هاشمٍ واستزادتُه إيّانا .

---

1 ديوانه : 467 .
2 الأواذي : الأمواج واحدها آذيّ .
3 الزيم : القطع المتفرّقة .
4 ديوانه : 343 .

[يسبّ الشيخين عندما سمع قاصاً يمدحهما]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن بعض البَصريّين عن سليمان بن أَرْقَم قال : كنتُ مع السيّد ، فمرَّ بقاصٍ على باب أبي سفيان بن العَلاء وهو يقول : يُوزَن رسولُ الله ﷺ يومَ القيامة في كِفّة بأُمّته أجمع فَيَرْجَحُ بهم ، ثم يُؤْتى بفلان فيوزن بهم فَيَرجَح ، ثم يُؤتى بفلان فيُوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لعَمْري إنّ رسول الله ﷺ لَيَرجَح على أمّته في الفضل ، والحديث حقٌّ : وإنّما رجَح الآخَران الناسَ في سيّئاتهم ؛ لأنّ مَن سَنَّ سُنَّة سيّئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووزر مَن عَمِل بها . قال : فما أجابه أحدٌ . فمضى فلَم يَبقَ أحدٌ من القوم إلاّ سَبّه .

[يتغزّل ببنت الفجاءة]

وقال أبو جعفر الأعرج حدَّثني إسماعيل بن السّاحر قال : خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى . فلمّا كنّا بزَهْران لَقِيَتْنا بنتُ الفُجاءَة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وكانت امرأةً بَرْزةً حسناءَ فصيحةً ، فواقفها السيّد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش ، فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . فقال السيّد[1] : [من الكامل]

. . . . من ناكِثين وقاسطين الأَرْوَعُ
. . . . حول الأمين وقال هاتِ ليَسمعوا
قم يا ابن مَذْعورٍ فأَنْشِد نكّسوا خُضُعَ الرّقاب بأعين لا تُرْفعُ
لولا حِذارُ أبي بجير أظهروا شنآنهم وتفرّقوا وتصدّعوا
لا تجزَعوا فلقد صبَرْنا فاصبروا سبعين عاماً والأُنوفُ تُجدَّعُ
إذ لا يزال يقوم كلَّ عَرُوبةٍ منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقعُ[2]
مُسحَنْفِرٌ في غيّه مُتَتايعٌ في الشَّتم مثلَه بخيل يسجعُ[3]
ليَسُرَّ مخلوقاً ويُسْخِط خالقاً إنّ الشقيّ بكلّ شرٍّ مُولَعُ

فلمّا سمِعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسِه فشتَمه وقال : جنيتَ عليّ ما لا يَد لي به ؛ اذهبْ صاغراً إلى الحبس وقل : أيّكم أبو هاشم ؛ فإذا أجابك فأخرِجه واحمِله على دابّتك وامشِ معه

1 لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر . ويبدو أنّ الأبيات التالية وما بعدها تتمّة لخبر حبسه على السكر في الأهواز .
2 عروبة : يوم الجمعة .
3 مسحنفر : سريع . متتايع : متهافت .

صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيّدُ ولم يُجبه إلى الخروج إلاّ بعد أن يُطلِق له كلَّ مَن أخذ معه . فرجع إلى أبي بُجَير فأخبره ، فقال : الحمدُ لله الذي لم يَقُل أخرِجْهم وأَعْطِ كلَّ واحدٍ منهم مالاً ، فما كنّا نقدِر على خلافه ؛ افعلْ ما أَحَبَّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلّ مَن كان معه ممّن أُخِذ في تلك الليلة ، وأُتي به إلى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال : قدِمتَ علينا فلم تأتِنا وأتيتَ بعض أصحابك الفسّاق وشربتَ ما حُرّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر من ذلك إليه ؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمَله وأقام عنده مدّةً .

[أبو بجير والتشيّع]

قال النَّوْفليّ وحدَّثني أبي : أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم ، ثم جاءوه فعاتَبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ ؛ فغضِب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشِدْني وَيْلَك لأبي هاشم . فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

يـا صاحبيّ لدِمْنَتَيْن عفاهـا   مَـرُّ الرّيـاحِ عليهما فمحاهما

حتى فرغ . ثم قال : هاتِ النُّونيّة ؛ فأنشده[2] : [من الكامل]

يـا صاحبيَّ تَرَوَّحـا وذَراني   ليس الخليُّ كمُسْعَر الأحزانِ

فلمّا فرغ قال : أنشدني الدمَّاغةَ الرائيّة ، فأنشده إيّاها . فلمّا فرغ أقبل عليه الثَّغْريُّون فقالوا له : ما أعْتَبْتَنا فيما عاتَبناك عليه . فقال : يا حَمِير ! هل في الجواب أكثر ممّا سمِعتم ؟ والله لولا أنّي لا أعلم كيفَ يَقع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقَكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّدَ الخبرُ فقال[3] : [من الوافر]

إذا قـال الأميـر أبـو بجيرٍ   أخـو أسدٍ لمنشده يَزيـدا
طَربتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم   مديحـاً من مديحـك أو نشيدا
رأيتَ لِمَـن بحضرته وجُوهـاً   مـن الشُّكّاك والمُرْجين سُودا
كأنّ يزيـد يُنْشِد بامتـداح   أبـا حسنٍ نَصـارى أو يهودا

[أشعر الناس أبو العبدي]

ورَوى أبو داود المسترِق : أنّ السيّد والعبديّ اجتمعا ؛ فأنشد السيّد[4] : [من البسيط]

1 ديوانه : 385 .

2 ديوانه : 445 .

3 ديوانه : 163 عن الأغاني .

4 ديوانه : 418 ورواية صدر البيت الثاني فيه : وما به دان يوم النهر دنت به

إنّي أَدِين بما دان الوَصيّ بــه ... يوم الخُرَيْبةِ من قتل المُحلِّينا[1]

وبالذي دان يومَ النهروان بــه ... وشاركت كفَّــه كفّــي بصِفِّينا

فقال له العَبْديّ : أخطأت ، لو شاركتْ كفُّك كفّه كنتَ مثله ؛ ولكن قُل : تابعت كفّي كفّه لتكونَ تابعاً لا شريكاً . فكان السيّد بعد ذلك يقول : أنا أشعر الناس إلاّ العبديّ .

[سكر وسبّ الشيخين]

وقال إسحاق النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساحر قال : كنتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز ؛ فجلس فيها معنا قومٌ شُراةٌ ، فجعلوا يَنالون من عثمان . فأخرج السيّد رأسه إليهم وقال[2] : [من البسيط]

شَفَيْتَ مــن نَعْثلٍ في نَحْت أَثْلتــه ... فاعْمِد هُدِيتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ[3]

اعمِدْ هُدِيتَ إلى نحت اللّذيْن هما ... كانا عــن الشرّ لــو شاءا غنيَّيْنِ

قال إسماعيل : فلمّا قَدِمنا الأهوازَ قدِم السيّد وقد سكِر ، فأُتي به أبا بجير بن سمّاك الأَسَديّ ؛ وكان ابنُ النّجاشيّ عند ابن سمّاك بعد العِشاء الآخِرة ، وكان يعرفه باسمه ولم يعرفه . فقال له : يا شيخ السّوء ، تخرج سكرانَ في هذا الوقت ! لأُحْسِنَنَّ أَدَبَكَ . فقال له : والله لا فعلتَ ، ولتُكرِمنّي ولتَخْلَعنّ عليَّ وتَحمِلَني وتُجيزَني . قال : أَوَتَهزَأُ أيضاً ! قال : لا والله ؛ ثم اندفع يُنشده فقال[4] : [من البسيط]

مَن كان معتذِراً مــن شَتْمه عمراً ... فابــنُ النَّجاشيّ منــه غيرُ مُعْتذِرِ

وابنُ النجاشي بَراءٌ ، غيرَ محتشم ، ... في دينه مــن أبي بكر ومن عمرِ

ثم أنشده قوله[5] : [من الكامل]

إحداهما نَمَّتْ عليــه حديثَــه ... وبَغَــتْ عليــه نفسه إحداهما[6]

فهما اللتان سمِعتُ ربَّ محمّد ... في الذكر قصَّ على العباد نَباهما[7]

فقال : أبو هاشم ؟ فقال نعم . قال : ارتَفِعْ . فحمَله وأجازه ، وقال : والله لأُصدِّقنّ قولك في جميع ما حلَفتَ عليه .

---

1 الخريبة : موضع ، بالبصرة كانت به وقعة الجمل .

2 ديوانه : 441 عن الأغاني .

3 نحت أثلته : ذمه وتنقصه .

4 ديوانه : 238 عن الأغاني .

5 أنظر ديوانه : 386 .

6 يقصد حفصة وعائشة .

7 إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم : ﴿وإذْ اسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجهِ حديثاً . . .﴾ .

[أباح له أبو بجير شرب النبيذ]

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّدَ متغيِّر اللّونِ ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فقَدْتُ الشرابَ الذي ألِفتُه لكراهةَ الأمير إيّاه ؛ قال : فاشرَبْه ، فإنّنا نحتمله لك . قال : ليس عندي . قال لكاتبه : اكتُب له بمائتي دَوْرق مِيبخْتج[1] . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال : البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعَ ما يُستغنى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتي دَوْرق «مِي» ولا تكتب «بَخْتج» ، فإنّك تَستغني عنه . فضحك ، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك . قال : والمِي : النبيذ .

[شماتة المرجئة بأبي بجير]

قال إسماعيل : وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز أنّ أبا بجير قد أشرف على الموت ، فأظهرت المُرْجئةُ الشّماتةَ به . فخرج السيّد متحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها ، وأنشأ يقول[2] : [من الوافر]

تَباشَر أهلُ تَدْمُرَ إذ أتاهم	بأمر أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ إليهم	صغيرٌ في الحياة ولا كبيرُ
سوى حبِّ النبيّ وأقْرَبيه	ومولاهم بحبِّهمُ جديرُ
وقالوا لي لكَيما يُحزِنوني	ولكن قولهم إفْكٌ وزورُ
لقد أمسى أخوك أبو بجير	بمنزله يُزار ولا يَزورُ
وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ	كأنّ الأرضَ تحتهمُ تَمورُ
فبِتُّ كأنّني ممّا رَمَوْني	به في قِدّ ذي حَلَقٍ أسيرُ
كأنّ مدامعي وجفونَ عيني	تُوَخَّز بالقَتاد فهنّ عُورُ
أقولُ عَليَّ للرحمن نَذْرٌ	صحيحٌ حيث تُحْتَبَسُ النّذورُ
بمكّةَ ، إن لقِيتُ أبا بُجَيْرٍ	صحيحاً واللّواءُ له يسيرُ

وهي قصيدة طويلة .

[أنشد النبيّ في النوم قصيدته العينية]

وروى محمَّد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيّد : أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، فاستنشده فأنشده قوله : [من السريع]

1 ميبختج : كلمة فارسية مركّبة من «مي» ومعناها النبيذ و«بختج» ومعناها المطبوخ .

2 ديوانه : 207–208 عن الأغاني .

لأُمّ عمرو باللّــوى مَرْبَعُ طامِسةٌ أعلامُـــه بَلْقَـعُ

حتى انتهى إلى قوله :

قالوا لــه لو شئتَ أَعْلَمْتنا إلى مَــنِ الغايَــةُ والمَفْزعُ

فقال : حسبُك ! ثم نفَض يدَه وقال : قد واللهِ أَعلمتُهم .

[مرضه ووفاته]

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر : أنّهما حَضَرا السيّدَ عند وفاته بواسِط وقد أصابه شَرىً وكربٌ ؛ فجلس ثم قال : اللهمّ أهكذا جَزائي في حبّ آل محمَّد ! قال : فكأنّها كانت ناراً فطَفِئتْ عنه .

[يتبرأ من عثمان والشيخين وهو يحتضر]

وأخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ بإسنادٍ له لم يحضُرني وأنا أُخَرِّجه إن شاء الله تعالى قال : حدَّثني مَن حضر السيِّد وقد احتُضِر فقال[1] : [من السريع]

بَرئتُ إلى الإله من ابــنِ أَرْوَى ومن دِين الخوارج أجمعينا[2]

ومــن فُعَــلٍ بَرئتُ ومن فُعَيْلٍ غــداةَ دُعِــي أَميرَ المؤمنينا[3]

ثم كأن نفسه كانت حَصاةً فسقطتْ .

[أهل واسط لا يدفنونه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن أبي الهُذَيْل العَلاّف عن أبي جعفر المنصور قال : بلَغني أنّ السيِّد مات بواسط فلم يَدفِنوه . والله لئن تحقَّق عندي لأُحرِقنّها ! .

[محبو آل محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين]

ووجدتُ في بعض الكتب : حدَّثني محمَّد بن يحيى اللّؤلئيّ قال حدَّثني محمَّد بن عباد بن صُهَيْب عن أبيه قال : كنتُ عند جعفر بن محمَّد ، فأتاه نعْيُ السيّد ، فدعا له وترحَّم عليه . فقال رجلٌ : يابنَ رسول الله ، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمِن بالرَّجْعة ؟ فقال : حدَّثني أبي عن جَدّي أنّ مُحِبّي آلِ محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين وقد تاب ، ورفَع مُصَلّىً كانت تحته ، فأخرج كتاباً من السيّد يعرِّفه فيه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء له .

1 ديوانه : 427 .

2 ابن أروى : عثمان بن عفّان .

3 يعني أبا بكر وعمر .

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمَّد بن إدريس العُتْبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِمْيَريّ حدَّثه أنّ السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيّامه مات ، وأنّه مدَحه بقصيدتين فأمر له بِبَدْرتيْن ففرَّقهما . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبولِ جوائزنا .

[لمّا مات أُحضر له سبعون كفناً]

أخبرني ابن عمَّار قال حدَّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد بن بَشير بن عَمّار الصَّيْرفيّ عن جدّه بشير بن عمّار قال : حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة ببغداد ، فوجّه رسولاً إلى صفّ الجَزّارين الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسولُ فذهب إلى صفّ السموسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلِم أنّه قد غَلِط ، فعاد إلى الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فوافاه سبعون كفناً . قال : وحضرناه جميعاً وإنّه ليتحسَّر تحسّراً شديداً[1] وإن وجهه لأسودُ كالقار وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القِبلة ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعلُ هذا بوليّك ؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى . قال : فتجلّى والله في جبينه عِرْقُ بياض ، فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كلُّه كالبدر[2] ، وتوفّي فأخذنا في جِهازه ودفنّاه في الجُنينة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

---

1 ل : لينخر نخيراً .

2 ل : كالبرد .

109 ـ [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

صوت من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ نــاءٍ قليــلِ الأَصادقِ

ولا ذَنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جِيرةٌ ... أَثِيبي بــوُدٍّ قبــل إحدى البوائقِ

عروضُه من الطويل .

قوله : «فلا زلن حسرى» : دعاء على الإبل التي ظعَنتْ بها وأبعدتْها عنه . وحسرى : قد حَسِرن أي بَلَغ منهن الجَهْدُ فلم يُبْقِ فيهنّ بقيَّةً ، يقال : حسَر ناقتَه فهو يَحسِرُها ، وهي حَسْرى ، والذَّكر حسير[2] ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وهُوَ حَسِيرٌ﴾ . وفي الحديث «فإن أتعبتها حسَرْتها» . والظَّلْعُ في كلّ شيء : أن تألم رجلُه فلا يقدر أن يمشي عليها فيَغْمِز في مَشْيه كالأعرج إذا مشى ، ويقال : ظلَع فهو ظالِعٌ . والنائي : البعيد ، والنيّة : الناحية التي تنوي إليها ، والنَّوى : البعد ، والتنائي : التباعد . والبوائق : الحوادث التي تأتي بما يُحْذَر بغتَةً ، وهي مثل المصائب والنوائب .

البيت الأوّل من الشعر لكُثيِّر ، ويقال : إنّه لأبي جُنْدَب الهذليّ . والبيت الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمة ، وزعم ابن دَأْبٍ أنّه عبد الله بن عَلْقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناةِ بن كِنانة ، وقيل أيضاً : إنّه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازِيه التي وجّهه رسول الله ﷺ فيها .

الغناء في اللحن المختار لُتَيِّمَ مولاةِ عليّ بن هشام وأُمِّ أولاده . ولحنُها رمل بالبنصر ، من رواية إسحاق وعمرو ؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ ، يقال : إنّه لحسين بن مُحْرِز ، ويقال : إنّه قديم من غِناء أهل مكّة .

---

1 انظر ديوان كثير عزّة (جمع إحسان عبّاس) : 533 .

2 في اللسان (حسر) : الذكر والأنثى سواء والجمع حسرى مثل قتيل قتلى .

[أُخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريا الغَلابيّ قال حدَّثنا العباس بن بكّار قال حدَّثنا ابن دَأْب قال : كان من حديث عبد الله بن عَلْقَمة أَحدِ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة أنّه خرج مع أُمّه وهو مع ذلك غلامٌ يَفَعَةٌ دون المُحْتَلِم لتزورَ جارةً لها ، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أَحدِ بني عامر بن عبد مناة بن كِنانة . فلمّا رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه ، وانصرف وترك أُمّه عند جارتها ، فلبِثتْ عندها يومين . ثم أَتاها عبد الله بن علقمة ليَرْجِعها إلى منزلها ، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحَيّ ، فازداد بها عَجَباً ، وانصرف بأُمّه في غَداةٍ تُمطر ، فمشى معها شيئاً ثم أَنشأ يقول : [من الوافر]

وما أَدري بَلى إنّي لأَدري ... أصَوْبُ القَطْرِ أَحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلق الهَدايا ... وما عن بُعْدها للصَّبّ عيشُ

فسمِعتْ ذلك أُمُّه فتغافَلَتْ عنه وكرِهت قولَه . ثم مَشَيا مَلِيّاً ، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأَرض ، فقال : [من البسيط]

يا أُمَّتا أَخبريني غيرَ كاذبةٍ ... وما يُريد مَسُولُ الحقّ بالكذبِ
أَتلك أَحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ ... لا بل حُبَيْشةُ في عيني وفي أَرَبي

فزجرتْه أُمُّه وقالت له : ما أَنتَ وهذا ؟ نُزوّجك بنتَ عمّك فهي أَجملُ من تلك . وأَتت امرأَةَ عمّه فأَخبرتْها خبرَه ، وقالت : زيّني ابنتَك له ، ففعلتْ وأَدخلتْها عليه . فلمّا رآها أَطرق . فقالت له أُمّه : أَيُّهما الآن أَحسن ؟ فقال : [من الطويل]

إذا غُيِّبتْ عنّي حُبيشةُ مرّةً ... من الدَّهر لم أَمْلِك عزاءً ولا صبرا
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشّه ... وَقود الغَضى والقلبُ مسْتعِرٌ [جمرا][1]

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقْته كما علِقها ، وكثُر قولُه للشعر فيها . فمن ذلك قال : [من الطويل]

حُبَيشةُ هل جَدّي وجَدُّك جامعٌ ... بشَمْلِكُمُ شَمْلي وأَهلِكُمُ أَهلي
وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مَرّةً ... بصَحْراء بين الأَلْيَتَيْن إلى النخلِ

---

1 يحشه : يوقده .

وهل أَشْتفي من رِيق ثغرِكِ مَرّةً   كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحْلِ

فلمّا بلغ أَهلَها خبرُهما حجبوها عنه مُدّة ، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها . فأَتَوْها فقالوا لها : عِدِيهِ السَّرْحةَ ، فإذا أَتاك فقولي له : نَشَدتُك اللهَ إن كنتَ أَحببتني فوالله ما على الأَرض شيءٌ أَبغض إليّ منك ، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين . فوعدتْه وجلسوا قريباً يستمعون ، وجلستْ عند السَّرْحة ، وأَقبل عبد الله لوعدها . فلمّا دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت إلى حيث أَهلُها جلوسٌ ، فعرَف أَنّهم قريب فرجَع . وبلَغه ما قالوا لها أَن تقولَه فأَنشأ يقول : [من الطويل]

لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جَوىً بكم   على أَنّه لم يَبْقَ سِتر ولا صبرُ
ولم يـكُ حبِّـي عن نوالٍ بذلتِه   فيُسْلِيَني عنـه التجهُّـمُ والهجـرُ
وما أنسَ مِ الأَشياء لا أَنس دمعَها   ونظرتَهـا حتـى يُغَيِّبنـي القبرُ

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة]

وبعث النبيّ ﷺ على أَثَر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة وأَمره أَن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أَجابوه وإلاّ قاتَلَهم . فصبَحَهم[1] خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء[2] وقد سمِعوا بـه فخافوه فظَعَنوا ، وكانوا قتلوا أَخاه الفاكهَ بن الوليد وعمَّه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، وكانوا من أَشدّ حيٍّ في كنانة بأساً يُسمَّوْن «لَعَقَة الدَم» . فلمّا صبَحَهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيْم ، وكانت بنو سليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّرِيد وإخوتِه كُرْزٍ وعمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم في موطن واحد . فلمّا صبَحَهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأَوْا معه بني سُلَيْم زادهم ذلك نفوراً . فقال لهم خالد : أَسْلِموا تَسْلَموا . قالوا : نحن قومٌ مسلمون . قال : فأَلْقُوا سلاحَكم وانْزِلوا . قالوا : لا والله . فقال جَذِيمةُ بن الحارث أَحدُ بني أَقْرَم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحَكم ، والله ما بعد وضعِ السلاح إلاّ القتل . قالوا : لا والله لا نُلْقي سلاحنا ولا نَنْزل ، ما نحن منك ولا لِمَن معك بآمِنين . قال خالدٌ : فلا أَمانَ لكم إن لم تَنزلوا . فنزلتْ فرقةٌ منهم فأَسَرهم ، وتفرَّق بقيّةُ القوم فِرقتين ، فأَصعَدتْ فرقةٌ وسفَلتْ فرقةٌ أُخرى .

[رواية أُخرى]

قال ابنُ دَأْب : فأَخبرني مَن لا أَتَّهم عن عبد الله بن أَبي حَدْرَد الأَسْلميّ قال : كنتُ

1 قارن بسيرة ابن هشام 2 : 429 وما بعدها وفي الشعر والرواية اختلاف غير يسير ، والرواية هنالك هي أيضاً عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلميّ .
2 الغميصاء : موضع قرب مكّة .

يومئذٍ في جند خالد ، فبَعَثَنا في أَثَر ظُعُن[1] مُصْعدةٍ يسوقُ بهنَّ فِتيةٌ ، فقال : أَدْرِكوا أُولئك . قال : فخرجنا في أَثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوْا ، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلمّا انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول : [من الرجز]

بيِّنَّ أَطرافَ الذُّيول واربُعْنْ   مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كأن لم يَفزَعْنْ

إن يُمْنَـعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ

فقاتلَنا طويلاً فقتلناه ، ومضينا حتى لحِقْنا الظُّعنَ ، فخرج إلينا غلام كأنّه الأوّل ، فجعل يقاتلنا ويقول : [من الرجز]

أُقسم مـا إن خادِرٌ ذو لِبْدَه   يـزأر بـين أَيْكةٍ ووَهْدَهْ[2]

يفرِس شُبّانَ الرجـالِ وَحْدَه   بأَصدقَ الغـداةَ منّـي نَجْدَهْ

فقاتَلنا حتى قتلناه ، وأَدركنا الظُّعْن فأَخذناهنّ ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ وفي لونه كالمنهوك ، فربَطْناه بحبل وقدّمناه لنقتله ؛ فقال لنا : هل لكم فيّ خير ؟ قلنا : وما هو ؟ قال : تُدركون بي الظُّعنَ أَسفلَ الوادي ثم تقتلونني ؛ قلنا : نفعل . فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أَسفلَ الوادي . فلمّا كان بحيث يَسْمعن الصوتَ ، نادى بأَعلى صوته : اسْلَمي حُبَيش ، عند نَفاد العيش . فأَقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسّانة فقالت : وأَنتَ فاسلم على كثرة الأَعداء ، وشدّة البلاء . فقال : سلامٌ عليكم دهراً ، وإن بقيت عصراً . قالت : وأَنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً تَتْرى ، وثلاثاً وِتْرا . فقال : [من الطويل]

إن يَقْتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ   هواك لهم منّي سوى غُلّة الصدرِ

وأَنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي   وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له : [من الطويل]

ونحن بكينا من فراقـك مـرّةً   وأُخرى وآسيْناك في العسر واليسرِ

وأَنت ، فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى ،   جميلُ العفافِ في المودّة والسّترِ

فقال لها : [من الطويل]

أَرَيْتَكِ إن طالبتُكـم فوجدتُكم   بحَلْيـةَ أَو أَدركتُكـم بالخَوانِقِ[3]

---

1 ظُعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .

2 الأسد الخادر : المقيم في عرينه .

3 الخوانق : جمع خانق وهو موضع بتهامة . حلية : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة .

أَلَمْ يكُ حقّـاً أن يُنـوَّل عاشقٌ   تكلَّف إدلاجَ السُّرَى والودائقِ[1]

فقالت : بَلى والله . فقال :

فلا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ   أَثِيبي بودٍّ قبـل إحـدى البوائِقِ

أَثِيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النّوى   ويَنْـأى خليـطٌ بالحبيبِ المفارقِ

قال ابن أَبي حَدْرَد : فضربنا عُنقَه ، فتقحّمت الجاريةُ من خِدْرِها حتى أَتت نحوَه فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه وإنّها لتكْسَع[2] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأَفلت من القوم غلامٌ من بني أَقْرَم يقال له السَّمَيْدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأَخبره بما صنع خالد وشكاه .

[علي يصلح خطأ خالد]

قال ابنُ دأب : فأَخبرني صالح بن كَيْسان أَنّ رسول الله ﷺ سأَله «هل أَنكر عليه أَحدٌ ما صنع» ؟ فقال : نعم ، رجلٌ أَصفرُ رَبْعةٌ ورجل أَحمرُ طويلٌ . فقال عمر : أَنا والله يا رسول الله أَعرفهما ، أَمّا الأَوّل فهو ابني وصفَتُه ، وأَمّا الثاني فهو سالم مولى أَبي حُذَيْفة . وكان خالد قد أَمر كلَّ من أَسَر أَسيراً أَن يضربَ عنقه ، فأَطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أَبي حُذيفة أَسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بعد فَراغه من حُنَيْن وبعث معه بإبلٍ ووَرِقٍ وأَمره أَن يَدِيَهم فوادَهم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فسأَله فقال عليّ : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أَن تَقْبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتْلى والجَرْحى وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أَن تقبَلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْع والفزَع ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أَن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ ممّا عَلِمَ وممّا لَم يَعْلَم ؟ قالوا نعم . قال : فدفعتُه إليهم ، وجعلتُ أَدِيهم ، حتى إنّي لأَدِي ميلغةَ الكلب ، وفضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها إليهم . فقال رسول الله ﷺ : «أَفَقَبِلوها ؟» قال نعم . قال : «فوالذي أَنا عبده لهي أَحبُّ إليّ من حُمْر النَّعَم» .

وقالت سَلْمى بنت عُمَيْس[3] : [من الطويل]

وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتىً   أُصيب فلم يَجْرَح وقد كان جارحا

ومـن سيّـدٍ كهل عليــه مَهابةٌ   أُصيب ولـمّا يَعْلُه الشيبُ واضحا

---

1 الودائق : جمع وديقة وهي شدّة الحرّ في الهاجرة .

2 تكسع : تضرب .

3 انظر سيرة ابن هشام 2 : 432 وفي الشعر اختلاف كبير .

أحاطت بخُطّابِ الأيامى وطلَّقت ... غَداتَئِذٍ مَن كان منهنّ ناكحا

ولولا مقالُ القومِ للقوم أسلِموا ... للاقَتْ سُلَيْمٌ يوم ذلك ناطحا

[إيقاع بني عامرٍ بن عبد مناة برجال قريش في الجاهلية]

قال ابنُ دِأب : وأمّا سببُ قتلهم القرشيّين ، فإنّه كان نَفرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديد . فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيّين : إيّاكم أن يكونَ معكم رجل من فَهْم ؛ لأنّه كان له عندهم ذَحْل . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلمّا راحوا أدركهم العامِريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهْمِيّ معهم في رِحالهم ، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالَهم . فقال راجزهم : [من الرجز]

إنّ قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ ... نحن قتلنا منهمُ بِغادَهْ[1]

عشرينَ كهلاً ما لهم زيادَهْ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عفّان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفّان ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة . فأرادت قريشٌ قتالَهم حتى خَذَلَتْهم بنو الحارث بن عبد مَناة فلم يفعلوا شيئاً . وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مَناة فيمن حضر الوَقْعةَ هو وضِرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطّاب[2] بقوله : [من المتقارب]

دعوتُ إلى خُطَّةٍ خالداً ... من المجد ضيَّعها خالدُ

فوالله أدري أضاهى بها ... بَني العَمّ أم صدرُه باردُ

ولو خالدٌ عاد في مثلها ... لتابَعه عُنُقٌ وارِدُ[3]

وقال ضِرارٌ أيضاً : [من الطويل]

أرى ابنَيْ لُؤَيٍّ أسرَعا أن تَسالما ... وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسْلَكِ

فإن أنتُم لم تَثْأروا برجالكم ... فَدُوكوا الذي أنتم عليه بِمدْوَكِ[4]

---

1 غادة : موضع في ديار كنانة .

2 هو ضرار بن الخطاب الفهري من الأشراف والشعراء المعدودين من مسلمة الفتح .

3 عنق وارد : أي متدلٍّ ، كناية عن موته .

4 دوكوا : اسحقوا .

فإنّ أداةَ الحرب ما قد جمعتُم ومن يَتَّقِ الأقوامَ بالشرّ يُترَكِ

[سرايا النبيّ إلى قبائل كنانة]

فلمّا كان يومُ فتح مكّة بعث رسولُ الله ﷺ بالجيوش إلى قبائلِ بني كنانة حولَه ، فبعث إلى بني ضَمْرة نُمَيْلةَ بن عبد الله اللَّيثيّ ، وإلى بني الدُّئِل عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ ، وبعث إلى بني مُدْلج عيّاشَ بن أبي رَبيعة المخزوميّ ، وبعث إلى بني بَغِيض ومحارب بن فهر عبدَ الله بن نَهيك أحدَ بني مالك بن حِسْل ، وبعث إلى بني عامر بني عبد مَناة خالداً . فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيْصاء ؛ وقد كان خبرُه سقط إليهم ، فمضى منهم سَلَفٌ قتله بقوم منهم ، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُعَيْن بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم ، فأُصيب مَن أُصيب . فلمّا أقبل خالد ودخلِ المدينةَ قال له النبيّ ﷺ : «يا خالدُ ما دعاك إلى هذا» ! قال : يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك . قال : «وما هي» ؟ قال : قولُ الله عزّ ذكرُه : ﴿قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءَني ابنُ أمّ أصْرَمَ فقال لي : إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تقاتِلَ . فحينئذٍ بعث رسول الله ﷺ فوَداهم .

أخبرنا محمَّد بن خلَف وَكيع قال حدَّثنا سعد بن أبي نصر قال حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَيْنة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال : بعَثَنا رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ وأمَرَنا ألاّ نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سمِعنا أذاناً ، قال وَكيع وأخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدَّثنا إبراهيم بن بَشّار الرَّماديّ قال حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نَوْفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال : فبينا نحن نسير إذا بفتىً يسوق ظعائنَ ؛ فعرَضْنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرِفه ؛ فقال : ما أنتم صانعون بي إن لم أُسلِم ؟ قلنا : نحن قاتِلُوك . قال : فدَعُوني أَلْحَقْ هذه الظعائنَ ، فتركناه ؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال : اسْلَمي حُبَيْش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : وأنتَ فاسلم تِسْعاً وترا ، وثمانياً تَتْرى ، وعشراً أُخرى . فقال لها : [من الطويل]

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثِيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائقِ

أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ويَنْأى أميرٌ بالحبيبِ المُفارقِ

قال : ثم جاء فضربنا عنقَه . فخرجَتْ من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فَجَنَأتْ[1] عليه ، فما زالت تبكي حتى ماتت .

---

1 جنأت : أكبت .

[حديث خالد للنبيّ عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وعمرو بن عبد الله العَتَكيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : يُروى أنّ خالد بن الوليد كان جالساً عند النبيّ ﷺ ، فسُئل عن غزوته بَني جَذِيمة فقال : إنْ أُذِن رسولُ الله ﷺ تحدّثتُ . فقال : «تحدّثْ» . فقال : لقِيناهم بالغُمَيْصاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغيبُ ، فمنَحنا اللهُ أكتافَهم فتبِعْناهم نطلبهم ، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنُوب[1] في أُخْرَيات القوم ، فبوّأتُ[2] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه ؛ فقال : لا إله ، فقبضتُ عنه الرّمح ؛ فقال : إلاّ اللاّت أحسنتْ أو أساءت . فهمَسْتُه[3] هَمْسةً أذْرَيْتُه وَقِيذاً[4] ؛ ثم أخذتُه أسيراً فشددتُه وَثاقاً ؛ ثم كلّمته فلم يكلّمني ، واستخبرتُه فلم يُخبرني . فلمّا كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذيمة يسوقُ بهنَّ المسلمون ، فقال : أيا خالد ، قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقِفي على هؤلاء النِّسوة ؟! فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ ، وفيهن جارية تُدْعى حُبَيْشة ؛ فقال لها : ناوليني يدَك فناولتْه يدَها في ثوبها ؛ فقال : اسلمي حبيش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : حُيِّيتَ عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تَتْرى . فقال : [من الطويل]

أَرَيْتكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بِحَلْيَةَ أو أدركتُكم بالخَوانِقِ
أَلم يَكُ حقّاً أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلّف إدلاجَ السُّرى والودائِقِ
وقد قلتُ إذ أهلي لأهلِك جيرةٌ ... أَثِيبي بودٍّ قبل إحدى الصّعائقِ
أَثِيبي بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارقِ
فإنّيَ لا ضيّعتُ سرَّ أمانتي ... ولا راقَ عيني بعد عينك رائقُ[5]
[سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدّ إلاّ أن يكونَ التَّوامُقُ]

فلمّا جاءَ على حاله تلك قدَّمتُه فضربتُ عنقه . فأقبلت الجاريةُ ووضعتْ رأسَه في حِجْرها وجعلت تَرْشُفُه وتقول : [من الطويل]

لا تَبْعَدنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً ... فحقّ بحسن المدح مثلُك من مثلي

---

1 ذنوب : وافر الذنب .
2 بوأ الرمح : سدّده .
3 همسه : عصره .
4 الوقيذ : المشرف على الموت .
5 في هذا البيت والذي يليه إقواء فلعلّهما أضيفا إلى الأبيات المتقدّمة .

لا تَبْعَدن يا عمرو حيّاً وهالكاً فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعلِ
فمَنْ لِطِرَاد الخيلِ تُشْجَر بالقَنا وللفخرِ يوماً عند قَرْقَرة البُزْلِ

وجعلت تبكي وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسَه لفي حِجْرها . فقال رسول الله ﷺ : «لقد رُفِعتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلَكاً لَمُطِيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلتَه» .

[طرب أبي السائب المخزوميّ]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن المُنْذِر عن صفيّة بنت الزُّبَير بن هشام قالت : كان أبو السائب المخزوميّ رجلاً صالحاً زاهداً متقلّلاً يصوم الدَّهرَ ، وكان أرقَّ خلق الله وأشدَّهم غزَلاً . فوجَّه ابنَه يوماً يأتيه بما يُفْطر عليه ، فأبطأ الغلامُ إلى العَتَمَة . فلمّا جاءَ قال له : يا عدوَّ نفسه ، ما أخَّرك إلى هذا الوقت ؟ قال : جُزْتُ بباب بني فلان فسمِعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذتُه . فقال : هاتِ يا بُنيّ ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأحْبُونّك ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضْربنّك . فاندفع يغنّي بشعر كثيّر : [من الطويل]

ولمّا علَوْا شَغْباً تبيّنتُ أنّه تقطّع من أهل الحجازِ علائقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادِقِ

فلم يَزَل يغنّيه إلى نصف الليل . فقالت له زوجتُه : يا هذا ، قد انتصف الليلُ وما أفْطَرنا . قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطُورُنا غيرَه . فلم يزل يغنّيه إلى السَّحَر . فلمّا كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه : هذا السَّحرُ وما أفْطَرْنا ؛ فقال : أنتِ طالقٌ إنْ كان سَحُورُنا غيرَه . فلمّا أصبح قال لابنه : خُذْ جُبّتي هذه وأعْطِني خَلَقَك ليكون الحِباءُ فَضْلَ ما بينهما . فقال له : يا أبَتِ ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بنيّ ، ما ترك صوتك هذا للبرد عليَّ سبيلاً ما حَيِيتُ .

[شعر لسليمان بن أبي دباكِل]

أخبرني وَكيع قال أنشدنا أحمد بن يَزيد الشَّيبانيّ عن مصعَب الزُّبَيريّ لسليمان بن أبي دُباكِل قال : [من الطويل]

فهلاّ نظرتَ الصبحَ يا بَعْلَ زينبٍ فتقْضَي لُباناتُ الحبيب المفارقِ
يَروح إذا يُمسي حنيناً ويَغْتدي وتهجيرُه عند احتدام الودائقِ
فَطِرْ جاهداً أو كُن حليفاً لصخرةٍ مُمَنَّعةٍ في رأس أرْعَنَ شاهقِ

فما زال هذا الدَّهرُ من شؤم صَرْفِه يُفرِّق بـين العاشقــين الأوامِقِ
فَيُبْعِدنـــا ممَّـــن نُريد اقترابَــه ويُدْني إلينا مـــن نُحبّ نُفارِقُ[1]
ولّما عَلَـوْا شَغْبـاً تبيَّنتُ أنّه تقطَّع من أهـــل الحجازِ علائِقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلـدِ نـاءٍ قليـلِ الأصادِقِ

1 في هذا البيت إقواء.

[110] ـ ذكر مُتيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها

كانت متيَّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة ، وبها نشأَتْ وتأدَّبتْ وغنَّتْ . وأَخذتْ عن إسحاق وعن أبيه من قَبْله وعن طبقتهما منَ المغنِّين .

[مغنّية شاعرة]

وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها . وعلى ما أَخذتْ عنها كانت تَعْتَمد . فاشتراها عليّ بن هشام بعد ذلك ، فازدادتْ أَخْذاً ممّن كان يغشاه من أكابر المغنّين . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً . وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد ، ولكنّه يُستحسن من مثلها . وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدّمتْ على جَواريه جُمَعَ عنده ، وهي أُمّ وَلَدِهِ كلِّهم .

وقال عبد الله بن المعتزّ فيما أخبرني عنه محمَّد بن إبراهيم قُرَيْش قال أَخبرني الحسن بن أَحمد المعروف بأَبي عبد الله الهشاميّ قال :

[كانت مولاة للبانة]

كانت مُتَيَّمُ لِلُبانةَ بنت عبد الله بن إسماعيل المَراكِبيّ مولى عَريب ، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين أَلف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْرِيّة ، فوَلَدَت له صفيَّة وتُكْنى أُمَّ العبّاس ، ثم ولَدت محمَّداً ويُعرف بأَبي عبد الله ، ثم ولَدتْ بعده ابناً يقال له هارون ويُعرف بأَبي جعفر ، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنْية . قال : ولمّا تُوفِّي عليّ بن هشام عَتَقَتْ .

[كانت تغنّي المأمون والمعتصم]

وكان المأمونُ يبعث إليها فتَجيئه فتُغنِّيه . فلمّا خرجَ المعتصمُ إلى سُرَّ مَنْ رأَى أرسل إليها فأَشخصها وأَنزلها داخلَ الجَوْسَق في دار كانت تُسمّى الدِّمَشْقيّ وأَقطعَها غيرَها . وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورُهم وترجع ، ثم ضمَّها لمّا خرجتْ قَلَمُ . وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعليّ بن هشام . وكانت متيَّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه .

[فضلها عبد الله بن العبّاس على نفسه]

فذكر محمَّد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أَكثَم حدَّثه عن الحسن بن إبراهيم بن رِياح قال : سأَلتُ عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ : مَنْ أَحسنُ من أدركتَ صَنْعَةً ؟

قال : إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : عَلّويَه . قلت : ثم مَن ؟ قال : متيّم . قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم أنا . فعجِبتُ من تقديمه متيَّمَ على نفسه ؛ فقال : الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع .

أخبرني محمَّد بن الحسن قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : سُئِل عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن أحسن الناس غناءً . فذكر مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن قال له : ما أُحْسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم في قوله : [من الطويل]

فـلا زِلْن حَسْرى ظُلّعا لِمْ حَمَلْنها

ولا كما صنع عَلّويه في قول الصِّمّة : [من الطويل]

فواحَسْرتي لم أَقْضِ منكِ لُبانــةً ... ولم أتمتَّــع بالجِــوارِ وبالقُرْبِ

قال : فأين عمرو بن بانةَ ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضع ، ولكنّه صنع لحناً في هذا الغناء .

نسبة صوت عَلّويه

صوت

[من الطويل]

فواحسرتي لم أَقْضِ منــكِ لُبانــةً ... ولم أتمتَّــع بالجــوارِ وبالقربِ

يقولون هــذا آخــرُ العهــد منهم ... فقلت وهذا آخر العهــد من قلبي

ألا يا حمامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مراهق ... سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْبِ

الشعر للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْريّ . والغناء فيه لعلّويَه ، ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى ، أوّله : «ألا يا حمامَ الشعب» ثم الثاني ثم الأوّل . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ منها صوتاً]

وقال ابن المعتزّ أخبرني الهشاميّ قال : كانت متيّمُ ذاتَ يوم جالسةً بين أيدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ ؛ فغنَّت متيّمُ في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

لزينـب طيــفٌ تَعْتريني طوارقُــهْ ... هُدُوّاً إذا ما النّجمُ لاحتْ لواحقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده ؛ فقالت متيّم للمعتصم : يا سيّدي ، إبراهيم يَستعيدني الصوتَ وكأنّه[1] يُريد أن يأخذه ؛ فقال لها : لا تُعِيديه . فلمّا كان بعد أيّام كان إبراهيم حاضراً

1 ل : وأظنّه .

مجلسَ المعتصم ومتيّمُ غائبةٌ ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيَّم في منزلها بالمَيْدان[1] وطريقه عليها وهي في مَنْظَرة لها مشرفةٍ على الطريق وهي تغنّي هذا الصوت وتَطْرَحُه على جواري عليّ بن هشام ؛ فتقدّم إلى المَنْظَرة وهو على دابّته فتطاول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب بابَ المنظَرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكِ .

[طلبها المأمون من عليّ بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتزّ : وحُدِّثتُ أنّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يهبَها له وكان بغنائها مُعْجَباً ؛ فدافعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ . فلمّا ألَحَّ المأمونُ في طلبها حَرَص عليٌّ على أن تَعْلَق منه حتى حبِلتْ ويئس المأمونُ منها . فيقال إنّ ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله .

وحدَّثني سليمان الطَّبَّال أنّه رأى متيَّمَ في بعض مجالس المعتصم يُمازحها ويَجْبِذ بردائها .

[أراد إسحاق انتحال صوت لها]

وحكى عليُّ بن محمَّد الهِشاميُّ قال : أُهْدِيَ إلى عليّ بن هشام بِرْذَوْنٌ أشْهبُ قِرْطاسيّ[2] وكان في النهاية من الحسن والفَراهة ، وكان عليٌّ به مُعْجَباً ، وكان إسحاقُ يَشتهيه شهوةً شديدة ، وعَرّض لعليّ بطلبه مراراً فلم يَرضَ أن يُعطيَه له . فسار إسحاقُ إلى عليّ يوماً بعَقِب صنعة مُتيّم «فلا زِلْن حَسْرَى» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيّم أن تجعل صوتَها هذا في صدر غِنائها ففعلتْ ، فأطربَ إسحاقَ إطراباً شديداً ، وجعل يَستردّه ، فتَردُّه وتَسْتوفيه ليزيدَ في إطرابه إسحاقَ وهو يُصغي إليها ويتفهّمه حتى صحَّ له . ثم قال لعليّ : ما فعل البِرْذَونُ الأشهب ؟ قال : على ما عهِدتَ من حسنه وفراهته . قال : فاختر الآن منّي خَلّةً من اثنتين : إمّا أنْ طِبْتَ لي نفساً به وحملتَني عليه ، وإمّا أن أبيْتَ فأدَّعي والله هذا الصوتَ لي وقد أخذتُه ، أفتُراك تقول : إنّه لمتيَّم وأقول : إنّه لي ويُؤْخذ قولُك ويُترك قولي ؟ ! قال : لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه ؛ يا غلام قُدِ[3] البرذونَ إلى منزل أبي محمَّد بِسَرْجه ولجامه ، لا بارك اللهُ له فيه ! .

قال عليّ بن محمَّد وحدَّثني أحمد بن حمدون : أنّ إسحاق قال لمتيَّم لمّا سمِع هذا الصوتَ منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ يريد أنّها قد حلّت محلّه وساوَتْه .

1 الميدان : محلّة ببغداد .
2 قرطاسي : خالص البياض .
3 ل : قدّم .

قال عليّ بن محمَّد وقال جدِّي أبو جعفر : كانت متيّمُ تقول : [من الطويل]

صوت

فــلا زِلْن حسرى ظُلّعــاً لم حملنها

الرّمل كلّه .

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدَّثني الهشاميّ قال مدّ عليٌّ بن هشام يده إلى بَذْل جاريته في عتابٍ يعاتبها ؛ ثم ندِم على فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فليتَ يدي بانت غَداةَ مدَدْتُها إليكِ ولم تَرْجع بكفٍّ وساعدِ

وغنَّت متيّمُ جاريتَه فيه في الثقيل الأوّل ؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليٍّ بذل الصغيرة .

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كان سببُ موت بذل هذه أنّها كانت ذاتَ يومٍ جالسةً عند المأمون فغنّته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكْنى بأبي الكَرْكَدَنّ من أهلِ طَبَرِسْتان يضحك منه المأمونُ ، فعبِثوا به فوثَب عليهم وهرَب الناسُ من بين يديه فلم يَبْقَ أحدٌ حتى هرب المأمونُ ، وبقيت بذلُ جالسةً والعودُ في حِجْرِها ، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسَها فشَجّها في شابورتها اليمنى ؛ فانصرفتْ وحُمّت ، وكان سببَ موتها .

[تزوّج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدَّثني الهشاميّ قال : لمّا مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ ، أخذ المعتصمُ جَواريَ عليّ بن هشام كلَّهنّ فأدخلهنّ القصر ، فتزوّج ببَذْل المغنّية وبقيتْ عنده إلى أن مات ؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلاّ بذلَ الصغيرة لأنّها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها .

ويقال : إنّه لم يكن في المغنّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبد الله بن العبّاس ومتيَّم .

[شعر ابن الجهم في متيّم الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم : [من البسيط]

بَني مُتيَّمَ هــل تَدْرون مــا الخبرُ وكيف يُستَرُ أمــرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيْتُكم مَنْ أبوكم يا بَني عُصَبٍ شتّى ولكنّمــا للعاهِــر الحَجَرُ[1]

1 إشارة إلى الحديث : «الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجر» .

[غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر]

قال : وحدَّثني جدِّي قال : كلّم عليُّ بن هشام متيَّمَ فأجابته جواباً لم يَرْضَه ، فدفع يدَه في صدرها ، فغضِبتْ ونهضتْ ، فتَثاقلتْ عن الخروج إليه . فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

فليتَ يدي بانتْ غداةَ مَدَدْتُها إليك ولم تَرْجع بكـفٍّ وساعدِ

فإن يَرْجعِ الرحمنُ مـا كان بيننا فلستُ إلى يـومِ التَّنادي بعائدِ

غنَّته متيَّمُ خفيفَ رملٍ بالبنصر .

[خصام بينها وبين عليّ بن هشام]

قال : وعَتَبت عليه مرّةً فتَمادى عَتْبُها ، وترضَّاها فلَم تَرْضَ ؛ فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربّ هجرٍ دعا إلى صبر ، وإنّما سُمِّي القلبُ قلباً لتقلُّبه . ولقد صدق العبّاسُ بن الأحنف حيث يقول[1] : [من الخفيف]

مـا أُراني إلاّ سأهجُر مـن ليـ ـسَ يَراني أَقْوَى على الهِجرانِ

قـد حَـدَا بي إلى الجفاء وفائي مــا أَضرَّ الوفــاءَ بالإنسانِ[2]

قال : فخرجتْ إليه من وقْتها ورضيتْ .

[تهدي للهشاميّ نبقاً يحبّه]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كانت متيَّمُ تُحبّني حبّاً شديداً يَتجاوز محبّةَ الأُخت لأخيها ، وكانت تعلم أنّي أُحِبّ النَّبِق ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإنّي لأَذكرُ في ليلة من الليالي في وقت السَّحَر إذا أَنا ببابي يُدَقّ . فقيل : مَن هذا ؟ فقالوا : خادمُ متيَّم يريد أن يدخل إلى أَبي عبد الله . فقلتُ : يَدْخلِ . فدخل ومعه إليّ صِينيّة فيها نَبِقٌ ؛ فقال لي : تُقرئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أَمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بِنَبِقٍ من أَحسن ما يكون ؛ فقلتُ له : يا سيِّدي ، أَطلُب من أَمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تَطْلُبين ما شئتِ . قالت : يُطْعمني أَميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق . فقال لسمانة[3] : اجعل من هذا النَّبِق في صينيّة واجعلوها قدّام مُتيّم ؛ فأَخذته وذلّلته لك وقد بعثتْ به إليك معي ، ثمّ دفعتْ إليّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هذه الدّراهمَ لكي يَفْتَحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به إليه .

1 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 298 .

2 رواية صدر البيت في الديوان : * ملّني واثقاً بحسن وفائي *

3 هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة كما في الطبري .

ثم حدَّثنا الهشاميّ قال[1] : بعث عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء ، فأخرج مُتيَّمَ جاريتَه إليه ؛ فغنَّتْ بين يديه : [من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلدٍ نـاءٍ قليـل الأَصادقِ

فاستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تَشْتري منِّي هذا الصوتَ ؟ فقال له عليّ بن هشام : جاريتي تَصنع هذا الصوتَ وأَشتريه منك ؟ قال : قد أَخذتُه الساعةَ وأَدَّعيه ، فقول مَن يُصَدَّق ، قولي أو قولُك ! فافتداه منه بِبِرْذَوْن اختاره له .

[صوت بمائة أَلف دينار]

وحدَّثني الهشاميّ قال : سمع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبَيْدة صوتاً عجيباً ، فرشا لَمن أخرجه من دار زبيدة بمائة أَلف دينار حتى صار إلى داره وطُرِح الصوتُ على جَواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدّ عليها ، ولو سألها أَن توجِّهَ به ما فعلتْ .

[متيَّم في كتاب إسحاق]

وحدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أَبيه قال : لمّا صنعت متيَّمُ اللّحنَ في قوله : [من الطويل]

فـلا زلن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها

أُعجب به عليّ بن هشام ، وأَسمعه إسحاق فاستحسنه وقال : من أَين لك هذا ؟ فقال : من بعض الجواري . فقال : إنّه لِعريبَ ؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال : إنّه لمتيَّمَ ؛ فأَطرق . وكان متحاملاً على المغنِّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً في حَطّ درجاتِهم ، وما رأَيته في غِنائه ذكر لعَلّويه ولا مخارِق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عبّاس ولا محمَّد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنْتَصِباً[2] لهم ، وذكر في آخر الكتاب قولَه : [من الطويل]

فلا زلنَ حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلدٍ نـاءٍ قليـل الأَصادقِ

ووقَّع تحته «لُمتيَّم» . وذكر آخر كلِّ صوت في الكتاب ونسَب إلى كلّ مغنٍّ صوتَه غير مُخَارِقٍ وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عبّاس فما ذكرهم بشيء .

[أَعجبت بها شاهك جدّة عليّ بن هشام]

أَخبرنا أَحمد بن جعفر جحْظة قال حدَّثني ابن المكيّ عن أَبيه قال قال لي عليّ ابن هشام :

1 تقدّم هذا الخبر مفصّلاً برواية الهشامي أيضاً .

2 منتصباً لهم : مظهراً العداوة .

لّما قدِمتْ عليّ شاهِك جَدّتي من خَراسان ، قالت : اعْرِض جَواريَك عليّ ، فعَرضْتُهنّ عليها . ثم جلسنا على الشَّراب ، وغنّتنا مُتَيَّمُ . وأُطالت جدّتي الجلوسَ فلم أنْبَسِط إلى جَواريّ كما كنتُ أفعل ؛ فقلت هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

أَنْبقــى على هذا وأَنتِ قريبةٌ ... وقــد مَنَع الزُّوّارُ بعضَ التَّكلُّمِ
سلامٌ عليكــم لا سلامَ مُودِّعٍ ... ولكـــن سلامٌ من حبيبٍ متيَّمِ

وكتبتُهما في رُقْعة ورميتُ بها إلى متيَّم ؛ فأَخذَتْها ونهضتْ إلى الصلاة ، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذي يُغَنَّى فيه اليوم ، فغنَّتْ . فقالت شاهك : ما أُرانا إلاّ قد ثَقَّلنا عليكم اليوم ؛ وأَمرت الجواريَ فحمَلْنَ مِحَفَّتَها ، وأَمرتْ بجوائز للجَواري وساوت بينهنّ ، وأَمرتْ لمتيَّمَ بمائة ألف درهم .

[أوّل مَن عقد زناراً]

وأَخبرني قال : أَوّلُ مَن عقَد من النساء في طَرَف الإزار زُنّاراً وخَيْطَ إِبْرَيْسَم[1] ثم تجعله في رأسها فيثبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيّمُ .

[رثاؤها مولاها]

أَخبرني أَحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرّت متيَّمُ في نسوة وهي مُسْتَخْفيةٌ بقصر علـيّ بن هشام بعد أن قُتِـل ، فلمّـا رأَت بابَه مُغْلَقاً لا أَنيسَ عليه ، وقد علاه الترابُ والغُبْرةُ ، وطُرِحتْ في أَفْنِيته المَزابِلُ ، وقفـتْ عليه وتمثّلتْ : [من السريع]

صوت

يا منزلاً لم تَبْلَ أَطلالُــهُ ... حاشا لأَطلالِكَ أَن تَبْلَى
لم أَبْكِ أَطلالَك لكنّني ... بكيتُ عيشي فيك إذ وَلّى
قد كان لي فيك هوىً مرّةً ... غيّبــه التربُ ومــا مُلاّ
فصرتُ أَبْكِي جاهداً فقدَه ... عنــد آذكاري حيثما حلاّ
فالعيشُ أَولَى ما بكاه الفتى ... لا بدّ للمحزون أَن يَسْلَى

---

1 الابريسم : الحرير .

فيه رملٍ بالوسطى لابن جامع . قال : ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها ، وجعل النِّسوةُ يُناشِدْنها ويَقُلْنَ : اللهَ اللهَ في نفسكِ ! فإنّكِ تُؤْخذينَ الآن ، فبعد لأْيٍ ما حُمِلت تَتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضعَ .

[أمرها المعتصم بالغناء فعرّضت بمولاها]

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : حدَّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثني محمَّد بن الحسن عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : قالت لي متيَّمُ : بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ ، فذهبتُ إليه ، فأَمرني بالغناء فغنَّيتُ : [من المجتث]

هل مُسعدٌ لبكاء   بعَبْرة أو دمـاء

فقال : اعْدِلي عن هذا البيت إلى غيره ؛ فغنَّيْته غيرَه من معناه ؛ فدَمَعتْ عيناه وقال : غَنِّي غيرَ هذا . فغنَّيتُ في لحني : [من الطويل]

أولئكَ قومـي بعـد عـزٍّ ومَنْعَةٍ   تفانَوْا وإلاّ تَذْرِف العـينُ أكْمَدِ

فبكى وقال : وَيْحك لا تُغَنِّيني في هذا المعنى شيئاً ألبتّة . فغنَّيتُ في لحني [1] : [من البسيط]

لا تأمَنِ الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ   إنّ المنايـا تَغَشّى كلَّ إنسانِ
واسلُكْ طريقَكَ هوناً غيرَ مكترِثٍ   فسوفَ يأتيكَ ما يَمْني لك الماني [2]

فقال : والله لولا أنّي أعلم أنّك إنّما غنَّيْتِ بما في قلبك لصاحبك وأنّك لم تُريديني لَمَثّلْتُ بك ؛ ولكن خذوا بيدها فأخرِجوها ، فأَخذوا بيدي فأُخْرِجتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من المجتث]

هـل مُسعِـدٌ لبكاءِ   بعَبْـرة أو دمـاء
وذا لفقـد خليـلٍ   لسادةٍ نُجَبـاء

الشعر لُمرادَ شاعرةِ عليّ بن هشام تَرْثيه لمّا قتله المأمونُ . والغناء لمتيَّم . ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

---

1 رواية البيتين في اللسان :

لا تأمن الموت في حلّ وفي حَـرمٍ   إن المنايـا تـوافي كلّ إنسان
واسلك طريقك فيها غير محتشم   حتى تلاقي ما يمني لك الماني

2 يمني لك الماني : يقدر لك المقدّر .

منها :

* ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي[1] *

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهديّ لأنّه من غنائه وشعره ، وشُرِحَتْ أخبارُه فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أُولئكَ قومــي بعد عــزّ ومَنْعةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِفِ العــينُ أَكْمَدِ

وقد أُخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبْليّ وغنّيا فيه من مراثيهما في بني أُميّة . ولحنُ متيَّم هذا الذي غنّت فيه المعتصمَ ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من البسيط]

صوت

* لا تأمَنِ الموتَ في حلٍّ وفي حَرَمٍ *

ذكر الهشاميُّ أنّه ممّا وجدَه من غناء متيَّم ، غير أنّ لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرح إن شاء الله تعالى ، وإنّما وَلهتْ صوتاً تولّعتْ به وغنّته فنسبه إليها .

[. . . . . أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من إنسان مدني . . . ، . . . فيه صوتيْن فاشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتي ، ثم سمعتُ . . . بيتين هما لها أحدهما : [من السريع]

يا منــزلاً لم تبــلَ أطلالُه حاشا لأَطلالِـكَ أن تبــلَى
لم أبــكِ أطلالــك لكنّني بكيتُ عيشي فيك إذ ولّى

والآخر :

أمسح الربــع بخدّي إذ مشى فيــه الخليلُ
وعلى مثلــك يبكي أيُّها الربــعُ المحيــلُ
عرفــتْ عينــي الطلول فلهــا دمعــي يسيلُ
وبكـــتْ لي إذ رأتني خاليــاً فيهــا أجولُ][2]

---

1 لم يذكر هذا الصوت فيما تقدّم .

2 ما بين معكوفين زيادة من ل . وما زال الخبر ناقصاً من أوّله .

[تغنّي لنفسها]

وأُخبرني قال : كنّا في مجلسنا نِياماً . فلمّا كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت : أطْعموني شيئاً ؛ فأُخرجوا إليها شيئاً تأكله ، فأُكلتْ ، ودعَتْ بنبيذٍ وابتدأتِ الشّربَ ، ودعَتْ بعودٍ فاندفعت تغنّي لنفسها وتشرب . وكان ممّا غنَّتْ : [من البسيط]

كيف الثّواءُ بأرض لا أُراكَ بها   يا أُكثَرَ الناس عندي مِنّةً ويدا

خفيف رمل . وقال : ما رأيتُ أُحداً من المُغَنّين والمغنّيات إذا غنّوْا لأَنفسهم يكادون يغنّون إلاّ خفيفَ رمل .

[نوحها على سيِّدها]

وأُخبرني قال حدَّثني بعضُ أُهلِها قال : لمّا أُصِبنا بعليّ بن هشام ، جاء النوائحُ ، فطرح بعضُ مَن حضر من مُغنّياته عليهنّ نوحاً من نَوح متيَّم ، وكان حسناً جيِّداً ، فأُبطأ نَوحُ النوائح اللاّتي جئن لحسنه وجَوْدته . وكانت زين حاضرةً فاستحسنتْه جدّاً ، وقالت : رضي اللهُ عنكِ يا متيَّم ! كنتِ علَماً في السرور ، وأُنت علم في المصائبِ .

وأُخبرني قال : إنّي لأَذكر من بعض نَوْحها : [من الخفيف]

لعـليٍّ وأُحمـد وحسينٍ   ثم نصر وقبلَه للخليلِ

هزَجٌ .

[أرسلت لها مؤنسة هديّة يوم حجامتها]

قال ابنُ المعتزّ : وأُخبرني الهشاميُّ قال : وجّهتْ مؤْنِسةُ جاريةُ المأمون إلى متيَّم جاريةِ عليّ بن هشام في يومٍ احتجمتْ فيه مِخْنَقةً[1] في وسطها حبّةٌ[2] لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبّة ويسارها أُربعُ يواقيتَ وأُربع زُمُرّدات وما بينها من شُذُور الذّهب ، وباقي المِخْنَقة قد طُيِّب بغاليةٍ .

وأُخبرني قال : كانت متيَّمُ يُعْجبها البَنَفْسَج جدّاً ، وكان عندها آثَرَ من كلّ ريْحان وطِيبٍ ، حتى إنّها من شدّة إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمِّها الرّيحان ولا نراه إلاّ كما قُطِف من البستان .

[عرس في الجنّة]

وقد أُخبرني رحمه الله قال حدَّثنا أُبو جعفر بن الدَّهْقانة : أَنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيَّمُ وإبراهيمُ بن المهديّ وبَذْلُ :يا سيِّدي ، أُظنّ أَنّ في الجنّة عُرْساً ، فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأُنكرَه . فلمّا كان بعد أَيّام ، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة

---

1 المخنقة : القلادة .

2 ل : حبةٌ حنداردةٌ ، والحندارة : الحدقة .

فاحترق كلُّ ما تَمْلِكه . وسمِع المعتصمُ الجَلَبةَ فقال : ما هذا ؟ فأُخبِر عنه ؛ فدعا بها فقال : ما قصَّتُك ؟ فبكت وقالت : يا سيِّدي ، آحترق كلُّ ما أملِكه . فقال : لا تَجْزَعي ، فإنّ هذا لم يحترق وإنّما استعاره أصحابُ ذلك العرس .

[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذكرتُ في متقدَّم أخبار متيَّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدَّثني الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدَّثني أبي قال : قال المأمون لمتيَّم جارية عليّ بن هشام : أجيزي لي هذين البيتين : [من الطويل]

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... ملاحَظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ ... إليكِ إشاراتٌ بها وزَفيرُ

صوت
من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مرضَ ... قَتَلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا
يَصْرَعْن ذا اللُّبَّ حتى لا حَراكَ له ... وهنّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانا

عروضه من البسيط . والشعر لجرير . والغِناء لابن مُحْرِز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ أُخَر تُغَنَّى فيها ألحانٌ سوى هذا اللحن ، منها قوله :

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

أَتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا
إنّ العيونَ التي في طرفِها مَرَضٌ ... قتلننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ] أوّلُ مطلَق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 من قصيدة جرير التي مطلعها (ديوان جرير ص 490 ط . صادر) :

بَانَ الخليط ولو طوعتَ ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

ومنها أَيضاً : [من البسيط]

صوت

بَانَ الأَخِلاّ وما ودَّعتُ مَنْ بانا وقطّعوا من حبال الوصلِ أَركانا
أَصبحتُ لا أَبتغي من بعدهم بَدَلاً بـالدّار داراً ولا الجِيران جيرانا
وصرتُ مذ ودَّع الأَظعانُ ذا طَرَبٍ مروَّعاً من حِـذارِ البـين مِحْزانا

في الأَوّل والثاني والثالث من الأَبيات خفيفُ رمل بالبنصر . وفيها للغَريض ثاني ثقيل بالبنصر ، من رواية عمرو بن بانة والهشاميّ . وذكر حبشٌ أَنّ فيه لمالك خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ولابن سرجس في الأَوّل والثاني وبعدهما : [من البسيط]

أتبعتُهم مقلـةً إنسانُهـا غَـرِقٌ

رمَلٌ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أَنّ لابن محرز في الأَوّل والثاني بعدهما «أَتبعتُهم مقلة» لحناً من الثقيل الأَوّل بالبنصر ، وذكر المكّيّ أَنّه لمعبد .

* * * *

الفهرس

[99] ـ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه 5
[100] ـ ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبُه 65
[101] ـ أخبار أبي كامل 69
[102] ـ أخبار يزيد بن ضبّة ونسبُه 72
[103] ـ أخبار إسماعيل بن الهِرْبِذ 79
[104] ـ نسب نابغة بني شَيْبان 81
[105] ـ أخبار أبي دَهْبَل ونسبه 87
[106] ـ أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه 111
[107] ـ أخبار أبي زكّار الأعمى 175
[108] ـ أخبار السيّد الحِمْيَرِيّ 177
109 ـ [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة] 212
[110] ـ ذكر مُتَيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها 222